﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

جواهر الكلام
في شفاء الأسقام

بقلم المربي
الدكتور محمد خير فاطمة

الإهداء

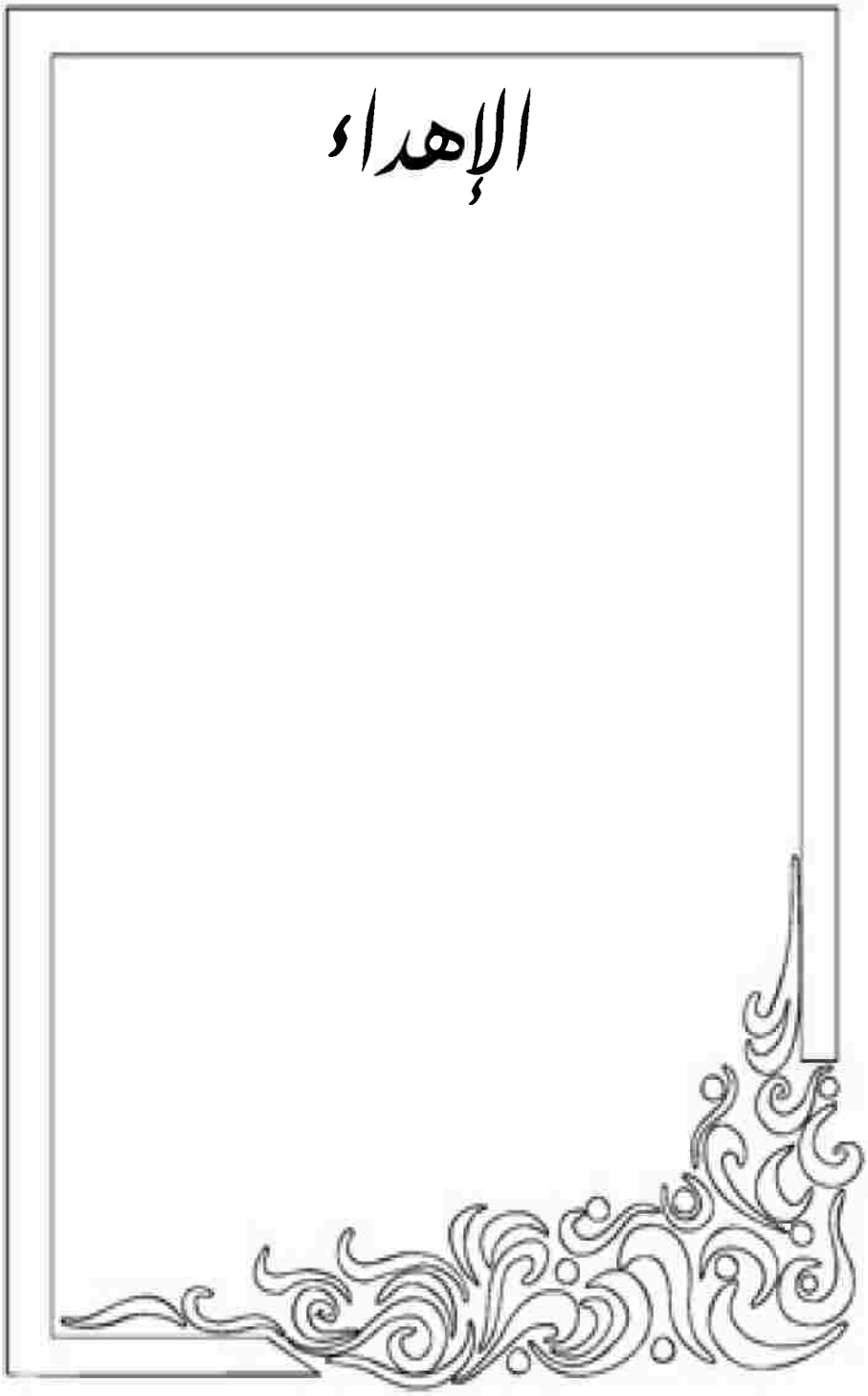

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وقال ﷻ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢].

عن ابنِ عباسٍ، قَالَ: كُنت خلْف رسولِ اللَّه ﷺ يوماً، فَقَالَ: «**يا غُلام إني أُعلّمك كَلمات، احفَظ اللَّه يحفَظْك، احفَظ اللَّه تجده تجاهك، إذَا سأَلْت فَاسأَل اللَّه، وإذَا استعنت فَاستعن باللَّه، واعلَم أَنَّ الأُمةَ لَو اجتمعت علَى أَنْ ينفَعوك بِشيءٍ لَم ينفَعوك إِلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه لَك، ولَو اجتمعوا علَى أَنْ يضروك بِشيءٍ لَم يضروك إِلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه علَيك، رفِعت الأَقْلام وجفَّت الصحف**».

[أخرجه الترمذي وقال هذَا حدِيثٌ حسن صحِيح]

الإهداء

- إلى الدعاة والمربين، والعلماء العاملين، والخطباء والمدرسين، والمرشدين والموجهين، والمشرفين على تربية الأجيال على مر السنين.

- وإلى كلِّ مسلم غيور على إسلامه يبحث عن الطريق المستقيم الذي ينجيه في كل وقت وحين، وفي كل محنة ومنحة، وفي كل فتنة ومصيبة، وكل امتحان وبلاء.

- إلى كلِّ هؤلاء أهدي كتابي هذا راجياً من الله القبول، وممن استفاد منه الدعاء.

المؤلف المربي

د. محمد خير فاطمة

التمهيد للبحث

الحمد لله وكفى، والصلاة على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

إن الله ﷻ بين في قرآنه أن الإنسان معرض في هذه الدنيا للبلاء والاختبار فقال ﷻ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢].

● هذا وإن من أنواع البلاء التي تصيب الإنسان الأمراض المختلفة الجسمية والروحية والنفسية والعقلية.

فما واجب الإنسان المسلم تجاه هذه الأنواع من البلايا؟

● المسلم الحق إذا ما أصابه مرض، أي مرض أو أصاب أي فرد من أفراد أسرته فإن الإسلام يدعوه.

أولاً: إلى مراجعة الأطباء المختصين والعمل بنصائحهم واستعمال ما وصفوه له من الدواء وبالشكل الذي أرشدوه إليه، عن ابن مسعود ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ ﷻ لَم ينزِلْ داءً إِلا أَنزلَ لَه شِفَاءً، علِمه من علِمه، وجهِلَه من جهِلَه». [أخرجه أحمد]

ثانياً: أن يسرع المسلم إلى دفع صدقة بنية شفاء مريضه، قال رسول الله ﷺ: «حصنوا أَموالَكُم بِالزكَاةِ، وداووا مرضاكُم بِالصدقَةِ، واستقْبِلُوا أَمواج

الْبلاءِ بِالدعاءِ والتضرعِ». [أخرجه أبو داود في المراسيل عن الحسن ﷺ]

ثالثاً: ومع استعمال المسلم أسباب الشفاء يلتجئ إلى مسبب الأسباب، ومقدر الأقدار، ومزيل الهموم والغموم، والشافي من الأمراض، ومن بيده ملكوت كل شئ، فيقف على بابه مقراً بضعفه وعجزه، راجياً شفاءه، متوكلاً عليه، معتصماً به، معتمداً عليه، سائلاً إياه، مستعيناً به، منفذاً أوامره، مطبقاً تعاليمه، عارفاً أن الأمر بيده، والشفاء بقدرته وأن أمره سبحانه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

- تالياً قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾. [النمل: ٦٢]

- عالماً أنه لا شافي إلا الله، ولا منجي إلا هو سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

● ومن وسائل الالتجاء إلى الله ﷻ عند الأمراض والأسقام الرقَى الشرعية من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

● **والرقَى من القرآن الكريم**: تكون بتلاوة القرآن رجاءَ أن يناله من بركات آياته وأنوار تتريلاته ما يكون فيه الشفاء.

- وهو القائل سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

- والقائل ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾. [الإسراء: ٨٢]

- والقائل ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

- والقائل ﷻ: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

- وقد قال رسول الله ﷺ: «خير الدواء القرآن».

[أخرجه ابن ماجه عن علي رضي الله عنه]

- وروي أنَّ النبي ﷺ كان يقول: «فاتحة الكتاب شفاءٌ من كل داء».

[أخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن عبد الملك بن عمير مرسلاً]

- ومما يبين الأثر الكبير للرقية بالفاتحة ما ورد عن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أَنَّ رهطاً من الأنصار من أَصحاب رسول الله ﷺ انطَلَقُوا في سفْرةٍ سافَروها حتى نزلُوا بحي من أَحياء الْعرب فَاستضافُوهم، فَأَبوا أَنْ يضيفُوهم، فَلُدِغَ سيد الحَي، فَسعوا لَه بكُلِّ شيءٍ، لا ينفَعه شيءٌ، حتى قَالَ بعضهم: لَو أَتيتم هؤلاء الرهطَ الَّذين نزلُوا بكُم لَعلَّه أَنْ يكُونَ عند بعضهم شيءٌ ينفَع صاحبكُم، فَأَتوهم فَقَالُوا: أَيها الرهطُ، إِنَّ سيدنا لُدِغَ، فَسعينا لَه بكُلِّ شيءٍ، لا ينفَعه شيءٌ، فَهلْ عند أَحدٍ منكُم شيءٌ ينفَع صاحبنا؟ قَالَ رجلٌ منهم: نعم، واللهِ إِني لأَرقِي، ولَكن واللهِ لَقَد استضفْناكُم فَأَبيتم أَنْ تضيفُونا، فَما أَنا براقٍ حتى تجعلُوا لَنا جعلاً، فَصالَحوهم علَى قَطِيعٍ من الْغنمِ، قَالَ: فَانطَلَق فَجعلَ يتفُلُ علَيه ويقُولُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (أي قرأ عليه سورة الفاتحة) حتى برأَ فَكَأَنما نشطَ من عقَالٍ حتى انطَلَق يمشي ما به قَلَبةٌ (داء وتعب)، فَأَوفَوهم جعلَهم الَّذي صالَحوهم علَيه، فَقَالَ: اقْسموا، فَقَالَ الَّذي رقَى: لا تفْعلُوا حتى نأْتي رسولَ الله ﷺ فَنذْكُر لَه الَّذي كَانَ فَننظُر ما يأْمرنا بِه، قَالَ فَغدوا علَى رسولِ الله ﷺ فَذَكَروا ذَلك لَه، فَضحك رسولُ الله

ﷺ وقَالَ: «ما يدرِيك أَنها رقْيةٌ؟» قَالَ: وقَالَ: «أَصبتم اقْتسِموا واضرِبوا لِي معكُم بِسهمٍ». [أخرجه البيهقي في سننه]

– وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: (إن أم القرآن هي السبع المثاني، والشفاء التام، والدواء النافع، والرقية التامة، ومفتاح الغنى والفلاح، وحافظة القوة، ودافعة الهم والغم والخوف والحزن، لمن عرف مقدارها وأعطاها حقها، وأحسن تتريلها على دائه، وعرف وجه الاستشفاء والتداوي ا، والسر الذي لأجله كان ذلك). [زاد المعاد: ابن القيم]

● ومما جاء في هذا الباب، ما رواه عكرمة عن ابن عباس، قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له: يا ابن عباس، إنَّ لي والدة، وهي بي رحيمة، وقد بلغ ا المرض، فهل من رقية آخذها لها رحمة؟ فكتب له ابن عباس بعض آيات من القرآن الكريم ثم قال له: (اتل ذلك على أمك واستعن بالله تعالى)، فقال الرجل: ففعلت ما أمرني به، فعوفيت ببركة هذه الآيات.

●ولقد ألف حجة الإسلام أبو حامد بن محمد بن محمد الغزالي كتاباً أسماه (الذهب الإبريزي في خواص كتاب الله العزيز) ذكر فيه خواص كلمات الله وآياته في الشفاء.

●ومن أهم الأدوية في الشفاء من العلل والكروب، وما نزل بالإنسان من بلاء ومصائب، أدوية النبي ﷺ التي وردت في أحاديثه الشريفة، وتسمى رقى السنة، ومنها:

– ما رواه أبو سعيد ﷺ، أَنَّ جبرائِيلَ، أَتى النبي ﷺ، فَقَالَ: يا محمد أَشتكَيت؟ قَالَ: «نعم»، قَالَ: «بِسمِ اللَّه أَرقِيك، مِن كُلِّ شيءٍ يؤذِيك، مِن شر كُلِّ نفْسٍ أَو عينٍ، أَو حاسِدٍ اللَّه يشفِيك، بِسمِ اللَّه أَرقِيك». [أخرجه ابن ماجه]

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كَانَ النبي ﷺ يعوذُ الحَسن والحُسين، ويقُولُ: «إنَّ أَباكُما (يعني سيدنا إبراهيم ؑ) كَانَ يعوذُ بها إسماعِيلَ وإسحاق: أَعوذُ بِكَلمات اللَّه التامة، مِن كُلِّ شيطَانٍ وهامةٍ (كل حشرة مؤذية وما يقتل سمه)، ومِن كُلِّ عينٍ لاَمةٍ» (العين المصيبة بسوء)

[أخرجه البخاري]

- وعن أنسٍ ؓ أنه قَالَ لثَابت: يا أَبا حمزةَ، اشتكَيت، فَقَالَ أَنس: أَلاَ أَرقيك بِرقْيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: بلَى، قَالَ: «اللَّهم رب الناسِ، مذْهِب الباسِ، اشفِ أَنت الشافِي، لاَ شافِي إِلا أَنت، شِفَاءً لاَ يغادِر سقَماً».

[أخرجه البخاري]

- وعن أَبان بنِ عثْمان، يقُولُ: سمعت عثْمانَ يعني ابن عفَّانَ، يقُولُ سمعت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: «من قَالَ بِسمِ اللَّهِ الَّذي لا يضر مع اسمه شيءٌ، فِي الأرضِ، ولا فِي السماءِ، وهو السميع الْعليم، ثَلاثَ مراتٍ، لَم تصبه فَجأَةُ بلاءٍ، حتى يصبِح، ومن قَالَها حِين يصبِح ثَلاثَ مرات، لَم تصبه فَجأَةُ بلاءٍ حتى يمسي»، وقَالَ: فَأَصاب أَبانَ بن عثْمانَ، الْفَالِج، فَجعلَ الرجلُ الَّذِي سمِع منه الْحديثَ ينظُر إِلَيه، فَقَالَ لَه: «ما لَك تنظُر إِلَي؟ فَواللَّه ما كَذَبت علَى عثْمانَ ولا كَذَب عثْمانُ علَى النبِي ﷺ، ولَكِن الْيوم الَّذِي أَصابنِي فِيهِ ما أَصابنِي غَضِبت فَنسِيت أَنْ أَقُولَها».

[أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح]

● هذا وإن الإسلام لم يكتفِ بمعالجة الأمراض الجسمية وإنما عالج أيضاً الأمراض النفسية.

- عن أَبِي سعِيدٍ الْخدرِي، قَالَ: دخلَ رسولُ ﷺ ذَات يومٍ الْمسجِد،

فَإِذَا هو برجلٍ من الأنصارِ، يقَالُ لَه: أَبو أُمامةَ، فَقَالَ: «يا أبا أُمامةَ، ما لِي أَراك جالِساً فِي الْمسجدِ فِي غَيرِ وقْتِ الصلاةِ؟»، قَالَ: همومٌ لَزِمتنِي، وديونٌ يا رسولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلا أُعلِّمك كَلاماً إِذَا أَنت قُلْته أَذْهب عز وجلَّ همك، وقَضى عنك دينك؟» قَالَ: قُلْت: بلَى، يا رسولَ، قَالَ: «قُلْ إِذَا أَصبحت، وإِذَا أَمسيت: اللَّهم إِني أَعوذُ بِك مِن الْهمِ والْحزنِ، وأَعوذُ بِك مِن الْعجزِ والْكَسلِ، وأَعوذُ بِك مِن الْجبنِ والْبخلِ، وأَعوذُ بِك مِن غَلَبةِ الدينِ، وقَهرِ الرجالِ» ففَعلْت ذَلِك، فَأَذْهب اللَّه ﷻ همي، وقَضى عني دينِي.

[أخرجه أبو داود]

●وهناك أدعية كثيرة في أحاديث رسول الله ﷺ فيها أدوية لكثير من الأمراض، من استعملها بإيمانٍ وصدقٍ وإخلاصٍ وثقةٍ بالله ﷻ كانت له شفاءً مما يعانيه من الأمراض وذلك بمشيئة الله وإرادته، يمكن الرجوع لمعرفة هذه الأدعية إلى كتب متعددة اشتملت عليها، وأهم كتابٍ في هذا الموضوع كتاب الأذكار للإمام النووي، ولكن هذه الأدوية القرآنية والنبوية تستعمل بعد الأخذ بالأسباب واللجوء إلى الأطباء المختصين واستعمال الأدوية التي يصفو ا، وقبل هذه الأسباب ومعها وبعدها يكون المرء مع الله في أدويته الربانية، ومع رسول الله في توجيهاته النبوية ويسلم أمره لمشيئة الله سبحانه.

●ومن هذه التوجيهات النبوية ما روي عن عبد الْحميدِ مولَى بنِي هاشمٍ: أَنَّ أُمه حدثَته وكَانت تخدم بعض بناتِ النبِي ﷺ أَنَّ بنت النبِي ﷺ حدثَتها أَنَّ النبِي ﷺ كَانَ يعلِّمها فَيقُولُ: «قُولِي حِين تصبحين: (سبحانَ اللَّه وبحمده لاَ قُوةَ إِلاَّ بِاللَّه ما شاءَ اللَّه كَانَ وما لَم يشأْ لَم يكُن أَعلَم أَنَّ اللَّه علَى كُلِّ شيءٍ قَدِير وأَنَّ اللَّه قَد أَحاطَ بِكُلِّ شيءٍ علْماً). فَإِنه من قَالَهن

حِين يصبِح حفِظَ حتى يمسِي ومن قَالَهن حِين يمسِي حفِظَ حتى يصبِح».
[أخرجه أبو داود]

●وما تعلمه أبو الدرداء ﷺ من النبي ﷺ من كلمات من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسي ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش الكريم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم). [أخرجه الديلمي وابن عساكر]

●وعن ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: لَم يكُن رسولُ اللَّه ﷺ يدع هؤلاءِ الدعوات، حِين يمسِي، وحِين يصبِح: «اللَّهم إِني أَسأَلُك الْعافِيةَ فِي الدنيا والآخِرةِ، اللَّهم إِني أَسأَلُك الْعفْو والْعافِيةَ فِي دِينِي ودنياي وأَهلِي ومالِي، اللَّهم استر عوراتِي، وآمِن روعاتِي، اللَّهم احفَظْنِي مِن بينِ يدي، ومِن خلْفِي، وعن يمِينِي، وعن شِمالِي، ومِن فَوقِي، وأَعوذُ بِعظَمتك أَنْ أُغْتالَ مِن تحتِي». (أي من خسف أو غيره أو أمر لم أحسب له حساباً).

[أخرجه أبو داود]

●وعن أَبانَ بنِ أَبِي عياش، عن أَنسِ بنِ مالِك ﷺ، قَالَ: كَتب عبد الْملِك إِلَى الْحجاجِ بنِ يوسف أَنِ انظُر إِلَى أَنسِ بنِ مالِكٍ خادِمِ رسولِ اللَّه ﷺ، فَأَدنِ مجلِسه، وأَحسِن جائِزته، وأَكْرِمه. غير أن الحجاج غضب من أنس أثناء الحديث معه وقال له: لَولا كتاب أَمِيرِ الْمؤمنِين فِيك لَضربت الَّذي فِيه عيناك. فَقُلْت: ما تقْدِر علَى ذَلِك: قَالَ: ولِم؟ قُلْت: لِأَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ

علَّمني دعاءً أَقُولُه، لا أَخاف معه من شيطَانٍ ولا سلْطَانٍ ولا سبعٍ. قَالَ: يا أَبا حمزةَ، علِّمه لابنِ أَخيك محمدِ بنِ الْحجاجِ. فَأَبيت علَيه. فَقَالَ لابنه: ائت عمك أَنساً، فَاسأَلْه أَنْ يعلِّمك ذَلك. قَالَ أَبانُ: فَلَما حضرته الْوفَاةُ دعانِي، فَقَالَ لِي: يا أَبا حمزةَ: إِنَّ لَك إِلَي انقطَاعاً، وقَد وجبت حرمتك، وإِني معلِّمك الدعاءَ الَّذي علَّمني رسولُ اللَّه ﷺ، فَلا تعلِّمه من لا يخاف اللَّه ﷻ- أَو نحو ذَلك. قَالَ: يقُولُ: «اللَّه أَكْبر، اللَّه أَكْبر، اللَّه أَكْبر، بِسمِ اللَّه علَى نفْسِي ودِينِي، بِسمِ اللَّه علَى كُلِّ شيءٍ أَعطَانِي ربي، بِسمِ اللَّه خيرِ الأسماءِ، بِسمِ اللَّه الَّذي لا يضر مع اسمه داءٌ، بِسمِ اللَّه افْتتحت، وعلَى اللَّه توكَّلْت، اللَّه اللَّه ربي، لا أُشرِك بِه أَحداً، أَسأَلُك اللَّهم بِخيرِك من خيرِك، الَّذي لا يعطِيه أَحد غَيرك، عز جارك، وجلَّ ثَناؤك، ولا إِلَه غَيرك، اجعلْنِي فِي عِياذِك من شر كُلِّ سلْطَانٍ، ومِن الشيطَانِ الرجِيمِ، اللَّهم إِني أَحترِس بِك من شر جمِيعِ كُلِّ ذِي شر خلَقْته، وأَحترِز بِك منهم، وأُقَدم بين يدي: بِسمِ اللَّه الرحمنِ الرحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤] ومِن خلْفِي مِثْلَ ذَلك، وعن يمِينِي مِثْلَ ذَلك، وعن يسارِي مِثْلَ ذَلك، ومِن فَوقِي مِثْلَ ذَلك». [عمل اليوم والليلة لابن السني]

● ومن الأدوية الشافية ما يسمى اليوم بالدواء الذاتي (أو الدواء العقلي)، وهو دواءٌ رباني، إنه الثقة بالله.

● الثقة بالله بأنه هو الشافي والمعافي وأنه القادر على الشفاء مهما اشتد المرض وتنوع وتعدد، هذا الدواء يعطي القوة للجسم فيتغلب المريض على مرضه ويشفى بإذن الله ﷻ.

●وهناك قصص كثيرة واقعية تتحدث عن العديد من المسلمين الذين أصا ـم أمراض عضال كثيرة عجز الأطباء عن معالجتها، وصرحوا للمرضى أن الموت سيأتيهم قريباً جداً، ولكن ثقة هؤلاء المرضى بالله قَوت عزيمتهم، فاشتد إقبالهم على الله، وعظم دعاؤهم، وألحوا على الله في طلب شفائهم، وتعمق حسن ظنهم بالله ﷻ، فأكرمهم الله ﷻ بالشفاء، أذكر من هذه القصص قصة واحدة على سبيل المثال لا الحصر:

– فتاة مغربية، تعمل مدرسة في فرنسا كانت مسرفةً على نفسها، مقصرةً في أداء حقوق ر ـا، مرضت مرضاً شديداً (سرطان في الرأس) عالجت نفسها في أهم مستشفيات فرنسا، وأنفقت المال الكثير واستعملت جميع الأدوية الممكنة فما استفادت شيئاً، واشتد مرضها فأخبرها أطباؤها أ ـا ستموت بعد عدة أشهر، فاستسلمت أخيراً للموت المحقق.

ولكن داعية إلى الله ذكر ـا بالله وأنه بيده الشفاء مهما عظم المرض وأرشد ـا إلى أن تذهب للحج.

ألهم الله هذه الفتاة المريضة الاستجابة لدعوة هذه الداعية المسلمة، فذهبت لأداء مناسك الحج، وهنالك وقفت في كل المواقف في مكة المكرمة وعلى عتبات الكعبة بيت الله الحرام، ناجت ر ـا وبكت ودعت وسألت من لا يخيب الرجاء، وقالت:

يا من يجيب دعا المضطرِ في الظُّلَمِ يا كاشف الضر والبلوى مع السقَمِ
قد نام وفدك حولَ البيت وانتبهوا وأنت يا حي يا قيوم لم تنمِ

ثم جهشت بالبكاء وقالت يا رب: (أجمع الأطباء على موتي وأنا أعلم أن الأمر بيدك، ولن يكون إلا ما أردت، وأنت أمرتنا بحسن الظن بك، وأنا

أظن أنك ستشفيني وتعافيني).

ثم قصدت المدينة ووقفت أمام حجرة النبي ﷺ وبكت وشكت ودعت، فرأت النبيَّ ﷺ في منامها يبشرها بالشفاء.

فلما استيقظت نظرت إلى نفسها في المرآة فوجدت الشعر قد نبت في رأسها وعادت إليها نضارة وجهها وقوة جسمها وشعرت بالشفاء التام.

وأسرعت إلى فرنسا، إلى أطبائها، فأعادوا فحصها، ذهلوا و لم يصدقوا. لقد اختفى ذلك المرض، اختفى الورم، اختفى السرطان، وعادت إليها صحتها، فكتبت كتاباً تتحدث فيه عن قصتها، جعلت عنوانه (**فلا تنسَ الله**).

العين الحاسدة

● هناك أمر هام يجب التعريج عليه وهو أن كثيراً من المسلمين إذا وقع هو أو أحد أفراد أسرته في مصيبة، أو حادث ما، أو حدث حادث في بيته أرجع ذلك إلى الحسد والعين الحاسدة.

– مثلاً: إذا مرض أحد أفراد أسرته مباشرة يقول: (عين أصابته)

– إذا تعطلت الغسالة أو الثلاجة أو السيارة مباشرة يقول: (عين أصابتها).

– يقول ذلك خاصة عندما يزوره أحد الأقارب أو الأصدقاء، فيعزو المصيبة ويرد سببها إلى عين هذا الزائر.

● قبل أن نبحث في هذا الموضوع هناك ثلاث نصائح يجب أن نعمل ا:

الأولى: إذا دخلتم بيوت الآخرين فلا تظهروا اهتمامكم بما فيها من متاع، ولا تموا بالموجودات، ولا تسألوا عنها أو عن ثمنها ومن أين اشترِيت، ولا تبدو إعجابكم بشيء منها، ولا تقولوا ما يفهم منه أ ا استرعت انتباهكم، حتى لا يتهم أحدكم بعد ذلك بأنه حسدهم، وأن عينه أصابتهم بالسوء، فقد يحدث بالمصادفة شر فيما نظرت إليه، وسألت عنه وأظهرت اهتمامك به.

النصيحة الثانية: حاول أيها الأخ المسلم أن لا تتباهى بما أنعم الله ﷻ عليك، ولا تظهر إعجابك به واهتمامك أمام الآخرين من الزائرين لك، لا تتحدث عن ذكاء ولدك، ولا تحضرهم إليهم لتريهم إياه، ولا تتحدث عما اشتريته من أدوات فخمة غالية الثمن، وخاصة في هذه الظروف التي لا يجد

الكثير من الناس الطعام أو الشراب، أَخفِ ذهبك ومذهبك وذهابك، وأَخفِ ما أنعم الله عليك ولا تظهره للآخرين، حتى لا تصاب فعلاً بالعين الحاسدة.

النصيحة الثالثة: اهتم بمن حولك من الأقارب والمعارف، وقم بمساعد م قدر الإمكان، وخفف عنهم ما يعانونه في هذه المحنة، وخاصة في هذا الشتاء الشديد البرودة، فعندما تقوم بمساعد م وتقديم العون لهم، وتشعرهم بحنانك وعطفك وإيثارك لهم، فإن ذلك يخفف عنك حسدهم لك، وحين يرونك في بيتك وعملك وعيالك في حالة حسنة، لم تصب بما أصيبوا به من فقد للبيوت والمال والعمل.

● نعود إلى موضوع بحثنا العين الحاسدة فنقول: يقِر شرعنا الحنيف الإصابة بالعين، فمن الأعين، عين حاسدة، إ ا عين إنسان مريض الأخلاق، فاسد الطباع، عديم الإيمان، غيور حسود حقود، لا يحب الخير للآخرين، قال رسول الله ﷺ: «الْعين تدخِلُ الرجلَ الْقَبر وتدخِلُ الجَملَ الْقِدر».

[الجامع الصغير للسيوطي عن أبي ذر رضي الله عنه]

● أي أن هناك نفوساً ضعيفة الإيمان، سيئة حاقدة حاسدة، لا تحب الخير للآخرين، يتجمع حقدها وشرها العميق في عينيها فتؤثر سلباً على ما تراه، فإذا ما نظرت إلى شيء ولو كان جملاً قوياً، فإ ا تؤثر فيه فتوقعه مصروعاً، فيسرع صاحبه لذبحه قبل موته ليستفيد من لحمه بعد أن خسر الجمل الذي يساوي أضعاف مضاعفة من ثمن لحمه.

● لذلك فإن النبي ﷺ يوجهنا لما يجب فعله عندما يعجبنا شيء فيقول ﷺ: «إذا رأى أحدكُم مِن نفْسِه أو مالِه أو مِن أخِيه ما يعجِبه فَلْيدع له بالبركَةِ فإِنَّ العين حق». [الجامع الصغير للسيوطي عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه]

●وفي هذا الحديث إشارة إلى أن الإنسان قد يحسد نفسه فيما أنعم الله عليه في خلقه وخلقه أو في بيته وزوجته وأولاده أو في نعمة أنعمها الله عليه، أو قد يحسد غيره فيما من الله ﷻ عليه من نعم، فأعطاه النبي ﷺ الدواء الشافي من ذلك الدعاء والالتجاء إلى الله بأن يبارك الله له وللآخرين فيما أنعم عليهم، ويحفظهم من شرور كل عين حاسدة ضارة، كذلك على المسلم أن يقرأ المعوذتين ليقي نفسه من شرور الآخرين وخاصة الحاسدين منهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾.

●والمسلم يسترشد بتوجيهات القرآن الكريم، كقوله ﷻ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩].

●ومعنى الجنة واسع، فكل ما أنعم الله ﷻ عليك هو جنة، الزوجة والأولاد، والمزرعة والسيارة، ومكان عملك وما رزِقْت من أموال، وما تشتريه من أجهزة وأدوات كلها جنة، فإن نظرت إلى هذه النعم التي حباك الله إياها، وكذلك إذا حبا الله أمثالها لغيرك، فقل: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ أي كل نعمة علي أو على الآخرين إنما هي بمشيئة الله وعطائه، ولا يوجد قوة تملك جلب الخير، أو دفع الشر إلا قوة الله، فإني التجئ إلى الله، ليحميني من شرور خلقه وليزيدني من نعمه.

●هذا وينبغي للمسلم أن يعلم أن ضرر العين الحاسدة ليس بإرادة الحاسد وقوته، وإنما بمشيئة الله وإرادته وتقديره، إن شاء ﷻ أجرى هذا الضرر أو صرفه، ومما يساعد على صرفه مواظبة المؤمن على الأوراد والأذكار والأدعية التي مرت سابقاً، مع التقيد بالوصايا الثلاث التي ذكر ا سابقاً.

● من جهة أخرى ينبغي للمسلم أن يعلم أن المصائب التي تصيبه مردها إلى مشيئة الله ﷻ، وهي إما امتحان للإيمان أو رفع للدرجات أو عقوبة لما اقترفته يداه، من هذا النوع الثالث نقرأ قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

– ويؤكد هذا المعنى قول النبي ﷺ: (لا يصيب عبداً نكبةٌ فما فوقها أو دو ا إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر). [أخرجه الترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه]

الآية والحديث يشيران إلى أن بعض المصائب قد تحصل بكسب الإنسان بسبب أخطائه أو جهله أو إهماله أو من عدم تدبيره للأمور بشكل صحيح أو عدم معرفة واقعه وحسن التعامل معه.

– من أهمل ممتلكاته ولم يحصنها وتباهى ا فسرقت، فلا يلومن إلا نفسه، ولا يعزونّ ذلك ويرده إلى عين الحاسد.

– ومن أهمل سيارته ووضعها في مكان غير آمن فصدمت فلا يلومن إلا نفسه، ولا يسوغ إهماله بالعين الحاسدة.

– ومن لم يضع في مترله على سبيل المثال منظماً للكهرباء وخاصة في هذه الحال التي نحياها التي كثر فيها انقطاع الكهرباء فجأة ثم احترقت بعض أدواته الكهربائية فلا يلومن إلا نفسه، ولا يرجع ذلك إلى العين الحاسدة، وهكذا في كل أمور حياته.

مرض الوسوسة وعلاجه

●من أنواع الأمراض المتعددة التي تعرض للإنسان مرض الوسوسة، وهو مرض يصيب العقل والنفس، وهو مرض خطير قد يؤدي إلى الجنون وانفصام الشخصية والهلوسة وغير ذلك، ومصدر هذا المرض هو الشيطان وأتباعه، فهو يدعو إلى الشر، فيسعى إلى إغواء الإنسان وخذلانه، ولم تخلُ نفس بشرية من الوسوسة، لأن لكل إنسان شيطاناً.

- قال تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤-٦].

- وقال ﷺ: «ما مِنكُم مِن أَحدٍ، إلا وقَد وكِّلَ بِهِ قَرينه مِن الْجِنِ» قَالُوا: وإِياك؟ يا رسولَ اللهِ قَالَ: «وإِياي، إِلا أَنَّ اللهَ أَعانني علَيه فَأَسلَم، فَلا يأْمرنِي إِلا بِخيرٍ». [أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

●ويكثر مرض الوسواس عند المبتدئين من طلبة العلم والعامة من الناس، لأن الشيطان يغيظه أن يسلكوا طريق الإسلام والإيمان والإحسان، وبذلك يخرجون من غوايته وخذلانه، فيسعى جاهداً إلى أن يوسوس لهم فيما يدرسونه ويتعلمونه، ليوقعهم في هذا المرض، حتى يتعبهم وينهكهم، ويؤدي بهم إلى تكرار أعمالهم وعباداتهم حتى يصلوا إلى الضجر من أفعالهم، ثم يؤثر على عقولهم وتصرفاتهم إلى حد بلوغ الجنون أو انفصام الشخصية.

●ووساوس الشيطان كثيرة ومتعددة ومتنوعة، يحاول من خلالها أن ينفذ إلى مجالات حياة الإنسان كلها فيفسدها.

– فيوسوس له في طعامه وشرابه، وفي مسكنه وملبسه، وفي إيمانه وملته، وفي شهواته وأهوائه، وفي عقيدته وعبادته، وفي وضوئه وصلاته، وفي صومه وزكاته، وفي عمرته وحجه، وعند نومه واستيقاظه، وفي ناره وليله، وفي تفكيره وعلمه وعمله، وفي ذهابه وإيابه، وفي كلامه وصمته وذكره، وفي كل أمور حياته ودينه وآخرته....

وفي القرآن الكريم العديد من الآيات التي تظهر أعمال الشيطان ووسوسته في صدور الناس، وأولى وسوسته كانت لأبينا آدم وأمنا حواء، فكانت السبب في خروجهما من الجنة، وقد قال تعالى إخباراً عن عدونا إبليس لما سأله الله عن سبب امتناعه عن السجود لآدم فاحتج بأنه خير منه، فأخرجه الله من الجنة، فسأله إبليس أن ينظره فأنظره، فقال عدو الله: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

●ومن وساوس الشيطان للإنسان ما يكون عند الطهارة والوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج، وسائر العبادات، فيوسوس له عند أدائه هذه العبادات بأنه لم يحتط بأدائها، ولم يلتزم الورع فيها، فيتعب المسلم ويرهقه، ويوقعه بالشك والظن بعدم القبول، أو فساد العمل، ويحمله على إعادة هذه الأعمال فيضيع الوقت والجهد والساعات والدقائق، وتخرج الصلاة عن أوقاتها بلا سبب، مع حوار نفسي، وشك داخلي، وكل ذلك وسوسة لا أصل لها، ولا لزوم لها، ولا حقيقة معها، حتى يصل الأمر إلى مرض والعياذ بالله، يصعب معه الشفاء.

السؤال ما الوقاية، وما العلاج من مرض الوسوسة؟

أولاً– أن يعلم المسلم أن الوسوسة مرض يصيب الإنسان عن طريق الشيطان، يجب الحذر منه، والابتعاد عنه، وعدم الالتفات إلى سببه وهي الوسوسة، منذ اللحظات الأولى التي يبدأ الشيطان بوسوسته، فلا يعيد وضوءه وإن أشعره الشيطان بأن وضوءه قد فسد، لأن ذلك إنما هو من وسوسة الشيطان، ولا يكرر قراءته في الصلاة على أ ا غير صحيحة فهي صحيحة إلا أن الشيطان يوهمه بأ ا غير صحيحة.

– فأول ما يشعر المسلم ذه الوساوس ينبغي عليه أن يتيقن أ ا من الشيطان لا أصل لها، ولا يلتفت إليها، ولا يعمل بمقتضاها، ولا يفكر ا حتى لا تتمكن منه، فإن تمكنت منه فقد توقعه في المهالك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦].

ثانياً– إذا حاول الشيطان التأثير على المسلم بمثل هذه الوسوسة وجب عليه أن يرجع إلى ما حكاه القرآن عن الشيطان من قوله: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

– وأن يعلم هذا المسلم أن الشيطان يأتي ابن آدم من الجهات الأربعة من الأمام والخلف واليمين والشمال، فبقي للعبد جهتان، جهة الأعلى وهي جهة السماء فعليه أن يدعو ربه، وجهة الأسفل وهي جهة الأرض فعليه أن يسجد لربه، راجياً مناجياً طالباً من الله أن يحفظه من شر الشيطان من الإنس والجن، ومن قصد ربه مخلصاً وجهه لله تعالى، قاصداً رضاه، راغباً عمن سواه، لن يخذله الله ﷻ، بل يحفظه من الشرور كلها، ويشفيه من جميع الأمراض، ويرد

كيد الشيطان ووساوسه عنه، ويقيه الله ﷻ مكائد الشيطان وإغواءه وضلالته: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

- والمؤمن الحق إذا شعر بوسوسة الشيطان أسرع إلى ذكر الله ليطرد هذه الوسوسة، كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٠-٢٠١].

ثالثاً- من أفضل الوقاية والعلاج من الوساوس استعمال الأدوية النبوية التي تختص بكل نوع منها:

أولاً- الوسوسة الاعتقادية: وهي التي يحاول فيها الشيطان أن يشكك المسلم في عقيدته وإيمانه بربه، عن أَبي هريرةَ ﷺ، قَالَ: جاءَ ناس من أَصحاب النبي ﷺ، فَسأَلُوه: إنا نجد في أَنفُسنا ما يتعاظَم أَحدنا أَنْ يتكَلَّم بِهِ، قَالَ: «وقَد وجدتموه؟» قَالُوا: نعم، قَالَ: «ذَاك صرِيح الإِيمان».

[أخرجه مسلم]

- وعنِ ابنِ عباسٍ، قَالَ: جاءَ رجلٌ إِلَى النبي ﷺ، فَقَالَ: يا رسولَ اللَّه، إِنَّ أَحدنا يجد في نفْسِه، يعرض بِالشيءِ، لأَنْ يكُونَ حممةً (رماداً وفحماً) أَحب إِلَيه من أَنْ يتكَلَّم بِه، فَقَالَ: «اللَّه أَكْبر، اللَّه أَكْبر، اللَّه أَكْبر، الْحمد للَّه الَّذي رد كَيده إِلَى الْوسوسة». [أخرجه أبو داود]

- فالوسوسة في هذا الموضوع والخوف منها دليل على الإيمان الحقيقي ودواؤها ما رواه أبو هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «يأْتِي الشيطَانُ أَحدكُم

فَيقُولُ: من خلَق كَذَا، من خلَق كَذَا، حتى يقُولَ: من خلَق ربك؟ فَإِذَا بلَغه فَلْيستعِذْ بِاللَّهِ ولْينته» [أخرجه البخاري]

– وفي رواية أبي داود: (فإذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً وليستعذ من الشيطان).

ثانياً– الوسوسة في العبادات: ومنها الوسوسة في **الوضوء**، ووسوسة الوضوء متنوعة بين التكرار أو الشك أو الإعادة أو الشعور بانتقاضه، وكلها وساوس لا أصل لها، يمكن الوقاية منها أو العلاج بأن يعلم المسلم أ ا مجرد وسوسة لا حقيقة لها، وأ ا من الشيطان ليوقعه في براثنه، حتى يضيق ذرعاً أو يضيع وقته، أو يصل إلى كراهية نفسه، ثم كراهية وضوئه ودينه وحياته، وكراهية الآخرين له فما عليه إلا أن يدفع كل ذلك، ولا يلقِ لها بالاً، متذكراً قول النبي ﷺ: «إِنَّ لِلْوضوءِ شيطَاناً يقَالُ لَه ولَهانُ، فَاتقُوا وسواس الْماءِ».

[أخرجه ابن ماجه عن أبي بن كعب]

– وعن عمرِو بنِ شعيبٍ، عن أَبيه، عن جده قَالَ: جاءَ أَعرابِي إِلَى النبِي ﷺ يسأَلُه عنِ الْوضوءِ، فَأَراه الْوضوءَ ثَلاثاً ثَلاثاً، ثُم قَالَ: «هكَذَا الْوضوءُ، فَمن زاد علَى هذَا فَقَد أَساءَ وتعدى وظَلَم». [أخرجه النسائي]

– وهناك الوسوسة في **الطهارة**: بأن يوسوس الشيطان للمسلم بأن وضوءه انتقض، وعليه أن يعيد وضوءه وكلما كرر الشيطان الوسوسة أعاد المسلم الوضوء، والوقاية والعلاج من هذه الوسوسة، العمل بإرشادات النبي ﷺ، فقد روى أبو هريرة ﷺ فقال، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا وجد أَحدكُم فِي بطْنِهِ شيئاً، فَأَشكَلَ علَيهِ أَخرج مِنه شيءٌ أَم لا، فَلا يخرجن مِن الْمسجِدِ

حتى يسمع صوتاً، أو يجد ريحاً». [أخرجه مسلم]

– وعن عبد الله بن مسعود، قَالَ: «إِنَّ الشيطَانَ يأْتِي أَحدكُم فِي صلاته فَيأْخذُ بِشعرةٍ من دبرِه، فَيرى أَنه قَد أَحدثَ فَلا ينصرِف حتى يسمع صوتاً أَو يجِد رِيحاً». [أخرجه الطبراني]

– ويستحب للإنسان أن ينضح سرواله بالماء إذا بال ليدفع عن نفسه الوسوسة، فمن وجد بللاً قال: هذا من الماء الذي نضحته، لما رواه أبو داود: «كان النبي ﷺ إِذَا بالَ يتوضأُ وينتضِح».

– وهناك الوسوسة في الصلاة فيلبس عليه في النية للصلاة أو تكبيرة الإحرام أو القراءة فيكرر كل ذلك ظناً منه أنه لم يردد حروفها بشكل صحيح وغير ذلك من أنواع الوسوسة والخداع والمكر الإبليسي، فينبغي للمسلم أن لا يدع هذه الوساوس تجري فيه، وأن يردد في نفسه قول الله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾. [الحج: ٧٨]

– وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.
[البقرة: ١٨٥]

رابعاً– وأخيراً فإن أوجب ما يجب على المسلم في العلاج والوقاية من الوسوسة الرجوع إلى أهل العلم واليقين، وأهل الصلاح والإيمان، عند ظهور بوادر هذا المرض عند المسلم، مستشيراً إياهم، وآخذاً منهم العلم الصحيح، والوقاية الناجحة، والعلاج الشافي، والخبرة الطويلة، والدين القويم، واليسر والتيسير.

● ورد في الأثر عن محمد بن واسع (وهو من التابعين) أنه كان يدعو الله كل يوم بدعاء خاص، فجاءه شيطان وقال له: يا إمام أعاهدك بأني لن

أوسوس لك أبداً ولن آتيك ولن آمرك بمعصية ولكن بشرط أن لا تدعو الله بهذا الدعاء ولا تعلمه أحد!

فقال له الإمام: كلا سأعلمه لكل من قابلت، وافعل ما شئت، فقد كان يدعو فيقول: اللهم إنك سلطت علينا عدواً عليماً بعيوبنا، يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم، اللهم آيسه منا، كما آيسته من رحمتك، وقنطه منا كما قنطته من عفوك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك وجنتك.

● اللهم أبعد الشياطين ووساوسهم عنا، وعن أولادنا، وعن أهلينا، واحفظنا بحفظك العظيم من شرور خلقك أجمعين، ومن الجن والإنس، وأحطنا بعنايتك ورعايتك يا كريم.

موقف الإسلام من السحر والسحرة

● العقيدةُ السليمةُ هي أساس ا تمع الإسلامي، والتوحيد هو جوهر هذه العقيدة، وروح الإسلام كلِّه، وحمايةُ هذه العقيدة وهذا التوحيد الخالص، هو أولُ ما يسعى إليه الإسلام في تشريعه وفي إرشاده، ومحاربةُ المعتقدات الجاهلية التي أشاعتها الوثنيةُ الضالَّةُ أو الصهيونية العالمية أمر لا بد منه لتطهير ا تمع المسلم من شوائب الشرك وبقايا الضلال.

● وكانَ من أول العقائد التي غرسها الإسلام في نفوس أبنائه أنَّ هذا الكونَ الكَبير الذي يعيش الإنسانُ فوق أرضه وتحت سمائه، لا يسير جزافاً أو يمشي على غير هدى، كما أنه لا يسير وفْق هوى أحدٍ من الخلق فإنَّ أهواءَهم -مع عماها وضلالها- متضاربةٌ متنافرةٌ.

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾.

[المؤمنون: ٧١]

● ولكن هذا الكونَ تنتظمه قوانين مطَّردةٌ، وسنن ثابتةٌ، لا تتبدلُ ولا تتحولُ كما أعلن القرآنُ ذلك في غير آية: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣].

● وقد تعلَّم المسلمونَ من كتاب ر م وسنة نبيهم، أن عليهم أن يتعرفوا هذه السنن الكونيةَ، ويعملوا بمقتضاها، ويطلبوا المسببات من أسبابها التي ربطها اللهُ ا، ويعرضوا عما يقالُ عن الأسباب الخفية المزعومة التي يلجأُ إليها ويروجها عادةً سدنةُ المعابد، ومحترفو الدجل، والمتاجرونَ بالأديان.

● وقد جاء النبي ﷺ فوجد في ا تمعِ طائفةً من الدجالين تعرف باسمِ (الكهانِ) أو (العرافين) الذين يدعونَ معرفة الغيوبِ الماضيةِ والمستقبليةِ، عن طريقِ اتصالهم بالجِّن أو غيرِ ذلك، فأعلن الرسولُ ﷺ الحرب على هذا الدجلِ الذي لا يقوم على علمٍ ولا هدى ولا كتابٍ منير.

– وتلا عليهم ما أوحى اللهُ به: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

فلا الملائكة ولا الجن، ولا البشر يعلمون الغيب.

– وأعلن عليهِ الصلاةُ والسلام بأمرِ ربه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

– وأخبر تعالى عن جنِ سليمانَ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

– فَمن ادعى معرفة الغيبِ الحقيقي، فهو كاذب على الله وعلى الحقيقة وعلى الناسِ.

● لم تقتصر حملَةُ الإسلامِ على الكهانِ والدجالين وحدهم، بل أَشرك معهم في الإثمِ من يجيئُونهم ويسألونهم ويصدقونهم في أوهامِهم وتضليلهم قالَ عليه الصلاةُ والسلام: «من أَتى عرافاً فسألَه عن شيءٍ، فصدقَه بما قالَ لم تقبل له صلاةٌ أربعين يوماً». [أخرجه مسلم]

– وقالَ ﷺ: «من أَتى كَاهناً، أَو عرافاً، فَصدقَه بِما يقُولُ، فَقَد كَفَر بِما أُنزِلَ علَى محمدٍ ﷺ». [أخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه]

●ذلك أنَّ مما أُنزِلَ على محمدٍ ﷺ أن الغيب لله وحده، وأن محمداً لا يعلم الغيب، ولا غَيره من باب أولى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٠].

●فإذا عرف المسلم هذا من قرآنه صريحاً واضحاً، ثمَّ صدق أن بعض الخَلْقِ يكْشفُونَ أستار القَدرِ، ويعلمونَ ما يكنه صدر الغيبِ من أسرارٍ، فقد كَفَر بما أُنزِلَ على رسوله محمد ﷺ.

●ومن ذلك أنَّ الإسلام قاوم السحر والسحرةَ، وقال القرآن فيمن يتعلمون السحر: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

●فمن أنواع البلايا والامتحانات في هذه الدنيا موضوع السحر، والسحر إما حيلة بخفة يد وشعوذة، وإما صناعة وعلم خفي يعرفه بعض الناس، ولهم صلة بالجن والشياطين يتعاونون معهم لإيذاء الناس.

●والساحر في هذه الحالة كافر ولو ادعى الإسلام، لأن له علاقة بالجن والشياطين يتعاون معهم على إيذاء الآخرين، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾.

●والسحر علم حقيقي يؤخذ عن هؤلاء السحرة للتأثير في الناس، وخاصة بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

●هذا وينبغي للمؤمن أن يعلم أن الضرر الحاصل بسبب السحر ليس

حاصلاً بقدرة الساحر وبحقيقة إمكانيته في السحر، ولكن الضرر يحدث بعلم الله ومشيئته وإرادته وتقديره، فإن شاء ﷻ أمضى الضرر أو صرفه، ومما يساعد على صرف أذى هذا الساحر عن المؤمن ما ورد عن النبي ﷺ من أوراد وأذكار وأدعية مما أوحاه الله إليه في القرآن الكريم تصرف أذى هذا السحر عن المسحور، فالمؤمن الذي يحافظ عليها لن يصاب بإذن الله بأذى السحرة والجن والشياطين، بين ذلك الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

● هذا وقد ورد لفظ السحر في القرآن الكريم سبعاً وخمسين مرة.

● وقد نص السلف الصالح على حرمة التعامل مع السحرة أو الذهاب إليهم أو الاعتماد عليهم أو تصديقهم أو تسخيرهم في إيذاء الغير، مستدلين بقول رسول الله ﷺ: «من أَتى كَاهناً، أَو عرافاً، فَصدقَه بِما يقُولُ، فَقَد كَفَر بِما أُنزِلَ علَى محمدٍ». [أخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه]

● هذا وإن من السفه وقلة العقل وضعف الإيمان أن يذهب الجهلة من المسلمين إلى أمثال هؤلاء لمعالجة أمر من أمور حيا ـم، من مرض يعانونه، أو حاجة يطلبو ـا، لأن ذلك شرك بالله ﷻ، واعتماد على بشر لهم صلة بالجن والشياطين، وبذلك يقع في الكفر والعياذ بالله.

● وهؤلاء الذين يدعون السحر والعمل به أو الشفاء من الأمراض المتعددة، هم دجالون مشعوذون ولو أطلقوا على أنفسهم اسم شيخ أو غير ذلك من الألقاب، وكثيراً ما نسمع عن دجلهم وما ارتكبوه من محرمات، وخاصة مع النساء اللائي يأتين إليهم بأساليب كثيرة.

● هذا ويجب أن يعلم المؤمن علم اليقين أن الله ﷻ لم يخص أحداً بعلم

الغيب، بل استأثر به ﷻ كما قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]

● وينبغي للمسلم أن يبتعد عن السحر وأعماله، ويبتعد عن السحرة وأمثالهم، وأن لا يفكر في إيذاء الآخرين أبداً، ولا يطلب السحر من أجل التقرب من الآخرين أو تقر م منه ولا من أجل الحب وغير ذلك.

● وإنما ينبغي للمسلم أن يلجأ إلى العلاج المناسب من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ بالأدعية والأذكار الواردة في ذلك.

● وقد عد النبي ﷺ السحر من كبائرِ الذنوبِ الموبقاتِ، التي تهلك الأمم قبلَ الأفرادِ، وتردي أصحا ا في الدنيا قبلَ الآخرةِ قال: «اجتنبوا السبع الموبقاتِ (الذنوب المهلكات وهن من أكبر الكبائر) قالوا يا رسولَ الله وما هي؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقَتلُ النفسِ التي حرم اللهُ إلا بالحق، وأَكْلُ الربا وأكلُ مالِ اليتيمِ، والتولّي يوم الزحفِ، وقَذْف المحصناتِ الغافلاتِ المؤمنات».

[متفق عليه]

● وقد عد بعض فقهاءِ الإسلامِ السحر كُفراً، أو مؤدياً إلى الكُفْرِ، وذهب بعضهم إلى وجوبِ قَتلِ الساحرِ تطهيراً للمجتمع من شره.

– وعلمنا القرآن الاستعاذة من شر أرباب السحر: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤].

– والنفثُ في العقَدِ من طرائقِ السحرِ وخواص السحرةِ وفي الحديث: «من نفَثَ في عقدةٍ فقد سحر ومن سحر فقد أشرك». [أخرجه الطبراني]

● وكما حرم الإسلام على المسلمِ الذهاب إلى العرافين لسؤالِهم عن

الغيوبِ والأَسرارِ حرم عليه أن يلجأَ إلى السحرِ أو السحرةِ لعلاجِ مرضٍ اُبتلى به، أو حل مشكلة استعصت عليه، فهذا ما برئ رسولُ الله ﷺ منه، قال: «ليس منا من تطَير أو تطُير له، أو تكَهن أو تكُهن له، أَو سحر أو سحِر له».

[أخرجه البزاز بإسناد جيد]

- ويقول الرسول ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ مدمِن خمرٍ، ولا مؤمن بِسِحرٍ، ولا قاطع رحِمٍ». [أخرجه ابن حبان]

● فالوعيد والتحريم هنا ليس مقصوراً على الساحِر وحده وإنما يشملُ كلَّ مؤمنٍ بِسِحرِهِ مشجع لَه، مصدق لما يقولُ.

● وتشتد الحرمةُ وتفْحش إذا كان السحر يستعملُ في أغراضٍ هي نفسها محرمةٌ، كالتفريقِ بين المرءِ وزوجِهِ، والإضرارِ البدنيِّ، وغيرِ ذلك مما يعرف في بيئةِ السحارين.

● وليعلم هؤلاء أن الساحر لا يقدر على شيءٍ من الأمورِ الخارقةِ و أنّ السحر يعتمد في الغالبِ على الخداعِ والتخيلاتِ والتمويهاتِ وإنَّ السحرةَ لضالون مضلون.

● ومن هذا الباب تعليق التمائِمِ والودعِ ونحوِها (وهي الخرز الذي يعلق مخافة العين)، على اعتقادِ أ ا تشفِي من المرضِ أو تقِي منه، وما زالَ في القرنِ العشرين من يعلّق على بابِه حذاءَ فَرسٍ، وما زالَ بعض المضلّين إلى اليومِ في كثيرٍ من البلاد يستغلونَ جهلَ الدهماءِ، ويكْتبونَ لهم حجباً وتمائم، يخطُّونَ فيها خطوطاً وطلاسِم، ويتلُونَ عليها أقساماً وعزائِم، ويزعمون أ ا تحرس حامِلَها من اعتداءِ الجن، أو مس العفاريتِ، أو شر العينِ والحسدِ، إلى آخرِ ما يزعمون.

● **وللوقايةِ والعلاجِ** طُرق معروفَةٌ شرعها الإسلام، وأَنكَر على من تركَها واتجه إلى طُرقِ الدجالين المضلين.

– قال ﷺ: «إن الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا». [أخرجه أحمد]

– وقال: «إنْ كانَ في شيءٍ من أدويتِكُم خير، ففي هذه الثلاثة: شربةِ عسلٍ، أو شرطَةِ محجم، أو كَيةِ نارٍ». [متفق عليه]

● وهذه الأنواع الثلاثة تشملُ بروحِها وبالقياسِ عليها في عصرِنا، ما يتناولُ من الدواءِ بطريقِ الفمِ، والتداوي بطريقِ العمليةِ الجراحيةِ، والتداوي بطريق الكَي، ومنه العِلاج بالكهرباءِ.

● أما تعليق خرزةٍ أو ودعة حجابٍ، أو قراءةِ بعضِ الرقَى المُطَلْسمةِ، للعلاجِ أو الوقايةِ؛ فهو جهلٌ وضلالٌ يصادِم سنن اللهِ، وينافي توحيده.

– عن عقْبةَ بنِ عامرٍ أنه جاءَ في ركْبِ عشرةٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فبايع تسعةً، وأمسك عن رجلٍ منهم، فقالوا: ما شأنه؟ فقال: إن في عضده تميمة! فقطع الرجل التميمة، فبايعه رسول الله ﷺ ثم قال: «من علَّق فقد أَشرك».

[أخرجه أحمد والحاكم]

– وفي حديث آخر قال: «من علَّق تميمةً فلا أَتم اللهُ له، ومن علَّق ودعةً فلا أَودع اللهُ له». [أخرجه أحمد وأبو يعلى]

– وعن عِمران بنِ حصينٍ أن رسولَ اللهِ ﷺ أَبصر على عضدِ رجلٍ حلَقَةً أَراه قال: مِن صفْرٍ، فقالَ: ويحك ما هذا؟ فقال: من الواهِنةُ (الضعف)؟ قالَ: أما إ ا لا تزِيدك إلا وهناً، وانبذها عنك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً». [أخرجه أحمد وابن حبان وابن ماجه]

●وقد أَثَّرت هذه التعاليم في أصحابِ النبي ﷺ فارتفعوا بأنفسِهم عن قبولِ هذه الأضاليل، وتصديق تلك الأباطيل.

– عن عيسى بن حمزةَ قال: دخلت على عبدِ اللهِ بن حكيمٍ وبهِ حمرةٌ، فقلت: ألا تعلّق تميمة؟ فقال: نعوذُ بالله من ذلك، وفي روايةٍ: الموت أقرب من ذلك قالَ رسول الله ﷺ: «من علَّق شيئاً وكل إليه» [أخرجه الترمذي]

– وعن ابن مسعود أنه دخل على امرأته وفي عنقِها شيءٌ معقود، فجذبه فقطعه ثم قال: لقد أصبح آلُ عبدِ الله أغنياءَ أن يشركوا بالله ما لم يترلْ به سلطاناً، ثم قال سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إن الرقَى والتمائم والتولَة شرك» قالوا: يا أبا عبدِ الرحمن هذه الرقَى والتمائم قد عرفناها فما التولَةُ؟ قال: شيءٌ تصنعه النساءُ يتحببن إلى أزواجِهن».

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم]

●وهو لونٌ من ألوانِ السحرِ قالَ العلماءُ: المنهي عنه من الرقَى ما كان بغيرِ لسانِ العربِ فلا يدرى ما هو، ولعلَّه قد يدخلُه سحر أو كُفر، فأما إذا كانَ مفهوم المعنى وكان فيه ذِكر اللهِ تعالى، فإنه مستحب، والرقيةُ حينئذٍ دعاءٌ ورجاءٌ إلى اللهِ لا علاج ودواءٌ.

●وقد كانت رقى أهلِ الجاهليةِ ممزوجةً بالسحرِ والشركِ أو الطلاسِمِ، التي ليس لها معنى مفهوم.

– وقد روي أنَّ ابن مسعودٍ رضي الله عنه ى امرأته عن مِثْلِ هذه الرقى الجاهلية، فعن زينب امرأَةِ عبدِ اللهِ عن عبدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: سمعت رسولَ الله ﷺ يقُولُ: «إِنَّ الرقَى والتمائم والتولَةَ شرك». قَالَت: قُلْت: لِم تقُولُ هذَا؟ واللهِ لَقَد كَانت عينِي تقْذِف فَكُنت أَختلِف إِلَى فُلانٍ الْيهودِي يرقِينِي فَإِذَا رقَانِي

سكَنت. فَقَالَ عبد الله: إنما كَانَ ذَلك عملَ الشيطَان، كَانَ ينخسها بيده فَإِذَا رقَاها كَف عنها، إنما كَانَ يكْفيك أَنْ تقُولي كَما كَانَ رسولُ الله ﷺ يقُولُ: «أَذْهبِ الْبأْس رب الناسِ، اشفِ أَنت الشافِي، لا شفَاءَ إلا شفَاؤك، شِفَاءً لا يغادِر سقَماً». [أخرجه البيهقي]

● مما تقدم نجد أن على المسلمِ أن يتحرى الحلالَ ويبتعد عن الحرامِ من كل شيءٍ من عاداتٍ وتقاليد، وأصدقاءَ وزملاءَ وسهراتٍ ومجالس، وندواتٍ ولقاءاتٍ، وحديثٍ واجتماعاتٍ ومناقشاتٍ وقيلٍ وقال، ونظرٍ وسماعٍ، ومناظر ومشاهدٍ وصورٍ، وأفلام سينمائيةٍ أو تلفزيونيةٍ، أو كمبيوتر أو إنترنت أو غيرِ ذلك من الوسائلِ الحديثة مما يضر بالدين، ويظهر المفَاسد والمحرمات، وما يثير النفس والشهواتِ، ويضيع الوقت والصلوات.

● وقد ورد عن بعض الأئمة من العلماء الأفاضل ما يعالج به السحر، ويتقى به، وفيما يلي بيان للأشياء المباحة شرعاً التي يتقى ـا خطر السحر قبل وقوعه، والأشياء التي يعالج ـا بعد وقوعه:

أما النوع الأول: وهو الذي يتقى به خطر السحر قبل وقوعه، فأهم ذلك وأنفعه هو التحصن بالأذكار الشرعية، والدعوات والتعوذات المأثورة، ومن ذلك:

– قراءة آية الكرسي والأذكار المأثورة عن النبي ﷺ بعد التسليم من كل صلاة، وكذلك قراء ـا عند النوم، وآية الكرسي: هي أعظم آية في القرآن الكريم وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح». [أخرجه البخاري]

- ومن ذلك قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ١-٥].

و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١-٦].

خلف كل صلاة مكتوبة، وقراءة السور الثلاث (ثلاث مرات): في أول النهار بعد صلاة الفجر، وفي أول الليل بعد صلاة المغرب.

- ومن ذلك قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في أول الليل، وهما قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [٢٨٥-٢٨٦].

– فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه». [أخرجه البخاري]

والمعنى والله أعلم: كفتاه من كل سوء.

– وقال ﷺ: «إنَّ اللَّه كَتب كِتاباً قَبلَ أَنْ يخلُق السموات والأرض بأَلْفَي عامٍ، أَنزلَ منه آيتينِ ختم بِهما سورةَ الْبقَرةِ، ولا تقْرآنِ فِي دارٍ ثَلاثَ لَيالٍ فَيقْربها شيطَانٌ». [أخرجه الترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه]

● وينبغي للمسلم إذا ما رابه أمر في بيته، لا يدرك كُنهه مما يسبب الغضب أو كثرة الانزعاج والخلافات فيما بينه وبين أحد أفراد أسرته أو ضيقاً في الصدر وضجراً من الحياة، أو دخل أحد من الغافلين عن الله ﷻ إلى بيته أن يقرأ سورة البقرة فلها أثرها الشافي في مثل هذه الأمور، فقد ورد في ذلك أحاديث عن النبي ﷺ:

– منها: «لا تجعلُوا بيوتكُم مقَابر، وإِنَّ البيت الَّذي تقْرأُ فِيه البقَرةُ لا يدخلُه الشيطَانُ». [أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه]

– ومنها: «إِنَّ لِكُلِّ شيءٍ سناماً، وإِنَّ سنام الْقُرآنِ سورةُ الْبقَرةِ، من قَرأَها فِي بيته لَيلَةً لَم يدخلْه شيطَانٌ ثَلاثَ لَيالٍ، ومن قَرأَها فِي بيته نهاراً لَم يدخلْه شيطَانٌ ثَلاثَةَ أَيامٍ». [أخرجه الطبراني عن سهل بن سعد رضي الله عنه]

– ومنها: «سورةُ الْبقَرةِ فِيها آيةٌ سيدةُ آيِ الْقُرآنِ، لا تقْرأُ فِي بيتٍ وفِيهِ شيطَانٌ، إِلا خرج مِنه آيةُ الْكُرسِي».

[أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه]

– ومن ذلك الإكثار من التعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، في الليل والنهار، وعند النزول في أي منزل في البناء، أو الصحراء، أو الجو، أو

البحر؛ لقول النبي ﷺ: «من نزل مترلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من مترله ذلك». [أخرجه مسلم]

- ومن ذلك: أن يقول المسلم في أول النهار وأول الليل (ثلاث مرات): «باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم». [أخرجه الترمذي]

فهذا مما ورد الترغيب فيه عن رسول الله ﷺ، وأنه سبب للسلامة من كل سوء.

● وهذه الأذكار والتعوذات من أعظم الأسباب في اتقاء شر السحر وغيره من الشرور لمن حافظ عليها بصدق وإيمان، وثقة بالله واعتماد عليه، وانشراح صدر لما دلت عليه.

●وهي أيضاً من أعظم الأسلحة لدفع السحر بعد وقوعه، مع الإكثار من الضراعة إلى الله، وسؤاله سبحانه: أن يكشف الضرر، ويزيل البأس، ومن الأدعية الثابتة عنه ﷺ في علاج الأمراض من السحر وغيره، وكان ﷺ يرقي ا أصحابه: «اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً». [أخرجه البخاري]

- ومن ذلك الرقية التي رقى ا جبرائيل النبي ﷺ وهي قوله: «باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك». [أخرجه مسلم]

وليكرر ذلك (ثلاث مرات).

●ومن علاج السحر بعد وقوعه أيضاً: أن يأخذ سبع ورقات من السدر الأخضر (شجرة النبق) فيدقها بحجر أو نحوه، ويجعلها في إناء ويصب فيه من

الماء ما يكفيه للغسل، ويقرأ فيه (آية الكرسي)، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

- والآيات التي ذكر فيها السحر التي في سورة الأعراف، من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧-١٢٢].

- والآيات التي في سورة يونس، من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٧٩-٨٢].

- والآيات في سورة طه من قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.
[طه: ٦٥-٦٩]

●وبعد قراءة ما ذكر على الماء يشرب منه بعض الشيء ويغتسل بالباقي، وبذلك يزول الداء إن شاء الله تعالى، وإذا دعت الحاجة لاستعماله أكثر من مرة فلا بأس، حتى يزول الداء بإذن الله تعالى. ومن علاجه أيضاً إتلاف ما فعله الساحر من عقد أو غيرها فيما يعتقد أنه من أعمال الساحر.

● أما علاجه بعمل السحرة ونحوهم مما يتقربون به إلى الجن من ذبح أو غيره من القربات: فهذا لا يجوز؛ لأنه من عمل الشيطان، بل هو من الشرك الأكبر، كما لا يجوز علاجه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين، واستعمال ما يقولون؛ لأ ـم لا يؤمنون، ولأ ـم كذبة فجرة يدعون علم الغيب، ويلبسون على الناس، وقد حذر رسول الله ﷺ من إتيا ـم وسؤالهم وتصديقهم.

● **ومجمل القول فيما مضى: أنه ينبغي علينا أن نعلم علم اليقين أن المسلم أقوى من أي جني أو شيطان أو إبليس لقوله تعالى:** ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢].

– **وقوله** ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠].

● **إنه المسلم القوي الإيمان، المعتمد على الله والواثق به والمتوكل عليه والمتقيد بشرع الله كاملاً، والمؤدي لفرائضه وأوامره كاملة، والمبتعد عن نواهيه ومحرماته.**

● **إنه المسلم الذي يحصن نفسه وأهله كل صباح ومساء بالقرآن الكريم وآياته الشافية، وبأدعية وأذكار وأوراد المصطفى ﷺ، ويداوم عليها، ولا يغفل عنها.**

● **هذا المسلم سيكون في حصن حصين لا يقدر عليه إنس ولا جن ولا شياطين.**

● بعد كل ما مر معنا، فيما يتعلق لذه الأمراض الجسدية والعقلية، ينبغي لكل مسلم أن يعلم أن المؤمن الحق المتصل بالله ﷻ، والمتمسك بشرعه،

هو أقوى من أي تأثير خارجي يأتي من الإنس والجن، لأن هذا المسلم والَى الله فوالاه الله، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

● فالمؤمن الحق المتقي لربه، هو ولي لله ﷻ، ومن والاه الله ﷻ، فإنه يستمد قوته من الله ﷻ، وبذلك لا يستطيع مخلوق أن يؤذيه إلا بإذن الله، وهذا المؤمن إذا حفظ حدود الله، فإن الله يحفظه من كل شر، ويجعل الملائكة تحوطه بالعناية والرعاية، وإذا سأل الله شيئاً أو استعان به، فإن الله ﷻ يعطيه سؤله ويعينه على حاجته، ولن يستطيع أحد أن يضره أو ينفعه إلا بإذن من الله ﷻ، وهو على علم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه.

● هذا المؤمن قد حفظ وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما، وأيقن ا، وانشرح صدره لما فيها، فهو يرددها دائماً، ويواجه الحياة بمعانيها:

عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنت خلْف رسولِ اللَّه ﷺ يوماً، فَقَالَ: «يا غُلام إِني أُعلِّمك كَلمات، احفَظِ اللَّه يحفَظْك، احفَظِ اللَّه تجده تجاهك، إِذَا سأَلْت فَاسأَلِ اللَّه، وإِذَا استعنت فَاستعِن بِاللَّه، واعلَم أَنَّ الأُمةَ لَوِ اجتمعت علَى أَنْ ينفَعوك بِشيءٍ لَم ينفَعوك إِلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه لَك، ولَوِ اجتمعوا علَى أَنْ يضروك بِشيءٍ لَم يضروك إِلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه علَيك، رفِعت الأَقْلام وجفَّت الصحف». [أخرجه الترمذي]

وفي رواية الطبراني: «يا غُلام، احفَظِ اللَّه ﷻ يحفَظْك، احفَظِ اللَّه تجده أَمامك، تعرف إِلَى اللَّه ﷻ فِي الرخاءِ يعرِفْك فِي الشدة، واعلَم أَنَّ ما أَصابك لَم يكُن لِيخطِئَك، وما أَخطَأَك لَم يكُن لِيصيبك، واعلَم أَنَّ الْخلائق لَوِ اجتمعوا علَى أَنَ يعطُوك شيئاً لَم يرِدِ اللَّه ﷻ أَنْ يعطِيك لَم يقْدِروا علَيه،

أَو يصرِفُوا عنك شيئاً أَراد اللَّه ﷻ أَنْ يصيبك به لَم يقْدِروا علَى ذَلك، فَإِذَا سأَلْت فَاسأَل اللَّه ﷻ، وإِذَا استعنت فَاستعِن باللَّه ﷻ، واعلَم أَنَّ النصر مع الصبرِ، واعلَم أَنَّ الْفَرج مع الْكَربِ، وأَنَّ مع الْعسرِ يسراً، واعلَم أَنَّ الْقَلَم قَد جرى بِما هو كَائن».

● كما أن هذا المؤمن على علم يقيني أن ما أصابه هو مما كتبه الله ﷻ عليه، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

فالمؤمن دائماً يلتجئ إلى الله الذي هو وليه، متوكلاً عليه، داعياً أن يحفظه من كل ذي شر هو آخذ بناصيته.

● **أخيراً: أسأل الله ﷻ**: أن يوفق المسلمين للعافية من كل سوء، وأن يحفظ عليهم دينهم ويرزقهم الفقه فيه، والعافية من كل ما يخالف شرعه، اللهم ارزقنا العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة وفي المال والأهل والولد، واحفظنا من شرور خلقك أجمعين برحمتك يا رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المقدمـــــة

– بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، والمبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

– كنت قد قدمت كتابي: (وقفات إيمانية في البلايا والمصائب والفتن الامتحانية) بوصفه علاجاً ودواء ووقاية وشفاء من المعاناة الشديدة التي يعيشها أهل الشام –والتي لم يشهد التاريخ مثلها مع تعاقب السنين، إ ا المعاناة الناجمة عن هذه الفتنة وما صحبها من البلايا والمصائب والمحن التي أكلت الأخضر واليابس، وحطمت الأسر، وفرقت أفرادها، وأصيب بنارها الناس جميعاً ونالهم أذاها إن قليلاً وإن كثيراً، على مختلف مشار م وأفكارهم ومذاهبهم وأديا م وقوميا م.

– فقدمت في كتابي السابق مواقف متعددة لهؤلاء المتألمين، عسى أن تكون لهم شفاء ودواء ومعالجة لتلك المواجهات الصعبة، والامتحانات الشديدة، والبلايا الكثيرة، والفتن المتنوعة، والمصائب المتعددة، وعسى أن يسلموا من الأخطاء التي قد يقعون فيها وهم يعيشون تلك المعاناة، وبينت لهم الطريق المستقيم، طريق الذين أنعم الله عليهم، وبينت كل شاردة وواردة، وكيفية التعامل مع المستجدات بما يرضي الله ﷻ، وبما ينقذهم من هذا الواقع الأليم.

– ومع استمرار هذه الفتنة وتشعبها وطول مد ا وجدتني مدفوعاً إلى متابعة هذا الطريق وإرشاد الناس إلى الطريق المستقيم في مواجهة هذا الخطر العظيم والبلاء الشديد، فعكفت على بيان المسالك الواجب اتباعها، والمواقف التي يجب سلوكها، والحكم البالغة التي يجب أن نتمسك ا، مع الدلالة على

الدواء الشافي، والمعالجة الحتمية التي يجب اتخاذها لننجو من أخطار ما يواجهنا، ولتثبيت وتعميق إيماننا وحسن ظننا بالله ﷻ واللجوء إليه في كل أحوالنا منتظرين الفرج منه ﷻ عاجلاً غير آجل.

- وتحقيقاً لما ذكرت انتقيت جواهر من القرآن والسنة، وسير الصحابة والتابعين، والأولياء والصالحين، ضممتها ونظمتها في عقد من الخواطر والمقالات والخطب والدروس.

- وقفات أتابع ـا الوقفات السابقة عسى أن تكون وقاية وبلسماً، ودواء وشفاء، لكل مسلم يعاني معاناة اهتزت لها الجبال و لم تتحملها السدود والحصون الشداد.

- أرجو من الله ﷻ القبول، ومن القراء الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف المربي

د. محمد خير فاطمة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ففروا إلى الله

● يتلو المسلمون القرآن الكريم وكل منهم يأمل بتلاوته لكتاب ربه أن يتحقق له ما يرجوه ويأمله، فمنهم من يرجو تجلي الأنوار الإلهية عليه، ومنهم من يرجو أن تكون تلاوته الدواء والشفاء من أمراض نفسية أو جسدية يعاني منها أو يعاني منها أحد أفراد أسرته، ومنهم من يقرؤه للبركة وكثرة الرزق، ومنهم من يقرؤه لزيادة الحسنات، فقراءة كل حرف من القرآن له به عشر حسنات، ومنهم من...

● ولكن هناك من يتلو القرآن تلاوة المتدبر الجاد في إدراك معانيه، ليستنبط منه توجيهات الله وإرشاداته، ووصاياه وحكمه، ليسقطها على حياته وحاجاته وآماله، فيكون القرآن منهجاً له.

● تعالوا نتلُّ القرآن بطريقة التدبر والتفكر والتمعن لنستفيد من تلاوتنا ونسقطها على حالنا.

● في أواخر سورة الذاريات ذكر لعدة أقوام طغوا وبغوا وظلموا وكفروا وعادوا أنبياءهم، و لم يستجيبوا لنداء ر ـم، فعاقبهم ر ـم بالهلاك.

- قوم لوط أرسل الله عليهم حجارة من طين.
- وقوم فرعون نبذهم في اليم وأغرقهم فيه.
- وقوم عاد أرسل الله عليهم الريح العقيم فأهلكهم جميعاً.
- وقوم ثمود أخذ ـم الصاعقة وهم ينظرون.

- وقوم نوح من قبل أغرقهم الله بالطوفان.

● بعد ما ذكر الله ﷻ أولئك الأقوام وهلاكهم، وجه المؤمنين الصادقين إلى طريق النجاة من كل كرب يصيبهم، أو يصيب من حولهم، ومن كل خطر يداهمهم أو يداهم قومهم، ومن كل فتنة تترل م وبقومهم، وجه الله ﷻ هؤلاء المؤمنين إلى الطريق المستقيم طريق النجاة والفوز وهو الفرار إلى الله والالتجاء إليه فقال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾.
[الذاريات: ٥٠]

● وفي أواخر هذه السورة بين الله ﷻ للمؤمن الصادق ما يجب فعله عند قيام الفتنة وانتشارها وانغماس الناس من حوله فيها، فقال ﷻ: ﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٤-٥٥].

- أي لا تنغمس أيها المؤمن في شرور الفتن، ولا تشارك فيها، وتولَّ وابتعد عن أصحا ا، فإنك لا تلام على توليك عن ذلك، ولكن عليك واجب ينبغي فعله وهو أن تذَكِّر من تستطيع تذكيره بالطريق المستقيم، فسوف ينتفع المؤمنون الصادقون بتذكيرك ذلك.

● **السؤال هنا ما معنى قوله تعالى: ففروا إلى الله؟**

- أي إذا اشتد عليكم البلاء والامتحان أيها المؤمنون فأفضل عمل تقومون به، ينجيكم مما أنتم فيه أن تفروا إلى الله ﷻ، أي أن تسرعوا إلى جناب الله ﷻ، والفرار ركض في السير مع خوف، تفروا إلى الله فتجلسوا بين يديه، ذاكرين له، تالين لكتابه، مناجين جنابه، داعين إياه، راغبين به، موجهين قلوبكم ووجهوكم وعقولكم وأفكاركم وكليتكم له، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ [الشرح: ٧-٨].

- أيها المؤمن إذا ضاقت بك الدنيا بما رحبت، وتكاثرت همومك الدنيوية، واشتدت الفتن والامتحانات والبلايا الشديدة من حولك، فلا تغضب ولا تضجر، ولا تيأس ولا تتذمر، فكل ذلك لا يجدي نفعاً، ولا يدفع ما أنت فيه، دواءُك أن تفر إلى الله ﷻ، وتجلس إليه، متذكراً قول الله ﷻ لك: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقوله في الحديث القدسي: «أَنا جَلِيس من ذَكَرنِي».

[أخرجه البيهقي عن كعب رضي الله عنه]

- فجالسه واذكره حتى يذكرك، واذكره بعظمته حتى يمدك ا، واذكره برحمته حتى يرحمك، واذكره بقدرته حتى يفرج عنك، وحسن ظنك بالله وكن مع الله بالدعاء يكن الله معك في الإجابة ردد قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.

[غافر: ٦٠]

وقوله في الحديث القدسي: «أَنا عِند ظَن عبدِي بِي وأَنا معه إِذَا دعانِي».

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه]

● أيها المؤمن إذا افتقرت ولم يبق بين يديك مال تصرفه على نفسك وعيالك لا تغضب ولا تضجر ولا تشتم ولا تأسف ولا تؤذ من حولك، فإن كل ذلك لا يغير من أمرك شيئاً بل يزيدك تعاسة وشقاء، بل اصبر وارض واصمت وفر إلى الله ﷻ، وجالسه ذاكراً، ولكتابه تالياً، وله مسبحاً وحامداً وشاكراً ومهللاً ومكبراً، ثم بثه شكواك وحاجتك فهو الباب الوحيد لتفريج كربك، وإصلاح أمرك، وتحقيق أملك.

●أيها المؤمن إذا فقدت بيتك أو مالك أو عملك أو أحداً من أهلك، فلن يفيدك البكاء ولا الحسرة والندامة ولا قولك لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، ولا تصغِ إلى من حولك من الجهلة والمثبطين، ومن المثيرين واللائمين، ومن الحاقدين والحاسدين، الذي تحدث الله عنهم فقال: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠].

ولكن ردد قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

- ففر إلى الله ﷻ الذي بيده الملك، وهو مقدر الأقدار وهو على كل شيء قدير، وهو مغير الأحوال ومصرفها، ففر إليه، وأكثر من قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) وأنت متيقن أنه لا حال يغير حالك، ولا قوة تزيل معاناتك إلا حول الله ﷻ وقوته، وعند تيقنك من هذا القول الذي يسمى الحوقلة والإكثار منه يأتيك الفرج كما في القصة التي رواها ابن عباس فقَالَ:

- جاءَ عوف بن مالك الأشجعي إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ يا رسول الله إن ابني أسره الْعدو وجزِعت أمه فَما تأْمرني قَالَ آمرك وإياها أَن تستكْثروا من لا حول ولا قُوة إِلا بِاللَّه الْعلي الْعظِيم فَانصرف إِلَيها فَقَالَت ما قَالَ لَك رسول الله ﷺ قَالَ أَمرني وإِياك أَن نستكْثِر من لا حول ولا قُوة إِلا بِاللَّه الْعلي الْعظِيم فَجعلا يقُولانِ ذَلك فَغفَلَ الْعدو عن ابنه يوماً فجاء وقد استاق غَنمهم وهِي أَربعة آلاف شاة فَأَتى ا إِلَى أَبيه فَترلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ

أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

[أخرجه الثعلبي في تفسيره]

● فإذا ما أصيب المؤمن بأي مصيبة مهما عظمت ورغب في أن يعود إليه ما افتقد فعليه أن يلجأ إلى الحوقلة معتقداً أنه لا حول ولا قوة في هذه الدنيا لأحد إلا وهي مستمدة من قوة الله ﷻ، فلا قوة فوق قوة الله، ولا حول إلا حوله ﷻ، تعالوا نستمع إلى قول النبي ﷺ: عن أَبِي سعِيدٍ الْخدرِي رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «استكْثِروا مِن الْباقِياتِ الصالِحاتِ». قِيلَ: وما هن يا رسولَ اللَّه؟ قَالَ: «الْملَّةُ» (الدين والشريعة). قِيلَ: وما هِي؟ قَالَ: «التكْبِير والتهلِيلُ، والتسبِيح، والتحمِيد، ولا حولَ ولا قُوةَ إِلا بِاللَّه».

[أخرجه الحاكم في المستدرك]

● المؤمن الضعيف الإيمان عندما يصاب بالبلاء والامتحان والفقر والخذلان يفر إلى الناس وكأن الأمر بيدهم، فلا يجد في حقيقة الأمر إلا حاسداً أو حقوداً، أو مداهناً أو مراوغاً، أو باكياً أو شاكياً، أو معتذراً أو متأسفاً، أو مستغلاً أو منتفعاً أو مخادعاً، يسلبون منه الأموال الكثيرة بحجة إيصاله إلى بغيته -وما أكثرهم في هذه الأيام- وكل أولئك كاذبون دجالون مخادعون لا يملكون من الأمر شيئاً، فإذا ما ركن هذا المؤمن الضعيف الإيمان إليهم واستسلم لهم، فيعدونه ويماطلونه في تحقيق بغيته كي يسلبوا منه أموالاً كثيرة وهم لا يملكون من الأمر شيئاً، وإذا نذا المؤمن ينتهي به الأمر أن يصبح فارغ اليدين مكسوفاً مدحوراً نادماً باكياً، لم يصل إلى شيء من هؤلاء الناس.

● لكن المؤمن القوي الإيمان يفر إلى الله ﷻ مالك الملك الذي بيده ملكوت كل شيء، ويملك كل شيء، وهو على كل شيء قدير، عند فرار

هذا المؤمن إلى الله ﷻ بكل صدق وإخلاص يأتيه الفرج من الله من كل ما يعانيه، ويعوضه عما افتقده، وييسر كل عسير يواجهه، وكل ضيق يعاني منه، فإذا وجد هذا المؤمن وهو يسير في هذا الطريق طريق الفرار إلى الله ﷻ أنه لابد من اتخاذ الأسباب الدنيوية فلا عليه أن يتعاطاها بشرط ألا يعلق قلبه ا وبمن يقوم ا، وإنما علمه اليقيني أ ا وسائل يلقي الله ﷻ فيها تحقيق مآرب هذا المؤمن الذي فر إلى الله واستعان به والتجأ إليه.

● نحن اليوم نعاني معاناة لم يشهد التاريخ مثلها، وفتنة أكلت الأخضر واليابس، و شت جميع من حولها، وأصابنا منها الهم والغم والآلام وما لا تتحمله الجبال الراسيات، ولا الحصون الشداد، وقد تآمر الجميع علينا، وسدت جميع أبواب الخلق في وجوهنا، حتى لم نعد نرى أو نحس أو نتخيل باباً يأتينا منه الفرج، لكن باباً لا يزال مفتوحاً لنا هو وحده سبيل النجاة مما نعانيه، إنه **الفرار إلى الله** ﷻ بصدق وإخلاص، فهو الملجأ الفريد الذي يعيد إلينا أنفاسنا الأخيرة، فيطمئن قلوبنا، ويشرح صدورنا، وينير طريقنا، ويزيل همومنا وغمومنا، ويعيد إلينا حياتنا الرغيدة السعيدة.

● فهل نحن على يقين من ذلك؟ وهل نسير في هذا الطريق؟ ونسعى إلى هذا الملجأ؟ ونقرع هذا الباب، باب الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، القادر القاهر لأعدائه، الجبار على الظالمين والقاصم لهم، والجبار لخواطر المؤمنين بتحقيق أمانيهم، الرحمن الرحيم المعز لأوليائه، والمذل لأعدائه، والرافع الخافض، والباسط القابض الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، والقادر على كل شيء، وبيده ملكوت كل شيء، والمتصرف في ملكه فيما أراد، هذا هو الطريق الوحيد لتحقيق الآمال، وزوال الأغيار، فهل نسلكه ونتابع طريقه، ونسترشد بتوجيهاته، ونعمل بأوامره، وننتهي عن نواهيه.

● إذاً هذا هو طريق الفوز والنجاح والسؤدد والفلاح والفرج والنصر، وإلا فالخزي والعار والفشل والمصائب، والهموم والغموم والأحزان التي تستمر بل وتزداد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

● هذه المصائب أصابت الجميع: الفقير والغني، والصغير والكبير، والمؤمن وغير المؤمن، وكل منهم له فرار.

● فإذا كان فرار الجاهل والمنافق إلى أبواب الدنيا وأهلها، إلى هؤلاء الذين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، إلى من أحوالهم تتغير من وقت لآخر، فإن هذا الفرار لن ينجي أحداً، وإن نجا به أولاً وقليلاً، لكن العاقبة خزي وعار ودمار، ثم نار.

● لكن المؤمن صادق الإيمان يفر إلى الله ﷻ، ويستودعه نفسه، فهو الذي لا تضيع عنده الودائع والقادر على كل شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه شيء، قد تيقن في أعماق نفسه معاني وصية النبي ﷺ لابن عباس: «يا غُلام إني أُعلِّمك كَلمات، احفَظ اللَّه يحفَظْك، احفَظ اللَّه تجده تجاهك، إذَا سأَلْت فَاسأَل اللَّه، وإذَا استعنت فَاستعن بِاللَّه، واعلَم أَنَّ الأُمةَ لَو اجتمعت علَى أَنْ ينفَعوك بِشيءٍ لَم ينفَعوك إِلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه لَك، ولَو اجتمعوا علَى أَنْ يضروك بِشيءٍ لَم يضروك إِلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه علَيك، رفِعت الأَقْلام وجفَّت الصحف». [أخرجه الترمذي وقال هذَا حدِيثٌ حسن صحِيح]

● قصص الذين فروا إلى الله ﷻ عبر التاريخ في أوقات محنهم الشديدة، وكيف أنقذهم الله ﷻ وأمدهم، وأعلى من شأ نهم، وحقق لهم آمالاً كثيرة لا تحصى، نعرض بعضاً منها للذكرى:

أولاً– من قصص الأنبياء والمرسلين:

● هناك قصص كثيرة ذكرها الله ﷻ في قرآنه الحكيم عن الأنبياء والمرسلين وذكر فيها امتحانا م الكثيرة، ومعانا م الشديدة التي امتحنوا فيها ففروا إلى الله ﷻ، فأنجاهم منها وحقق آمالهم.

●منها حديث القرآن الكريم عن سيدنا أيوب وعن المرض والضر الشديد الذي امتحنه الله به، فأتاه الشفاء والعافية منه ﷻ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾.

[الأنبياء: ٨٣-٨٤]

●ومنها ما ذكره القرآن الكريم من قصة ذي النون مع قومه والبلاء الذي حل به، وكيف فر إلى الله فنجاه من بلائه، ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

– ولهذه الآية وقع خاص في قلب كل مؤمن، عندما يمتحنه الله ﷻ، فيبتليه الله ﷻ بالهم والكرب، فيفر هذا العبد إلى ربه، مردداً: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

كما يذكر القرآن الكريم لنا كيف أن فرعون وجنوده لحقوا بموسى وقومه، فخاف قوم موسى من بطش فرعون، فكان جواب موسى عليه السلام

جواب الواثق بربه المطمئن إلى نصره: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢].

- و لذه الثقة بالله ﷻ والفرار إليه ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ نصر الله موسى عليه السلام وقومه، وأغرق فرعون وجنوده، وأصبح عبرة لمن أراد أن يعتبر على مر العصور.

ثانياً- من قصص النبي ﷺ:

● الأمثلة في الأسوة الحسنة نبينا محمد ﷺ في هذا الموضوع لا تعد ولا تحصى، فكلما وقع ﷺ في شدة فر إلى الله ملتجئاً إليه داعياً، وإذا بالله يسرع له بالإجابة والفرج، فكلنا يعلم قصة الهجرة، وكيف لجأ إلى جبل ثور واختبأ في غاره، ووصل المشركون الذين يريدون قتل النبي ﷺ إلى فم الغار، مما جعل سيدنا أبا بكر في حالة خوف وفزع على النبي ﷺ.

- روى أنس أَنَّ أَبا بكْرٍ حدثَه قَالَ: كُنت مع رسولِ اللَّه ﷺ في الغار فَقُلْت يا رسولَ اللَّه لَو أَنَّ أَحدهم ينظُر إِلَى قَدميه لأبصرنا تحت قَدميه قَالَ فَقَالَ النبِي ﷺ: «يا أَبا بكْرٍ! ما ظَنك بِاثْنينِ اللَّه ثَالثُهما».

[أخرجه البيهقي في دلائل النبوة]

- وقد وصف الله ﷻ هذا المشهد فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

● فجميع الأنبياء والمرسلين على إيمان يقيني بمعية الله ﷻ لهم، هذه المعية التي أشار إليها الله ﷻ فقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. [الحديد: ٤]

– وخصوصية هذه المعية للمؤمن، أنه معه بعلمه، معه برعايته، معه بتدبيره، معه بحفظه، معه بتأييده، معه بتحقيق آماله، معه بالمعنى المطلق للمعية، دون أن تفهم هذه المعية بقيود التحيز في مكان أو الانتقال من جهة إلى أخرى، إ ا معية بكل ما تحمله هذه الكلمة من المعاني، ولكن دون تكييف يستلزم التشبيه، ويتنافى مع قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

● هذا وإننا لنرى النبي ﷺ في كل مراحل دعوته، وما يعترضه في سبيل تبليغ رسالته من شدائد، فاراً إلى الله، وخاصة في غزواته، ملتجأً إليه باسطاً يديه بالدعاء والمناجاة، حتى يسقط ثوبه عن كتفيه من شدة إقباله على ربه في دعائه، حتى يقول له الصديق أبو بكر:

يا نبي الله، كَفاك مناشدتك ربك، فَإنه سينجز لَك ما وعدك.

– وفرار النبي ﷺ إلى الله يوم الطائف عندما أغروا صبيا ـم بشتمه ورميه بالحجارة، حتى سال الدم، فجلس إلى جذع شجرة يناشد ربه، أعظم شاهد للفرار إلى الله، فقال ﷺ: «اللَّهم إِلَيك أَشكُو ضعف قُوتِي، وقِلَّةَ حِيلَتِي، وهوانِي علَى الناسِ، أَرحم الراحِمين، أَنت أَرحم الراحِمين، إِلَى من تكِلُنِي، إِلَى عدو يتجهمنِي أَو إِلَى قَرِيبٍ ملَّكْته أَمرِي، إِنْ لَم تكُن غَضبانَ علَي فَلا أُبالِي، غَير أَنَّ عافِيتك أَوسع لِي، أَعوذُ بِنورِ وجهِك الَّذِي أَشرقَت لَه الظُّلُمات، وصلَح علَيهِ أَمر الدنيا والآخِرةِ، أَنْ تنزِلَ بِي غَضبك أَو تحِلَّ علَي

سخطَك، لَك الْعتبى حتى ترضى، ولا حولَ ولا قُوةَ إلا بِك».

[أخرجه الطبراني في الكبير]

ثالثاً– من قصص الصحابة والتابعين:

● كذلك كان النبي ﷺ كلما شكا إليه صحابي ما يواجهه، أو مصيبة حلت به، أو بثه أملاً يرغبه، كان النبي ﷺ يأمره بالفرار إلى الله ﷻ والاستعانة به والالتجاء إليه، والأمثلة في ذلك كثيرة منها ﷻ، قصته ﷺ مع أبي أمامة ﵁.

– دخلَ رسولُ ﷺ ذَات يومٍ الْمسجد، فَإِذَا هو بِرجلٍ مِن الأنصارِ يقَالُ لَه: أَبو أُمامةَ، فَقَالَ: «يا أبا أُمامةَ، ما لِي أَراك جالساً فِي الْمسجد فِي غَيرِ وقْت الصلاة؟»، قَالَ: هموم لَزِمتني، وديونٌ يا رسولَ اللَّه، قَالَ: «أَفَلا أُعلِّمك كَلاماً إِذَا أَنت قُلْته أَذْهب ﷻ همك، وقَضى عنك دينك؟»، قَالَ: قُلْت: بلَى، يا رسولَ، قَالَ: «قُلْ إِذَا أَصبحت، وإِذَا أَمسيت: اللَّهم إِني أَعوذُ بِك مِن الْهم والْحزنِ، وأَعوذُ بِك مِن الْعجزِ والْكَسلِ، وأَعوذُ بِك مِن الْجبنِ والْبخلِ، وأَعوذُ بِك مِن غَلَبةِ الدينِ، وقَهرِ الرجال»، قَالَ: فَفَعلْت ذَلك، فَأَذْهب اللَّه ﷻ همي، وقَضى عني دينِي. [أخرجه أبو داود عن أبي سعيد ﵁]

– عن أَنسٍ قَالَ: كَانَ رجلٌ مِن أَصحابِ رسولِ اللَّه ﷺ مِن الأنصارِ يكَنى: أَبا معلَّقٍ، وكَانَ تاجِراً يتجِر بِمالٍ لَه ولِغيرِه، يضرِب بِه فِي الآفَاقِ، وكَانَ ناسِكاً ورِعاً، فَخرج مرةً فَلَقِيه لِص مقَنع فِي السلاحِ، فَقَالَ لَه: ضع ما معك فَإِني قَاتِلُك قَالَ: ما ترِيد إِلَى دمِي؟ شأْنك بِالْمال، قَالَ: أَما الْمالُ فَلِي، ولَست أُرِيد إِلا دمك قَالَ: أَما إِذَا أَبيت، فَذَرنِي أُصلِّي أَربع ركَعات، قَالَ: صلِّ ما بدا لَك فَتوضأَ ثُم صلَّى أَربع ركَعاتٍ، فَكَانَ مِن دعائِهِ فِي آخِرِ

سجدة أَنْ قَالَ: يا ودود، يا ذَا الْعرشِ الْمجيد، يا فَعالاً لَما تريد، أَسأَلُك بِعزك الَّذي لا يرام، ومُلْكك الَّذي لا يضام، وبنورك الَّذي ملأ أَركَانَ عرشك، أَنْ تكْفيني شر هذَا اللِّص، يا مغيثُ أَغثْني، يا مغيثُ أَغثْني، ثَلاثَ مرات قَالَ: دعا بها ثَلاثَ مرات، فَإِذَا هو بِفَارِسٍ قَد أَقْبلَ بيده حربةٌ واضعها بين أُذُني فَرسه، فَلَما بصر به اللِّص أَقْبلَ نحوه، فَطَعنه، فَقَتلَه ثُم أَقْبلَ إِلَيه، فَقَالَ: قُم قَالَ: من أَنت بِأَبِي أَنت وأُمي؟ فَقَد أَغَاثَني اللَّه بِك الْيوم، قَالَ: أَنا ملَك من أَهلِ السماءِ الرابعة، دعوت بِدعائك الأول، فَسمعت لأبواب السماءُ قَعقَعةً، ثُم دعوت بِدعائك الثَّاني، فَسمعت لأهلِ السماءِ ضجةً، ثُم دعوت بدعائك الثَّالث، فَقيلَ لِي: دعاءُ مكْروب، فَسأَلْت اللَّه تعالَى أَنْ يولِّيني قَتلَه، قَالَ أَنس: فَاعلَم أَنه من توضأ، وصلَّى أَربع ركَعاتٍ، ودعا بِهذَا الدعاءِ، استجِيب لَه مكْروباً كَانَ أَو غَير مكْروبٍ».

[أخرجه ابن أبي الدنيا في مجابو الدعوة]

رابعاً– قصص الأولياء والصالحين:

●وهناك قصص عن الأولياء والصالحين قد لا يصدق ا الإنسان الغافل عن الله ﷻ وقدرته، ولا يؤمن بأ ا حقيقية، فلا مانع لأمثال هؤلاء أن يستوعبوها على أ ا رمزية، لكنها عند أهل الله وأوليائه لا يستحيل أن تكون حقيقية، وسواء أكانت حقيقية أم رمزية فهي يعتد ا، لأ ا غير مخالفة للشرع، من هذه القصص:

– عن إسحاق بن عباد البصري، قال: «رأيت في منامي ذات ليلة قائلا يقول: أغث الملهوف، قال: فانتبهت، فقلت: انظروا هل في جيراننا محتاج؟ فقالوا: ما ندري، قال: فنمت ثانياً، فعاد إلي، فقال: تنام و لم تغث الملهوف،

فقمت، فقلت للغلام، أسرج البغل وأخذت معي ثلاثمائة درهم ثم ركبت البغل فأطلقت عنانه وذكر الحديث في سيره، حتى بلغ مسجداً يصلى فيه على الجنائز قال: فوقف البغل هناك: فنظرت فإذا رجل يصلي، فلما أحس بي انصرف، قال: فدنوت منه، فقلت: يا عبد الله في هذا الوقت في هذا الموضع ما أخرجك؟ قال: أنا رجل خواص كان رأس مالي مائة درهم، فذهبت من يدي ولزمني دين مئتا درهم، قال: فأخرجت الدراهم وقلت: هذه ثلاث مائة درهم خذها، قال: فأخذها قلت: تعرفني؟ قال: لا، قلت: أخبرنا إسحاق بن عباد فإن نابتك نائبة فأتني، فإن مترلي في موضع كذا وكذا، فقال: رحمك الله إن نابتنا نائبة فزعنا إلى من أخرجك في هذا الوقت حتى جاء بك إلينا».

[البيهقي في الشعب]

- وكذلك قصة تتحدث عن رجل صالح في زمن غابر، في بلدة فقيرة، كان هذا الرجل يعمل طياناً يطين جدران البيوت وسطوحها، وقد مرت على هذه القرية ظروف معيشية سيئة، كما تمر علينا اليوم، فعم الفقر وقل العمل بل عدم.

أنفق هذا الرجل كل مدخراته، ولم يبق معه شيء ينفقه على زوجته وأولاده، وكانت زوجته تشتد عليه يوماً بعد يوم، وتأمره بالبحث عن عمل أي عمل من أجل أن يأتي بطعام لأولاده، فكان يخرج صباح كل يوم باكراً يبحث عن عمل هنا أو هناك ولا يجد أي عمل يعمل به، إلى أن يحين آذان الظهر فيصلي في المسجد، ثم يعود إلى بيته خالي اليدين.

ومرت أيام على ذلك، والأولاد يبكون من الجوع، ولم تعد الزوجة تتحمل هذا الحال-كما هو حال الكثيرين اليوم- فكانت الزوجة تختلف مع

زوجها وتنهره، وتشتد عليه وتصيح و ىدد، إلى أن قالت له يوماً اذهب وابحث عن عمل ولا تأتي إلى البيت إلا بعد أن تعمل وتحضر طعاماً وشراباً.

خرج الزوج باكراً، وبحث عن عمل هنا وهناك إلى وقت الظهيرة، وهو يعرض نفسه على كل من يراه ويلقاه، ولما لم يجد عملاً، صلى الظهر وخرج من المسجد يعاود البحث وكذلك بعد صلاة العصر، إلى وقت المغرب، ولكن دون جدوى، فجلس في المسجد حتى أذان العشاء يتلو كتاب الله ﷻ، ويذكر الله ويسبحه، ويناجيه ويدعوه، ويشكو إليه أمره، ويردد قوله ﷻ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢].

ثم يناجي ربه بالأبيات:

طرقت باب الرجا والناس قد رقدوا ... وبت أشكو إلى مولاي ما أجد
وقلت يا أملي في كل نائبة ... يا من عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ... مالي على حملها صبر ولا جلد
فلا ترد ا يا رب خائبة ... فبحر جودك يروي كل من يرد

وحان وقت صلاة العشاء، وبعد انتهاء الصلاة أُطْفِئت الأنوار في المسجد، وخرج الجميع وأغلق المسجد، خرج و لم يجد هذا الرجل بداً من أن يعود إلى بيته، ولما دخل قالت له زوجته: هل وجدت عملاً؟ فأجاب: بلى، عملت عند غني عظيم، فقالت له: وأين الأجرة، قال لها: استحييت أن أطالبه، لعله غداً يعطيني، قالت: سنصبر للغد لنرى عطاءه.

وفي اليوم الثاني عاود البحث عن عمل بعد صلاة الفجر، وسعى بكل جهده، و لم يحصل على أي عمل مهما كان نوعه، وأدام بحثه إلى صلاة المغرب، ولما لم يجد عملاً. بادر إلى المسجد وفر إلى الله ﷻ، تالياً لكتابه ذاكراً

له، مناجياً داعياً، مسبحاً وشاكراً وحامداً إلى صلاة العشاء، وإغلاق المسجد، وخرج إلى بيته وقرع الباب، واستقبلته زوجته، أين الطعام؟ أين الشراب؟ أين المال؟ أما عملت عند هذا الغني العظيم، ولكنه لم يعطني، لعله غداً يعطيني، فقالت له زوجته: تقول عظيماً وغنياً لماذا لا يعطيك، غداً طالبه بالأجرة، ولا تعد إلينا إلا بعد أن تحصل على المال وتأتي لنا بالطعام والشراب.

خرج في اليوم الثالث باكراً باحثاً عن أي عمل يقوم به كما في اليومين السابقين إلى صلاة المغرب دون أن يجد أي عمل، وتابع فراره إلى الله إلى صلاة العشاء، ثم خرج هائماً على وجهه لا يدري ما يفعل، وصمم أن يجلس إلى جانب البيت دون أن يدخله، فلما اقترب من بيته، اشتم رائحة طعام، وسمع أصوات فرح الأولاد، مما دعاه إلى أن يقرع الباب، وإذا بالزوجة في أ ى ثيا ا، وأحلى ابتسامتها، وأزكى كلامها، وقد استقبلته استقبالاً لم يشهده سابقاً، ووجد بين يدي أطفاله طعاماً متنوعاً شهياً، وشراباً هنياً، وأصيب بالدهشة، وقال لزوجته: من أين هذا الطعام وهذا الشراب، فقالت: هو من عند الغني العظيم الذي تعمل عنده، فبكى وقال: وكيف حدث ذلك، قالت: كنت قد هيأت نفسي لطردك من هذا البيت إن لم تأتِ لنا بطعام وشراب، وأنا انتظر عودتك وإذا بالباب يقرع، ويأتي رجال لا أعرفهم، فاستأذنوا وأدخلوا هذا الطعام وهذا الشراب، مع هذه الصرة من المال، وقالوا لي: هذه أجرة زوجك قد أرسلها له الذي عمل عنده، ثم أردفت تقول: يا زوجي لا تترك العمل عند هذا الغني العظيم، ونظرت إلى زوجها، وإذا به يجهش بالبكاء، ويهز رأسه ويقول: إن الذين أتوا إليك هم ملائكة الله، ثم تابع قوله: أتعلمين عند من أعمل؟ إنني عملت عند الله ﷻ وفررت إليه عندما لم أجد عملاً عند الناس، ونام تلك الليلة مسروراً، وسمع في منامه قائلاً

له: يقول لك ربك (ابذل كل جهد في تحصيل رزقك، وعندما تغلق أبواب الخلق، فالتجئ إلي فبابي لا يغلق، وأنا الرزاق أكفيك حاجتك، اقصدني بصدق وإخلاص، وفر إلي فأكفيك الخلق جميعاً).

- ومن هذه القصص أيضاً قصة أبي حامد اللفاف (هو أَحمد بن خِضرويه الْبَلْخِي، مِن كِبارِ مشايِخِ خراسانَ، مات سنةَ ٢٤٠) فإنه أراد الذهاب إلى صلاة الجمعة وحضور مجلس العلم بعدها، وإذا به يفاجأ بأمور ثلاثة وهي أن حماره قد ضل، وعليه أن يحضر دقيقه من الطاحون لتخبزه امرأته، وقد دخلت نوبة سقي أرضه، فتفكر في نفسه، وقال إن ذهبت إلى صلاة الجمعة فاتتني هذه الأعمال، ثم قال عمل الآخرة أولى، والفرار إلى الله أحق، فذهب إلى صلاة الجمعة، فلما رجع وجد أرضه قد سقيت، وحماره في الاسطبل، وامرأته تخبز، فسأل امرأته فقالت له: أما الحمار فقد سمعت قرع الباب، فإذا الحمار يعدو والسبع حوله، فلما فتحت الباب، شاهدت الحمار يدخل الاسطبل، وقد انصرف السبع، وأما الأرض فإن جارنا الذي تلاصق أرضه أرضنا أراد سقي أرضه فنام، فانفجر الماء فسقى أرضنا، وأما الدقيق فإنه كان لجارنا دقيق في الطاحون، فذهب ليأتي به، فغلط فحمل جوالقنا (أوعيتنا) فلما جاء إلى بيته عرفه، فدفعه لنا، فرفع حامد رأسه إلى السماء، وقال: يا رب فررت إليك وأديت فرضاً لك فقضيت لي ثلاث حاجات فلك الحمد دائماً وأبداً. [مصباح الظلام و حجة الأنام: محمد الجرداني ص٣٢]

- ومن هذه القصص قصة تاجر مشهور في هذا البلد (بلاد الشام) كانت يداه طويلتين في أعمال الخير والبر، ومساعدة الفقراء والمحتاجين وتديينِ المعوزين والغارمين.

خسرت تجارته، وأدت به إلى الإفلاس النهائي، مما اضطره إلى بيع كل

ما يملك حتى مترله الذي يقطنه لإيفاء حقوق الآخرين عليه وحفظ سمعته وشرفه، ولم يجد بيتاً يسكن فيه إلا مستودعاً صغيراً في قبو عمارة قديمة في حيٍ قديم قدمه له أحد أصدقائه من التجار.

صبر هو وعائلته المؤمنة على قضاء الله تعالى وقدره وبلائه وامتحانه سنةً كاملة، كانت الأسرة خلالها تعيش عيشة فقر لم تتعود عليها سابقاً أبدا، ولكنها كانت أسرة مؤمنة صادقة صابرة شاكرة حامدة.

كما كانت لا تترك صلاة التهجد وتتطيل السجود في الليل وكان التاجر يناجي ربه فاراً إليه مع أهله، فيقول: يارب أنت العليم بحالي، فلا تخيب رجائي.

يا رب: ما رددت يوماً سائلاً، وما طالبت مديوناً وكنت دائماً في عون عبادك، والتيسير على المعسر منهم، وها أنا اليوم على بابك كما عهدتني، محتاج إليك وأنت وعدت بعونك من أعان عبادك، وبتيسيرك أمور من يسر عليهم وبتنفيس الكربة عمن نفس كُرب المكروبين.

يا من يجيب دعا المضطرِ في الظُّلَمِ يا كاشف الضر والبلوى مع السقَمِ

كان هذا التاجر يناجي ربه باكياً ولم يكن أحد يسمعه سوى الله الذي لا يغيب ولا ينام وهو السميع البصير وهو على كلِ شيء قدير .

ارتفعت برقية هذا التاجر إلى الله عز وجل، فأصدر الله أمره بإسعاد هذا التاجر المؤمن الصادق وإ ماء محنته ومصيبته. **والسؤال** كيف كان الجواب العملي لذلك، رأى الشيخ أحمد حارون في منامه النبي ﷺ وهو يكلفه بتحقيق ما أمر الله به لهذا التاجر وهو شراء بيتٍ له على أن يكون واسعاً ممتلئاً بكل حاجاته وفي أجملِ حي من بقاع دمشق، وقد أعلم النبي ﷺ الشيخ باسم التاجر

ومكانه. استيقظ الشيخ أحمد حارون واستعاد المنام في ذهنه ولكنه وقف حائراً كيف يشتري لهذا التاجر البيت المطلوب وهو لا يملك المال لشرائه، وما إن انتهى من استعراض أفكاره حتى سمع قرع الباب، ففتح الباب، وإذا بأحد تجار هذا البلدِ الكبار يقدم له مبلغاً كبيراً من المال وقال له تصرف بما أمرك به النبي ﷺ أسرع الشيخ إلى مكان التاجر وأخذ بيده باحثاً عما يحقق أمر الله واشترى له البيت المطلوب وانتقلت العائلة إليه شاكرةً حامدةً .

ما أعظم المؤمن عندما يكون مع الله مطَبِقاً لشرعه!.وما أعظم لُطف الله بعباده !. وما أعظم فضل الله ﷻ على الفارين إليه، الملتجئين إليه، والواقفين على بابه، وحسن ظنهم به عظيم، وما أسرع تلبية الله لهم في استجابة دعائهم، وتحقيق أمانيهم، ورفع البلاء عنهم، وتوفيقهم في الدنيا والآخرة.

٢ خير الأعمال وأزكاها

● أهل الله ﷻ هم الذين يفرون إلى الله ﷻ في كل حال من أحوالهم، وخاصة عند اشتداد الفتن والمصائب، وعند فقدهم الأسباب في حل ما يواجههم من عظيم المشاكل والمواجهات التي لا تتحملها الجبال، هؤلاء المؤمنون الصادقون الفارون إلى الله ﷻ يشغلوا أوقا م، وخاصة عند فراغهم من أعمالهم بذكر الله ﷻ، استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾.

[الأحزاب: ٤١-٤٣]

- واستجابة لقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

- وقال ﷻ: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

- قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا﴾ يقُولُ: «لا يفْرِض اللَّه علَى عبادِه فَرِيضةً إِلا جعلَ لَها جزاءً معلُوماً. ثُم عذَر أَهلَها فِي حالِ عذْرٍ غَيرِ الذِّكْرِ، فَإِنَّ اللَّه لَم يجعلْ لَه حداً ينتهِي إِلَيه،

ولَم يعذُر أَحداً فِي تركِه إلا مغلُوباً علَى عقْلِه، فَقَالَ: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ اللَّيلِ والنهارِ، فِي الْبرِ والْبحرِ، وفِي السفَرِ والْحضرِ، والْغِنى والْفَقْرِ، والسقَمِ والصحةِ، والسر والْعلانِية، وعلَى كُلِّ حالٍ». [تفسير الطبري]

● وأهل الله الذين يفرون إليه ﷻ، هم على علم يقيني بأ م عند ذكرهم ر م فإن الله يذكرهم، كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

– وكما قال الله في الحديث القدسي: «أَنا عِند ظَن عبدِي بِي، وأَنا معه إِذَا ذَكَرنِي». [أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ]

– قال ثابت البناني –وهو من التابعين–: (إني أعلم متى يذكرني ربي ﷻ ففزعوا منه، وقالوا: كيف تعلم ذلك، فقال: إذا ذكرته ذكرني).

[إحياء علوم الدين: الغزالي، ١/٢٩٤]

● هؤلاء المؤمنون الصادقون الذين فروا إلى الله ﷻ يخشون إن غفلوا عن ذكر الله الذكر الكثير أن يصبحوا من المنافقين الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

● هؤلاء الذاكرون يعلمون أن الذكر خير الأعمال وأزكاها عند الله ﷻ، فقد وضح النبي ﷺ ذلك بقوله: «أَلا أُنبئُكُم بِخيرِ أَعمالِكُم، وأَزكَاها عِند مليككُم، وأَرفَعها فِي درجاتِكُم وخير لَكُم مِن إِنفَاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخير لَكُم مِن أَنْ تلْقَوا عدوكُم فَتضربوا أَعناقَهم ويضربوا أَعناقَكُم»؟ قَالُوا:

بلَى. قَالَ: «ذِكْر اللَّهِ تعالَى». [أخرجه الترمذي عن أبي الدرداء ﷺ]

● وهؤلاء الذاكرون يعلمون أ م بانشغالهم بذكر الله ﷻ ينالون أفضل ما يرغبون فيه، كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾.

– وكما قال تعالى في الحديث القدسي: «أَنا مع عبدِي حيثُما ذَكَرنِي وتحركَت بِي شفَتاه». [أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ]

وكما جاء في الحديث القدسي: «من شغلَه ذِكْرِي عن مسأَلَتِي أَعطَيته أَفْضلَ ما أُعطِي السائِلين» [أخرجه البيهقي وأبو نعيم عن عمر بن الخطاب ﷺ]

● **قد يسأل أحدنا ما معنى ذكر الله ﷻ، وبماذا أذكر الله ﷻ؟**

– الجواب:

● **أما معنى ذكر الله ﷻ**: فهو دوام حضور القلب مع الله ﷻ، وطرد الغفلة عنه، والذكر هو استشعار الذاكر أن الله تعالى معه وناظره وشاهده، وعلى الذاكر أن يستحضر كل هذه المعاني بكل حواسه ومشاعره، وأنه بين يديه وتحت مراقبته في كل مجالات حياته في حله وترحاله، وفي بيعه وشرائه، وفي بيته وعمله، وعند نومه ويقظته، وعند صحته ومرضه، وفي غناه وفقره، وعند منحته ومحنته.

● **أما بماذا يذكر المؤمن ربه:** فيذكره بأساليب كثيرة أهمها قراءة القرآن، فجميع مجالس القرآن والتلاوة والحفظ والتفسير هي ذكر لله، ودروس العلم ومجالسة العلماء هي ذكر لله ﷻ، وأداء الصلوات من فرائض ونوافل هي ذكر لله ﷻ، والدعاء والمناجاة هو ذكر لله ﷻ، والأدعية النبوية المأثورة في أداء الأعمال عند النوم والطعام والشراب وغير ذلك هي ذكر لله ﷻ، والاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل هي ذكر لله تعالى.

● كان النبي ﷺ يجلس بعد صلاة الفجر فيذكر الله ﷻ حتى تطلع الشمس، ومعه أصحابه، وقد رغب النبي المؤمنين في ذلك على امتداد عصورهم واختلاف أقطارهم فقال: «من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم يصلي ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة». [أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه]

– مدة هذا الذكر تقارب الساعة، وإذا كان هذا الحديث لم يبين صيغة وردِه ﷺ في هذا الوقت، فإن أحاديثه التي تحدثت عن الذكر، تبين لنا الأذكار التي كان يكثر منها، ويأمر ا أصحابه، **نعرضها حسب البرنامج الآتي:**

أولاً– الاستغفار: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

– ولحرص النبي ﷺ على الاستغفار قال: «إنه لَيغانُ علَى قَلْبِي، وإني لأستغفِر اللهَ، فِي الْيومِ مِائَةَ مرةٍ». [أخرجه مسلم عن الأغر المزني رضي الله عنه]

–ويرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يذهب همومهم، ويفرج كرو م، ويوسع أرزاقهم، فيقول ﷺ: «من لَزِم الاستغفَار، جعلَ اللَّه لَه مِن كُلِّ ضِيقٍ مخرجاً، ومِن كُلِّ هم فَرجاً، ورزقَه مِن حيثُ لا يحتسِب».

[أخرجه ابن داود عن ابن عباس]

– وقد نبه النبي ﷺ إلى سيد الاستغفار فقال: «سيد الاستغفَار: اللَّهم أَنت ربي، لاَ إِلَه إِلا أَنت، خلَقْتني وأَنا عبدك، وأَنا علَى عهدك ووعدك ما استطَعت، أَبوءُ لَك بنعمتك علَي، وأَبوءُ لَك بذَنبي فَاغْفِر لِي، فَإِنه لاَ يغفِر الذُّنوب إِلا أَنت، أَعوذُ بِك مِن شر ما صنعت. إِذَا قَالَ حِين يمسِي فَمات دخلَ الجَنةَ –أَو: كَانَ مِن أَهلِ الجَنةِ– وإِذَا قَالَ حِين يصبِح فَمات مِن يومِه مِثْلَه».

[أخرجه البخاري عن شداد بن أوس رضي الله عنه]

- وقولك أيها المؤمن استغفر الله من أعماق قلبك صادقاً راجياً يعني أنك تسأل الله ﷻ أن يغفر لك ذنوبك ويسامحك عن لهوك وتقصيرك وغفلتك وإساءتك.

ثانياً- التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل:

- فالتسبيح أمر به الله ﷻ، وبين لنا أوقاته، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾.

[الأحزاب: ٤١-٤٢]

- وقال ﷻ: ﴿أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ١١].

- وقد بين النبي ﷺ أهمية التسبيح في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «من قَالَ: سبحانَ اللَّهِ وبِحمدِهِ، فِي يومٍ مِائَةَ مرةٍ، حطَّت خطَاياه، وإِنْ كَانت مِثْلَ زبدِ البحرِ». [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

- ومنها قوله ﷺ: «كَلِمتانِ خفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ فِي المِيزانِ، حبِيبتانِ إِلَى الرحمنِ: سبحانَ اللَّهِ العظِيمِ، سبحانَ اللَّهِ وبِحمدِهِ».

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

- والتسبيح هو تتريه الله ﷻ عن كل ناقصة، فعندما يقول المؤمن: **سبحان الله**، فهو يعني:

أنت ربي الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

- **وسبحان الله** تعني أن ما يجري في هذا الكون إنما هو بإرادتك ومشيئتك يا رب، ولك فيه حكم وعبر، فأنا آمنت بك، ورضيت بقدرك، وأصبر على بلائك، وأشكر نعماءك.

– **سبحان الله** تعني أن أي أمر خطير يعترضنا، وأي صعوبة تقف أمامنا، وأي بلاء حل علينا وأي مصيبة وقعت فينا لا يزيلها إلا الله، ولا يغيرها إلا هو، ولا منجى منها إلا باللجوء إليه.

– **سبحان الله** تعني آمنت بك ربي، وبصفاتك العليا، وأسمائك الحسنى.

– أما **الحمد لله** فهي تعني أن كل نعمة أتتني إنما هي منك ﷻ، فأنا أحمدك عليها وأشكرك لأنك وهبتني إياها دون استحقاق، فلن أنسى فضلك ما حييت.

– **لا إله إلا الله**، أقر أنه لا إله إلا أنت، ولا رباً سواك، فلا أعبد غيرك، ولا التجئ إلا إليك.

قال رسول الله ﷺ: «من قَالَ: لاَ إِلَه إِلا اللَّه، وحده لاَ شرِيك لَه، لَه المُلْك ولَه الحَمد، وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِير، فِي يومٍ مائَةَ مرةٍ، كَانت لَه عدلَ عشرِ رِقَابٍ، وكُتِبت لَه مائَةُ حسنةٍ، ومحِيت عنه مائَةُ سيئَةٍ، وكَانت لَه حِرزاً مِن الشيطَانِ يومه ذَلك حتى يمسِي، ولَم يأْتِ أَحد بِأَفْضلَ مِما جاءَ بِه، إِلا أَحد عمِلَ أَكْثَر مِن ذَلك» [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

– **الله أكبر** لا كبير إلا أنت ولا متعاليَ إلا أنت ومن دونك صغير ولو أدعى الكبر والتكبر والكبرياء فهو مخلوق ضعيف، وإن تجبر وتكبر، وظلم وفجر، وإن تعاظم في نفسه واستعلى، فأمره إلى خسرٍ وتبار، فالعاقبة للمتقين، والخزي والعار للظالمين المتكبرين.

– تعالوا نستمع لقول النبي ﷺ: «أَحب الْكَلامِ إِلَى اللهِ أَربع: سبحانَ اللهِ، والْحمد لِلَّهِ، ولا إِلَه إِلا اللهُ، واللهُ أَكْبر. لا يضرك بِأَيهِن بدأْت».

[أخرجه مسلم عن سمرة بن جندب]

- وإلى قوله ﷺ: «أَيعجز أَحدكُم أَنْ يكْسب، كُلَّ يومٍ أَلْف حسنة؟» فَسأَلَه سائلٌ من جلَسائه: كَيف يكْسب أَحدنا أَلْف حسنة؟ قَالَ: «يسبح مِائَةَ تسبِيحةٍ، فَيكْتب لَه أَلْف حسنةٍ، أَو يحطُّ عنه أَلْف خطِيئَةٍ».

[أخرجه مسلم عن مصعب بن سعد عن أبيه]

● في هذه المعاناة الشديدة التي نعيشها اليوم، والتي نشغل أوقاتنا الثمينة بالخوض فيها بالقيل والقال، والحوار والجدال والنقاش، الذي لا فائدة منه ترجى، ونشغل أنفسنا بمشاهدة محطات التلفزة وسماع أخبارها المتعددة والمختلفة والمتعادية والتي لا نستفيد منها شيئاً سوى الأسى والحزن، إ ا مسلسل يومي متكرر يتحدث عن قتل للأنفس، وسلب و ب للأموال والأعراض، وهدم للبيوت، وهجوم ودفاع، وتقدم وتراجع، وصد ورد، وكل ذلك لا يفيد أحدنا شيئاً، ولا يغير من أحوالنا شيئاً، بل يزيدنا أسى وحزناً، وشقاء وتعاسة، وهماً وغماً، وألماً وبؤساً، فإلى متى نظل على هذه الحال، وننسى أن المأمول الوحيد في كشف ذلك كله هو الله ﷻ، بيده الأمر، لا بيد أحد سواه، فلماذا انشغلنا عن الله بدونه، أما آن لنا أن نتيقن أن النجاة مما نحن فيه، والفرج من الكرب الذي نعانيه إنما هو من عند الله وحده بمعجزة لا تصدر إلا منه، وخرق للعوائد عائد إليه، وجند من جنوده التي لا يعلمها إلا هو، فهل نفر إلى الله، ونستغل أوقاتنا الحالية بالبرنامج الذي تحدثنا عنه.

● هذا وينبغي لكل منا بعد أن يفرغ من أعماله الدنيوية، أن يشغل وقته هو وأفراد أسرته بقراءة القرآن، وذكر الله الرحمن، وقراءة سنة نبيه العدنان، وأحاديث وقصص الأنبياء والصحابة والتابعين، والعلماء العاملين، وأهل الله وأصفيائه، وبذكر الله الذكر الكثير، إن ذلك خير لك أيها المسلم من ذلك

البرنامج الذي أضاع من عمرك أربع سنوات بلا فائدة، فهيا نسع إلى الحسنى بدل السيئة، وإلى السعادة بدل الشقاء، وإلى شغل الوقت بما ينفعنا في الدنيا والآخرة بدل إضاعته بلا فائدة، مدركين أن أثمن شيء في هذه الدنيا الوقت ومن خصائص هذا الوقت أنه سريع الانقضاء، وأن ما مضى منه لا يعود، وأن ما مضى منه إنما يمضي من أعمارنا المحدودة، فلنغتنم وقت حياتنا فيما فيه نفعنا في ديننا ودنيانا عملاً بوصية النبي ﷺ: «اغْتنِم خمساً قَبلَ خمس: شبابك قَبلَ هرمِك، وصِحتك قَبلَ سقَمِك، وغِناك قَبلَ فَقْرِك، وفَراغَك قَبلَ شغلِك، وحياتِك قَبلَ موتِك». [أخرجه النسائي عن عمرو بن ميمون رضي الله عنه]

٣ الباقيات الصالحات

- قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

- وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].

● لم ترد عبارة (**الباقيات الصالحات**) في القرآن إلا في الموضعين السابقين، مما يدل على أهمية هذه العبارة، كما أنّ التوفيق وهو من أفضل نعم الوجود لم يذكر في القرآن إلا مرة واحدة.

● **فما معنى الباقيات الصالحات؟**

الباقيات الصالحات لها معنيان عام وخاص:

● **أما المعنى العام** فهو كل ما هو صالح يصدر عن المسلم من قول أو فعل يعود عليه بالخير، ويجد أجره وثوابه ذخراً له في صحائف أعماله يوم القيامة.

- من هذا القبيل ماروي عن النبي ﷺ: «يقُولُ ابن آدم مالِي مالِي، قَالَ: وهلْ لَك يا ابن آدم مِن مالِك إِلاَّ ما أَكَلْت فَأَفْنيت أَو لَبِست فَأَبلَيت أَو تصدقْت فَأَمضيت». [أخرجه مسلم عن عبدِ اللَّهِ بنِ الشخيرِ]

● في هذا الحديث إشارة إلى أن مال الإنسان يفنى في الدنيا ولا يبقى له إلا ما تصدق به فأمضاه إلى الآخرة لينال ثوابه هناك.

– ومن هذا القبيل أيضاً ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من يوم يصبح الْعباد فيه إلاَّ ملَكَان ينزلاَن فَيقُولُ أَحدهما اللَّهم أَعطِ منفقاً خلَفاً، ويقُولُ الآخر اللَّهم أَعطِ ممسكاً تلَفاً». [متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

● وفي الحديث إشارة إلى أن ما تصدق به الإنسان وأنفقه في سبيل الله يخلفه الله في الدنيا أضعافاً ويثيب عليه في الآخرة.

– ومن هذا ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها: أَنهم ذَبحوا شاةً فَقَالَ النبِى ﷺ: «ما بقِي مِنها». قَالَت ما بقِى مِنها إِلاَّ كَتفُها. قَالَ «بقِي كُلُّها غَير كَتفِها». [أخرجه الترمذي]

– ومن هذا القبيل قوله ﷺ: «إِذَا مات ابن آدم انقَطَع عملُه إِلاَّ مِن ثَلاثٍ: صدقَةٍ جارِيةٍ، أَو عِلْمٍ ينتفَع بِهِ، أَو ولَدٍ صالِحٍ يدعو لَه».

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

● مما يدل على أن هذه الثلاث هي من الباقيات الصالحات التي تبقى للإنسان بعد موته يتلقى ثوا ـا باستمرار يوم القيامة. ويجده في صحيفة أعماله.

● وأما المعنى **الخاص** للباقيات الصالحات فقد ورد توضيحه في قول النبي ﷺ: «استكثروا من الباقيات الصالحات قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال التكبير والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله».

[أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه]

– وقال رسول الله ﷺ: «لَقيت إبراهيم لَيلَةَ أُسرِي بي فَقَالَ يا محمد أَقْرِئ أُمتك مِني السلاَم وأَخبِرهم أَنَّ الْجنةَ طَيبةُ التربة عذْبةُ الْماءِ وأَنها قِيعانٌ وأَنَّ غِراسها سبحانَ اللَّهِ والْحمد لِلَّهِ ولاَ إِلَه إِلاَّ اللَّه واللَّه أَكْبر».

[أخرجه الترمذي عن ابن مسعود]

– عن أَبي هريرةَ ﷺ قَالَ جاءَ الْفُقَراءُ إِلَى النبِي ﷺ فَقَالُوا ذَهب أَهلُ الدثُورِ مِن الأَموالِ بِالدرجاتِ الْعلاَ والنعيمِ الْمقيمِ، يصلُّونَ كَما نصلِّي، ويصومونَ كَما نصوم، ولَهم فَضلٌ مِن أَموالٍ يحجونَ بِها، ويعتمِرونَ، ويجاهِدونَ، ويتصدقُونَ قَالَ: «أَلاَ أُحدثُكُم بِأَمرٍ إِنْ أَخذْتم بِهِ أَدركْتم من سبقَكُم ولَم يدرِكْكُم أَحد بعدكُم، وكُنتم خير من أَنتم بين ظَهرانيه، إِلاَّ من عمِلَ مِثْلَه تسبحونَ وتحمدونَ، وتكَبرونَ خلْف كُلِّ صلاَةٍ ثَلاَثاً وثَلاَثِين».

[أخرجه مسلم]

– قال رسول الله ﷺ: «خذوا جنتكُم (حذركم) قلنا: يا رسولَ الله أمن عدو حضر؟ قال: لا، جنتكم من النار قول سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر يأتين يوم القيامة مقدمات معقبات مجنبات هن الباقيات الصالحات». [أخرجه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه]

المقدمات: أي من الأمام، ومعقبات: من الخلف، ومجنبات من الجوانب، أي يأتين محيطات بصاحبهن من الأمام والخلف والجوانب يحمينه من النار.

– أما قوله الباقيات الصالحات فلأن هذه العبارة تضمنت أوصافاً وسمة لله (وهو أهل كل كمال) تضمنت نعوتاً جميلة لذي الجلال والإكرام.

– معنى بقاؤها أ ا خالدة لا تفنى وأ ا مستمرة لا تتلاشى لذلك سميت هذه الكلمات الباقيات الصالحات.

● **الكلمة الأولى: سبحان الله** أي تتريهاً لله من كل مالا يليق بقدره إبعادا لكل مستقبح أو مستنكر عن أن يتسرب إلى صفاته أو إلى ذاته فهو سبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد.

● **والكلمة الثانية: الحمد لله** وكلمة الحمد لها شعبتان في المعاني شعبة تتصل بتمجيد الله وكشف النقاب الذي نسجه الجهل على بصائرنا فلم نعرف ما ينبغي لله من مجد وعظمة، فالحمد هنا مدح، لما في الذات العليا مما يجب أن يمدح، وإن الحمد هنا يذكر في السراء والضراء، ويذكر في كل حين على أنه بيان لما يجب لله من إجلال، ولذلك بعد أن ينتهي الحساب، ويستقر كل فريق، حيث انتهى به عمله أو انتهى به فضل الله، يأتي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

● أما المعنى الثاني من معاني الحمد فهو شعور بالشكر بإزاء النعم التي تنهمر على العباد وفي الناس جحود لهذه النعم فهم يمرحون في فضل الله، ما يطعم من أحد إلا من خير فضله، وما يشرب أحد إلا من سحاب خيره لذلك نبه النبي ﷺ: قَالَ «من قَالَ حِين يصبح اللَّهم ما أَصبح بِي من نِعمة فَمنك وحدك لاَ شرِيك لَك فَلَك الْحمد ولَك الشكْر فَقَد أَدى شكْر يومه ومن قَالَ مِثْلَ ذَلِك حِين يمسِي فَقَد أَدى شكْر لَيلَته».

[أخرجه أبو داود عن عبد الله بن غنام البياضي]

– والمؤمن دائماً على يقين أن ما به من نعم فإنما هي من الله لا من جهده وكسبه فالله هو الذي أعطاه الجهد والكسب والصحة والغنى فالفضل للمانح وهو الله لا للممنوح الذي يرى النعمة ولا يرى المانح.

● **الكلمة الثالثة: لا إله إلا الله** وهي عنوان الإسلام ومدخله وهي إقرار بأنه لا إله في هذا الكون ولا معبود بحق إلا الله سبحانه.

● **والكلمة الرابعة: الله أكبر** هذه الكلمة التي تعطي المؤمن قوة لا تقهر لأنه يستمد القوة من الله والله أكبر، الله أكبر من كل كبير، الله أكبر وأجل وأعظم من العدو الغاشم ومن الشيطان المضل ومن الخرافات والوساوس الباطلة الله أكبر فلا مكان للضعف والمرض والهوان والذل والفقر، الله أكبر من أعداء الإسلام ولو تكالبوا على المسلمين، الله أكبر على الصهاينة وما يفعلونه في غزة والقدس وفلسطين .

●لما ذهب الأتراك بجيش لهم ليقاتلوا الشيوعيين في كوريا الجنوبية كان هتاف الجيش التركي (الله أكبر) هذه الكلمة جعلت الناس في كوريا يستغربون لأن الحماس الذي كان يصاحبها، والجرأة التي كانت تبثها في النفوس والإيمان العميق الذي كان يبدو من نبرا ا لفت أنظار الكوريين فأَقبلوا يسألون عنها وعن الإسلام وبدؤوا يدخلون فيه حتى بلغوا أكثر من خمسين ألف مسلم.

●الله أكبر هتاف المسلمين في كل معاركهم مع أعدائهم فكان الفتح الأكبر وتحقق النصر المبين، الله أكبر نداء الفاتحين والدعاة العاملين فبلغ الإسلام لذه الكلمة مشارق الأرض ومغار ا وتحقق قول النبي ﷺ: «لَيبلُغن هذَا الأَمر ما بلَغَ اللَّيلُ والنهار ولاَ يترك اللَّه بيت مدرٍ ولاَ وبرٍ إلاَّ أَدخلَه اللَّه هذَا الدين بِعِز عزِيزٍ أَو بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزاً يعِز اللَّه بِهِ الإِسلاَم وذُلا يذِلُّ اللَّه بِهِ الْكُفْر».

[أخرجه أحمد عن تميم الداري]

●هل تعلمون أنه منذ مدة قريبة نقل مسجد صنع في أوروبا إلى أقصى القطب الشمالي تتناسب مواد بنائه مع مناخ هذا القطب وثبت هناك وأقام مسلمو القطب فيه شعائر الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، وظهرت معجزة

النبي ﷺ في حديثه السابق.

●فلنعمل بما يبقى لنا عند الله ﷻ أجره وذخره، ونراه في صحائف أعمالنا من الباقيات الصالحات، ولنهجر المعاصي والآثام فهي باقيات سيئات، تخزي صاحبها وتسوؤه يوم القيامة وتكون سبباً في غضب الله عليهم، ودخوله النار، فلنبادر إلى أعمال الخير التي يبقى ذكرها إلى يوم القيامة ولنكثر من قول: **سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر و لا حول ولا قوة إلا بالله**، في ذهابنا وإيابنا، وفي حلنا وترحالنا، وفي منشطنا ومكرهنا، وفي سرورنا وحزننا، وفي عملنا وسهرنا، وفي صباحنا ومسائنا، وعند نومنا واستيقاظنا، وفي كل حال من أحوالنا، حتى نستمد من قو ا وأنوارها وتجليا ا ونسعد ا في الدنيا، وتكون لنا ذخراً، فتلك الكلمات هي الباقيات الصالحات، وهي خير عند ربنا ثواباً، وهي من أفضل ما يأمله المسلم في عاقبة أمره يوم القيامة.

– عن أَبي هريرةَ ﷺ قَالَ جاءَ الْفُقَراءُ إِلَى النبي ﷺ فَقَالُوا ذَهب أَهلُ الدثُورِ مِن الأَموالِ بِالدرجاتِ الْعلاَ والنعيمِ الْمقيمِ، يصلُّونَ كَما نصلِّي، ويصومونَ كَما نصوم، ولَهم فَضلٌ مِن أَموالٍ يحجونَ بِها، ويعتمِرونَ، ويجاهِدونَ، ويتصدقُونَ قَالَ: «أَلاَ أُحدثُكُم بِأَمرٍ إِنْ أَخذْتم بِهِ أَدركْتم من سبقَكُم ولَم يدرِكْكُم أَحد بعدكُم، وكُنتم خير من أَنتم بين ظَهرانيه، إِلاَّ من عمِلَ مِثْلَه تسبحونَ وتحمدونَ، وتكَبرونَ خلْف كُلِّ صلاَةٍ ثَلاَثاً وثَلاَثين».

[أخرجه البخاري]

●في الباقيات الصالحات قوة عظيمة تسري في الأجساد ونور يعم الإنسان وفضل يدفع الإنسان إلى مواصلة العمل دون كلل أو ملل ودون

تعب أو نصب يظهر ذلك في حديث النبي ﷺ عندما شكت إليه ابنته فاطمة تعبها فطلبت منه جارية تستعين ـا على قضاء حوائجها فماذا كان رد النبي ﷺ عليها؟ قال: «أَلاَ أَدلُّكِ علَى ما هو خير لَكِ من خادمٍ إِذَا أَويتِ إِلَى فِراشِكِ سبحِي ثَلاَثاً وثَلاَثِين واحمدِي ثَلاَثاً وثَلاَثِين وكَبرِي أَربعاً وثَلاَثِين». فَقَالَت رضِيت عنِ اللَّهِ ورسولِهِ. [أخرجه أحمد]

● فهلا كانت هذه الكلمات دواء لنا مما نعانيه من أمراض وأتعاب وبلاء وامتحانات ننتصر ـا على أنفسنا وشياطيننا وأعدائنا من الإنس والجن وقوة لنا في حياتنا نستمد منها نوراً يضيء لنا حياتنا، ثم تكون لنا من الباقيات الصالحات عند ربنا لننال رضاه والجنة.

٤ تعال نؤمن ساعة

● الإنسان ضعيف، أجل إنه ضعيف.

- قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

- وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤].

● فالضعف أحد صفات الإنسان، فمهما توهم نفسه قوياً، فإنه يجد نفسه في كثير من المواقف ضعيفاً، ضعيفاً في تفكيره، ضعيفاً في جسمه، ضعيفاً في نفسه، ضعيفاً في تحمله لمشاق الحياة وشقائها وآلامها ومعانا ا.

● وخاصة في هذا الزمان، وما حلّ بنا وببلادنا فيه مما لا يكن يتوهمه خيال، فلم يعد أحد منا يدري ما يفعل، و لم يعد الفكر أو النفس أو العقل أو الصدر يتحمل ما يحدث، فليس في أحداث التاريخ وتجاربه تجربة مثل تجربتنا، و لم تمر أمة بمثل ما نمر به، حتى كاد الكثير منا يفقد عقله فلا يعرف ماذا يتصرف، ويفقد القدرة فلا يكاد يستطيع الوقوف على قدميه، وكاد اليأس والقنوط يسيطر على كثير من العقول والنفوس.

● في مثل هذا الموقف تظهر عظمة الإيمان بالله ﷻ، والثقة به، والاستعانة به، واللجوء إليه، ومعرفة أن الأمور بيده، وأن قوانين الله حكيمة لا تبديل لها، وأن من قوانينه أن مع العسر يسراً، ومع الضيق فرجاً، ومع المحنة منحة، ومع الصبر فلاح ونجاح ونجاة.

● فإذا بالمؤمن وهو في هذه الغمرة يسرع إلى ربه ملتجئاً إليه، معتصماً به، معتمداً عليه، مستنصراً به، متوكلاً عليه في كل ما يواجهه، سائلاً الله ﷻ

قضاء حاجاته، يناجيه ويستنجده، ويتوكل عليه، ويعتصم به، ويلتجئ إليه.

- في أعماق نفسه تسري معاني قول النبي ﷺ: «أَلاَ أُخبِركُم بِأَهلِ الجَنة؟ كُلُّ ضعيفٍ متضعفٍ، لَو أَقْسم علَى اللَّهِ لأبره، أَلاَ أُخبِركُم بِأَهلِ النارِ: كُلُّ عتلٍّ، جوافٍ مستكْبِرٍ» [أخرجه البخاري عن حارثة بن وهب رضي الله عنه]

فيقف هذا المتضعف على باب ربه، يدعوه خاشعاً متضرعاً باكياً يردد في نفسه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

- يتغنى باكياً ويقول:

يا من يجيب دعا المضطرِ في الظُّلَمِ ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقَمِ
قد نام وفْدك حولَ البيت وانتبهوا ... وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
بِك أستجير ومن يجير سواك ... فأجر ضعيفاً يحتمي بحماك
إني ضعيف أستعين على قُوى ... ذنبي ومعصيتي ببعض قُواك

● أمام ضعفنا الشديد، وأمام مواجهاتنا لهذا الواقع الأشد الذي نعيشه، وأمام حاجاتنا لمدد الله وعونه، كان لابد من الوقوف على بابه، تأسياً برسول الله ﷺ فهو الأسوة الحسنة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

● فقد كان من شأنه ﷺ إذا حزبه أمر وضاق به صدره أن يلجأ إلى الله ﷻ إلى الصلاة قائلاً: «يا بِلالُ أَقِمِ الصلاةَ أَرِحنا بِها». [أخرجه أبو داود]

- وكان ﷺ يقول: «إِنه لَيغانُ علَى قَلْبِي، وإِني لأستغفِر اللَّهَ، فِي الْيومِ مِائَةَ مرةٍ». [أخرجه مسلم عن الأغر المزني]

ومعنى قوله يغان على قلبي: يخاف أن يغشى على قلبه من هموم الدنيا وما يتعلق ـا، فيسرع إلى دوام ذكر الله ﷻ.

●وكان الصحابة الكرام في مثل هذه الحالات يسرعون إلى تجديد إيما ـم بالجلوس بين يدي الله ﷻ، ويسمون تلك الجلسة التي ينفردون ـا مع الله للدعاء والمناجاة والذكر وبث الشكوى وطلب الحاجات يسمو ـا مجالس الإيمان، ومجالس الصفا والعرفان، ويدعو بعضهم بعضاً بقوله: (**تعال نؤمن بربنا ساعة**).

- عن أَنسِ بنِ مالكٍ قَالَ كَانَ عبد اللَّه بن رواحةَ إِذَا لَقِي الرجلَ من أَصحابه يقُولُ تعالَ نؤمن بربنا ساعةً. فَقَالَ ذَات يومٍ لرجلٍ فَغضب الرجلُ فَجاءَ إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ يا رسولَ اللَّه أَلاَ ترى إِلَى ابنِ رواحةَ يرغَب عن إِيمانك إِلَى إِيمان ساعة. فَقَالَ النبى ﷺ: «يرحم اللَّه ابن رواحةَ إِنه يحب الْمجالِس الَّتي تتباهى بِها الْملاَئكَةُ علَيهم السلاَم». [أخرجه أحمد في مسنده]

- عن عطاء بن يسار، أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له: (تعال حتى نؤمن ساعة). قال: أولسنا بمؤمنين؟ قال: (بلى، ولكنا نذكر الله فترداد إيماناً). [أخرجه البيهقي في شعبه]

- عن الأسود بن هلال قال: كنا نمشي مع معاذ فقال لنا اجلسوا بنا نؤمن ساعة، فيجلسون يذكرون الله ﷻ. [أخرجه أبو نعيم في الحلية]

- عن زر بن حبيش قال: (كان عمر مما يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول قم بنا نزداد إيمانا فيذكرون الله).

[أخرجه ابن أبي شيبة، واللالكائي في السنة]

- قال القاضي أبو بكر بن العربي إنما أراد تجديد الإيمان، وتجديد الإيمان إيمان.

● وتجديد الإيمان لابد منه يستلزمه ما يواجهه المسلم في حياته من بلاءٍ وامتحاناتٍ وغفلاتٍ وهمومٍ وأشغال، وقد أمر النبي ﷺ بذلك.

– عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «جددوا إيمانكُم». قِيلَ يا رسولَ اللَّهِ وكَيف نجدد إِيماننا قَالَ «أَكْثِروا مِن قَولِ لاَ إِلَه إِلاَّ اللَّه».

[أخرجه أحمد في مسنده]

– قال أبو الدرداء ﷺ: إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه، وما نقص منه.

– عن عمير بن حبيب ﷺ: قال: (إن الإيمان يزيد وينقص) قيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: (إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضعفنا فذلك نقصانه). [الإيمان لابن شيبة]

– وكان من دعاء ابن مسعود ﷺ: (اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً).

[رواه أحمد في الإيمان]

● مجالس الإيمان هذه لها أشكال متعددة منها: مجالس القرآن، ومنها مجالس العلم، وأهم مجالسها مجالس الذكر، فمجلس الذكر هو جلوس مع الله ﷻ، فقد جاء في الحديث القدسي: «أَنا عِند ظَن عبدِي بِي، وأَنا معه حِين يذْكُرنِي، إِنْ ذَكَرنِي فِي نفْسِه، ذَكَرته فِي نفْسِي، وإِنْ ذَكَرنِي فِي ملإٍ، ذَكَرته فِي ملإٍ هم خير مِنهم، وإِنْ تقَرب مِني شِبراً، تقَربت إِلَيه ذِراعاً، وإِنْ تقَرب إِلَي ذِراعاً، تقَربت مِنه باعاً، وإِنْ أَتانِي يمشِي أَتيته هرولَةً».

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ]

– وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا مررتم بِرِياضِ الْجنةِ، فَارتعوا»، قَالُوا: وما رِياض الْجنةِ؟ قَالَ: «حِلَق الذِّكْرِ» [أخرجه أحمد عن أنس بن مالك]

فارتعوا أي اجلسوا معهم واكسبوا من عطاء الله ونفحاته وأنواره وتجلياته.

- وفي ذلك يقول أحد المحبين:

حديث الروح للأرواح يسري فتدركه القلوب بلا عناء

- عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّه ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ للَّه تبارك وتعالَى سرايا من الْملائكَة تحلُّ وتقف علَى مجالسِ الذِّكْرِ في الأرضِ، فَاغْدوا وروحوا في ذكْرِ اللَّه، وذَكِّروا اللَّه بأَنفُسكُم، من أَحب أَنْ يعلَم منزلَته عند اللَّه فَلْينظُر كَيف منزِلَةُ اللَّه عنده، فَإنَّ اللَّه ﷻ ينزِلُ الْعبد منه حيثُ أَنزلَه من نفْسه». [أخرجه الطبراني في الأوسط]

- عن أَبي هريرةَ ﷺ قَالَ، قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ للَّه ملاَئكَةً يطُوفُونَ في الطُّرقِ يلْتمسونَ أَهلَ الذِّكْرِ، فَإذَا وجدوا قوماً يذْكُرونَ اللَّه تنادوا: «هلُموا إلَى حاجتكُم» قَالَ: «فَيحفُّونهم بأَجنحتهم إلَى السماءِ الدنيا» قَالَ: «فَيسأَلُهم ربهم، وهو أَعلَم منهم، ما يقُولُ عبادي»؟ قَالُوا: «يقُولُونَ: يسبحونك ويكَبرونك ويحمدونك ويمجدونك» قَالَ: «فَيقُولُ: هلْ رأَوني؟» قَالَ: «فَيقُولُونَ: لاَ واللَّه ما رأَوك؟» قَالَ: «فَيقُولُ: وكَيف لَو رأَوني؟» قَالَ: «يقُولُونَ: لَو رأَوك كَانوا أَشد لَك عبادةً، وأَشد لَك تمجيداً وتحميداً، وأَكْثَر لَك تسبيحاً» قَالَ: «يقُولُ: فَما يسأَلُوني؟» قَالَ: «يسأَلُونك الجَنةَ» قَالَ: «يقُولُ: وهلْ رأَوها؟» قَالَ: «يقُولُونَ: لاَ واللَّه يا رب ما رأَوها» قَالَ: «يقُولُ: فَكَيف لَو أَنهم رأَوها؟» قَالَ: «يقُولُونَ: لَو أَنهم رأَوها كَانوا أَشد علَيها حرصاً، وأَشد لَها طَلَباً، وأَعظَم فيها رغْبةً»، قَالَ: «فَمم يتعوذُونَ؟» قَالَ: «يقُولُونَ: من النارِ» قَالَ: «يقُولُ: وهلْ رأَوها؟» قَالَ:

«يقُولُونَ: لاَ واللَّه يا رب ما رأَوها» قَالَ: «يقُولُ: فَكَيف لَو رأَوها؟» قَالَ: «يقُولُونَ: لَو رأَوها كَانوا أَشد منها فِراراً، وأَشد لَها مخافَةً» قَالَ: «فَيقُولُ: فَأُشهدكُم أَني قَد غَفَرت لَهم» قَالَ: «يقُولُ ملَك من المَلاَئكَة: فِيهِم فُلاَنٌ لَيس مِنهم، إِنما جاءَ لِحاجةٍ. قَالَ: هم الجُلَساءُ لاَ يشقَى بِهِم جلِيسهم».

[أخرجه البخاري]

● مجالس الذكر هذه استجابة لأمر الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

● وفي مجالس الذكر هذه تتأكد حقائق الإيمان في نفوس المؤمنين وتقوى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

● وفي مجالس الذكر هذه تتحقق طمأنينة القلب، وسعادة النفس كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

● وقد بين الله ﷻ حالة من أعرض عن ذكره فقال ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

- وبين حالة المنافقين فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾. [النساء: ١٤٢]

- ووصف حالهم فقال ﷻ: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

● إن مجالس الذكر (مجالس الصفا والعرفان) مجالس تعال نؤمن ساعة، مجالس تنعش القلوب، وتسمو بالأرواح، و دئ البال والخاطر، وتزيد المسلم علماً ونوراً وحكمة.

– في هذه ا الس يستنير عقل الإنسان، وتتوسع مداركه وعلمه، وهذه ا الس تزيل الهموم من نفس المؤمن، فيقترب من ربه، ويرضى بقضائه وقدره وعطائه ومنعه، فيشكر للعطاء والنعم، ويصبر على البلاء والمحن.

– مجالس الذكر هذه غنيمة عظيمة، سأل عنها عبد الله بن عمرو ﷺ النبي فقال: يا رسولَ اللهِ: ما غَنِيمةُ مجالِسِ الذِّكْرِ؟ قَالَ: «غَنِيمةُ مجالِسِ الذِّكْرِ الْجنةُ الْجنةُ». [أخرجه أحمد]

– إن لهذه ا الس قيمة عظيمة ذكرها النبي ﷺ فقال: «ما جلَس قَوم مجلساً يذْكُرونَ اللَّه فِيهِ إِلا حفَّتهم الْملائكَةُ، وتغشتهم الرحمةُ، وتنزلَت علَيهِم السكِينةُ، وذَكَرهم اللَّه فِيمن عِنده». [أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ]

– وكما قال ﷺ: «ما مِن قَومٍ اجتمعوا يذْكُرونَ اللهَ، لا يرِيدونَ بذَلك إِلا وجهه، إِلا ناداهم منادٍ مِن السماءِ: أَنْ قُوموا مغفُوراً لَكُم، قَد بدلَت سيئَاتكُم حسناتٍ». [أخرجه أحمد عن أنس بن مالك ﷺ]

– كما أن النبي ﷺ حذر من ا الس التي لا يذكر فيها الله ﷻ ولا يصلى على نبيه فقال: «ما جلَس قَوم مجلساً لَم يذْكُروا اللَّه فِيهِ، ولَم يصلُّوا علَى نبِيهِم، إِلا كَانَ علَيهِم ترةً (حسرة وندامة)، فَإِنْ شاءَ عذَّبهم وإِنْ شاءَ غَفَر لَهم». [أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ]

– وأهل الذكر هؤلاء هم المتحابون في الله ﷻ الذين ذكرهم النبي ﷺ فقال: «ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ

يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء هم المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه».

[أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء ﷺ]

● ولقد لخص ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين أهمية هذه ا لس الإيمانية فقال:

– ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته.

– وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته.

– وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه.

– وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره و يه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.

– وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه.

– وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبداً.

● إذا كانت هذه ا لس لذه الأهمية ولها الفائدة الجمة والثواب الجزيل، فهلا جلسنا كل يوم مع أهلنا ولو لدقائق معدودة في مثل هذه ا لس لنخفف عما نلاقيه، ولنسعد سعادة الدارين.

٥ من نجالس

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]

● تحدثنا عن مجلس الصفاء والعرفان، مجلس تعال نؤمن ساعة، مجلس حافظ عليه الصحابة الكرام، وكانوا يتنادون إليه فيما بينهم، وكان النبي ﷺ يقرهم على ذلك، هذا ا لمس مجلس ذكر الله، مجلس غسل القلوب مما تعانيه وطمأنينتها وسعاد ا بالجلوس بين يدي الله ﷻ تناجيه وتتقرب إليه وتأنس به، وتطرب بذكره، وتستمد من قوته، فترضى بقضائه، وتقنع بعطائه، وتصبر على بلائه، وتشكر نعماءه.

- قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

● هذا ومن الفضل الإلهي وفيضه أنني بعد أن تحدثت عن مجلس تعال نؤمن بربنا ساعة، شاهدت فلماً علمياً للدكتور مصطفى محمود رحمه الله يتحدث عن قدرة الإنسان على تغيير أحوال جسمه والشفاء من أمراضه من ارتفاع للضغط أو هبوطه وعدد عدة أمراض حتى مرض الصرع وخاصة عند الأطفال، وعرض مشاهد تجريبية قام ا علماء مختصون أعطت نتائج إيجابية، وذلك عن طريق استرخاء من أجريت عليهم التجارب مع تغميض للعينين، والتذكر لمناظر جميلة، وتجارب إيجابية عاشوها، فكان لهذا التفكر والاسترخاء أثر بالغ في تحقيق الشفاء، فقلت: يا الله، يصل العلم أخيراً إلى نتائج كان قد ذكرها القرآن قبل خمسة عشر قرناً، ووضحها النبي ﷺ.

● إذاً فإن أفضل من تجالس، وخير من تصحب: الله ﷻ، فهو الذي يصلك بإحسانه، ويسبغ نعمه عليك، و لم يمنع عنك لما يعلمه من عيوبك التي يكرهها منك، وليس ذلك إلا من مولاك ﷻ.

– فهو يلطف بك ويؤثرك ويريدك من غير منفعة يريدها منك، وما نالك من هذا البر والعطاء فمن الله وحده ﷻ.

– وإذا كان الله ﷻ قد لطف بك جنيناً في بطن أمك، لا قدرة لك، ولا إرادة، ويسر سبيل خروجك إلى الحياة الدنيا على عجزك بفضله، فكيف يكون فضله عليك إن أقبلت إليه وجالسته؟؟

● أضيف لما سبق الحديث القدسي الذي مر معنا سابقاً لنأخذ منه درساً جديداً: «إِنَّ للَّه ملاَئكَةً يطُوفُونَ فِي الطُّرقِ يلْتمسونَ أَهلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وجدوا قَوماً يذْكُرونَ اللَّه تنادوا: هلُموا إِلَى حاجتِكُم» قَالَ: «فَيحفُّونهم بِأَجنحتِهِم إِلَى السماءِ الدنيا» قَالَ: «فَيسأَلُهم ربهم، وهو أَعلَم منهم، ما يقُولُ عِبادي؟ قَالُوا: يقُولُونَ: يسبحونك ويكَبرونك ويحمدونك ويمجدونك» قَالَ: «فَيقُولُ: هلْ رأَونِي؟» قَالَ: «فَيقُولُونَ: لاَ واللَّه ما رأَوك؟» قَالَ: «فَيقُولُ: وكَيف لَو رأَونِي؟» قَالَ: «يقُولُونَ: لَو رأَوك كَانوا أَشد لَك عِبادةً، وأَشد لَك تمجِيداً وتحمِيداً، وأَكْثَر لَك تسبِيحاً» قَالَ: «يقُولُ: فَما يسأَلُونِي؟» قَالَ: «يسأَلُونك الجَنةَ» قَالَ: «يقُولُ: وهلْ رأَوها؟» قَالَ: «يقُولُونَ: لاَ واللَّه يا رب ما رأَوها» قَالَ: «يقُولُ: فَكَيف لَو أَنهم رأَوها؟» قَالَ: «يقُولُونَ: لَو أَنهم رأَوها كَانوا أَشد علَيها حرصاً، وأَشد لَها طَلَباً، وأَعظَم فِيها رغْبةً»، قَالَ: فَمم يتعوذُونَ؟» قَالَ: «يقُولُونَ: مِن النارِ» قَالَ: «يقُولُ: وهلْ رأَوها؟» قَالَ: «يقُولُونَ: لاَ واللَّهِ يا رب ما رأَوها» قَالَ:

«يقُولُ: فَكَيف لَو رأَوها؟» قَالَ: «يقُولُونَ: لَو رأَوها كَانوا أَشد منها فِراراً، وأَشد لَها مخافَةً» قَالَ: «فَيقُولُ: فَأُشهِدكُم أَني قَد غَفَرت لَهم» قَالَ: «يقُولُ ملَك مِن المَلاَئكَة: فِيهِم فُلاَنٌ لَيس مِنهم، إِنما جاءَ لِحاجةٍ. قَالَ: هم الجُلَساءُ لاَ يشقَى بِهِم جلِيسهم». [أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ]

– تعالوا نقف عند قول الله في هذا الحديث القدسي: «**هم الجُلَساءُ لاَ يشقَى بِهِم جلِيسهم**».

– رجل مؤمن أتى يريد حاجة من أحد الجالسين، لم يأتِ ليجالس القوم، ولم يكن يفكر بهذه الجلسة، ولكنه أتى لحاجته، فشملته نفحة الله فكان في جملة هؤلاء الذين فازوا بالمغفرة.

● الفكرة التي أريد أن أوصلها إليكم من خلال هذه المقولة عنوانها: **من نجالس؟**

● الإنسان العاقل في كل زمان ومكان يبحث عن سعادته، ويبتعد عن شقاوته، ومن أهم الأمور التي تسعد الإنسان أو تشقيه الصاحب، الصديق، الزميل، الذي تجالسه.

● صاحب مؤمناً يلاقيك بوجه طلق، ويتحدث إليك بالتفاؤل والأمل، ويبعث فيك الصبر والتحمل، ويربطك بالله وقدرته ومشيئته ورحمته وحكمته وتأييده ونصره وفرجه، يكون معك وقت الشدة مساعداً، ووقت الفرح مهنئاً، ووقت الألم بلسماً، ووقت البلاء مصبراً، ووقت النعمة شاكراً، هذا الصاحب وسيلة هامة لإسعادك، ووسيلة لتفريج كربك.

● ولا تصاحب كافراً أو منافقاً أو فاسقاً أو ظالماً يلاقيك بالعبوس ويتحدث معك باليأس والقنوط، ويبث فيك الضجر والشدة، ويربطك

بالشيطان وأعوانه، ويخوفك من حاضرك ومستقبلك، يكون إلى جانبك وقت الشدة ميئساً، ووقت الفرح حاسداً، ووقت الألم مثبطاً، ووقت البلاء مضجراً، ووقت النعمة حاقداً، هذا الصاحب وسيلة مؤكدة لشقائك وتعاستك وزيادة همك وغمك.

- الله ﷻ يقول لك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

- وعنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قِيلَ: يا رسولَ الله، أَي جلَسائنا خير؟ قَالَ: «من يذَكِّركُم اللهَ رؤيته، وزاد فِي عملِكُم منطِقُه، وذَكَّركُم الآخِرةَ عملُه» [أخرجه البيهقي في شعبه]

- وفي الأخبار السالفة: «أَوحى اللهُ تعالَى إِلَى موسى بنِ عِمرانَ عليه السلام يا موسى بن عِمرانَ كُن يقِظاً مرتاداً لِنفْسك أَخداناً فَكُلُّ خِدنٍ لا يواتِيك علَى مسرتِي فَإِنه لَك عدو وهو يقَسي علَيك قَلْبك، ولَكِن من الذَّاكِرين تستوجِبِ الأجر وتستكْمِلِ الْمزِيد». [أخرجه أبو نعيم في حليته]

- وفي الخبر عن داود عليه السلام أنّ الله سبحانه وتعالى أوحى إليه: يا داود ما لي أراك منتبذاً وحداناً، قال: إلهي قليت (بغضت) الخلق من أجلك، فأوحى الله عز وجلّ إليه: يا داود كن يقظان مرتاداً لنفسك إخواناً، فكل خدن (أخ أو صاحب) لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه، فإنه لك عدو ويقسي قلبك ويباعدك مني. [قوت القلوب: أبو طالب المكي]

- وروي عن عيسى عليه السلام قال: (لا تجالسوا الموتى، فتموت قلوبكم، قيل: ومن الموتى؟ قال: المحبون للدنيا الراغبون فيها).

[روح البيان: إسماعيل حقي]

● مما سبق يدفعنا إلى أن نراجع حياتنا فيما يتعلق فيمن نجالس، وخاصة في هذه الظروف التي نعيشها، وكذلك علينا أن ننتبه إلى أهلنا وأولادنا من يجالسون، وأن ننتقي الأخيار حتى نسعد بهم، وأن نبتعد عن الأشرار حتى لا نشقى بهم.

– فنتقيد بتوجيهات النبي ﷺ حيث يقول: «الرجلُ علَى دِينِ خلِيلِه، فَلْينظُر أَحدكُم من يخالِلُ». [أخرجه الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه]

وقد ورد: (إياك وقرين السوء فإنك به تعرف).

– فننتبه إلى أثر الجليس في جليسه بقوله ﷺ: «مثَلُ الجَلِيسِ الصالِحِ والجَلِيسِ السوءِ، كَمثَلِ صاحِبِ المِسكِ وكِيرِ الحَدادِ، لاَ يعدمك مِن صاحِبِ المِسكِ إِما تشتريه، أَو تجِد رِيحه، وكِير الحَدادِ يحرِق بدنك، أَو ثَوبك، أَو تجِد مِنه رِيحاً خبِيثَةً». [أخرجه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه]

– متعظين بقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
فإن كان ذا شر فجانبه سرعة وإن كان ذا خير فقاربه تقتدي

● وقد أصبح من أهم جلسائنا في هذا الزمان التلفاز والوسائل التكنولوجيا الحديثة، فإذا أردنا سعادة الدارين وجب أن نسأل أنفسنا هل هذه الوسائل التي نجلس إليها من مجالس الخير التي تسعدنا، أم من مجالس الشر، لأ ا كثيراً ما تكون مضيعة للوقت، فإذا تحققنا أ ا غالباً ما تشغلنا عن الخير، وجب علينا الابتعاد عنها، فهلا صحونا، هلا انتبهنا، هلا وعينا قبل أن نندم في وقت لا يفيد الندم.

● قال جعفر الصادق ﷺ: لا تصحب خمسة:

الكذاب: فإنك منه على غرور، وهو مثل السراب يقرب منك البعيد، ويبعد منك القريب.

والأحمق: فإنك لست منه على شيء، يريد أن ينفعك فيضرك.

والبخيل: فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه.

والجبان: فإنه يسلمك ويفر عند الشدة.

والفاجر: فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها، قيل وما أقل منها، قال: الطمع فيها ثم لا ينالها. [قوت القلوب: أبو طالب المكي]

وقد ورد: (لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله).

[الحكم العطائية]

- قال سهل بن عبد الله ﷺ: (احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس: الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين).

- أما من لم يتعظ بكل ما سبق فيعده القرآن الكريم ظالماً لنفسه، ويصف ﷻ حالة هذا الظالم يوم القيامة فيقول: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾.

[الفرقان: ٢٧-٢٩]

٦ التفاؤل والتشاؤم

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

- من روح الله: أي من رحمته وفضله وعطائه وجوده وكرمه وتيسيره ورفع الضيق وإذهاب الغم وإسراع الفرج.

- قال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قنط: يأس أشد اليأس.

- وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

● إن المحنة التي حلت بنا، والتي ليس لها شبيه في التاريخ، وقد طال أمدها، فكسرت ظهور الناس، وضيقت صدورهم، وكثرت همومهم، وكادت تودي بعقول كثير منهم، بل اشتد الخوف على إيما م أن يضيع، وأصبح الكثير حيارى لا يدرون ما يفعلون، أمام كل ذلك فإن الناس عند المصائب الشديدة، والبلايا الكثيرة، والمحن العظيمة على نوعين: **متفائل ومتشائم**.

- **المتفائل**: هو الذي لا ييأس من روح الله، أي لا يتقطع رجاؤه بالله، ولا يخيب أمله.

- **والمتشائم**: هو الذي ييأس من روح الله ويقنط، وينقطع رجاؤه بالله ويخيب أمله.

– قال الرازي: (واعلَم أَنَّ الْيأْس من رحمة اللَّه تعالَى لا يحصلُ إلا إِذَا اعتقَد الإنسانُ أَنَّ الإلَه غَير قَادرٍ علَى الْكَمالِ أَو غَير عالمٍ بِجميعِ الْمعلُومات أَو لَيس بِكَرِيمٍ بلْ هو بخيلٌ وكُلُّ واحدٍ من هذه الثَّلاثَة يوجب الْكُفْر، فَإِذَا كَانَ الْيأْس لا يحصلُ إِلا عند حصولِ أَحد هذه الثَّلاثَة، وكُلُّ واحدٍ منها كُفْر ثَبت أَنَّ الْيأْس لا يحصلُ إِلا لِمن كَانَ كَافِراً). [تفسير الرازي]

– **المتفائل**: مهما ألم به من شر فإنه يرى من أمامه خيراً.

– **والمتشائم**: يرى أن هذا الشر لا حدود له ولن ينتهي وسيقضي عليه.

– **المتفائل**: يعتمد في تفاؤله على الله ﷻ مغير الأحوال.

– **والمتشائم**: يغفل عن الله فلا يرى لحاله تغيراً.

– **المتفائل**: هو المؤمن الذي يعلم علم اليقين أن خالق هذا الوجود هو الله ﷻ وهو الذي خلقه ليمتحنه، والامتحان مقدر وبأشكال متنوعة ومتعددة على كل البشر، لتتحقق النتيجة من هذا الامتحان، ولتظهر الحقائق واضحة من سيؤول إلى نعيم الجنة، ومن سينتهي إلى عذاب النار، وما مترلة المؤمن في درجات الجنان، وجزيل الجزاء من الله الرحمن.

– **والمتفائل**: هو الذي يعلم علم اليقين أن الله قادر على كل شيء، وهو المقدر لكل شيء، والعالم بكل شيء، ولا يجري شيء في هذا الكون إلا بقدره وإرادته ومشيئته.

– **والمتفائل**: هو الذي يعلم علم اليقين أن ما قدر سيقع بالشكل والكيفية التي يريدها الله تعالى.

– كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١].

- ويعمل بنصيحة الشاعر الذي يقول:

لا تكثر همك ما قدر يكون القضا تحتم فالزم السكون

- **والمتفائل:** يؤمن إيماناً يقينياً بما وصى به النبي ﷺ المؤمنين على مر العصور من خلال وصيته لابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «واعلَم أَنَّ الأُمةَ لَو اجتمعت علَى أَنْ ينفَعوك بِشيءٍ لَم ينفَعوك إِلاَّ بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه لَك ولَو اجتمعوا علَى أَنْ يضروك بِشيءٍ لَم يضروك إِلاَّ بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه علَيك رفِعتِ الأَقْلاَم وجفَّتِ الصحف». [أخرجه الترمذي]

- وبما وصى به زيد بن ثابت رضي الله عنه: «وتعلَم أَنَّ ما أَصابك لَم يكُن لِيخطِئَك وأَنَّ ما أَخطَأَك لَم يكُن لِيصِيبك وإِنك إِنْ مِت علَى غَيرِ هذَا دخلْت النار ». [أخرجه أحمد]

- **والمتفائل:** هو الذي يعلم علم اليقين أن لله ﷻ في هذا الكون سنناً وقوانين ثابتة حتمية لا تبديل لها، ومنها قوانين تفريج كروب المؤمنين الصادقين، وتيسير أمورهم، ومن قوانينه أن يجعل بعد العسر يسراً، وبعد الضيق فرجاً.

- **أما المتشائم:** فإنه غافل عن كل هذه المعاني السابقة، لأنه ضعيف الإيمان بالله ﷻ أو فاقده، أو لأن إيمانه اسم بلا معنى، عاش حياته في لهو ولذة ومعصية وقد تعدى حدود الله ﷻ، فقسا قلبه، ونسي ربه، فأعرض عن أوامر الله وسننه ومعونته وفرجه، لا يجد لمأساته معيناً، ولا يفكر في أقدار ربه وقوانينه ورحمته وفضله وفرجه، فيعيش في همه وغمه، وينعكس ذلك على أهله، وتسود الدنيا بوجهه، حتى يخشى عليه من قتل نفسه.

- **المتفائل:** مؤمن بالله ﷻ حق الإيمان، مدرك أن ما اعتراه من الفتنة

إنما هو امتحان، فيسرع في التوبة من ذنوبه، ويستغفر من تقصيره، ويرجو من ربه أن يثبت إيمانه، ويرضى عنه ويرفع درجاته.

– **والمتشائم**: مشرك بربه من خلال اعتراضه على أحكامه، غير راض عن الله ﷻ في أقدراه، وساخط لابتلاء الله له.

– **المتفائل**: لا يلتفت إلى الوراء، ولا يأسف على ما فات، لأن ما حدث ليس بالإمكان تغييره ولا تبديله، بل ينظر إلى الأمام، وما هو آت، ويعمل ما يجب عليه فعله، ليغير الله حاله، ومستقبل أيامه، يردد دائماً قول النبي ﷺ: «احرِص علَى ما ينفَعك، واستعِن بِالله ولا تعجز، وإِنْ أَصابك شيءٌ، فَلا تقُلْ لَو أَني فَعلْت كَانَ كَذَا وكَذَا، ولَكِن قُلْ قَدر اللهِ وما شاءَ فَعلَ، فَإِنَّ لَو تفْتح عملَ الشيطَانِ». [أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

– **والمتشائم**: دائم النظر إلى الوراء متحسراً على ما كان وفات، ولا يفكر أبداً ولا ينظر إلى الأمام وما هو آت وما يجب عليه فعله الآن وفي مستقبل أيامه.

المتفائل: يعيش مع الواقع ويتعامل معه بإيجاب وحكمة، ويعلم أن هذا الواقع ليس بيده رده، ولكن بيده أن يحسن التعامل معه، هذا الواقع الذي يفاجئه كل يوم، وليس بيده تغييره، ولكن بيده التعامل معه بشكل أفضل وأحسن، فإن أحسن التعامل معه نجح وسعد وفاز، وإن لم يحسن التعامل معه فشل وشقي وخسر، والتعامل مع الواقع بشكل صحيح يكون بالتفاؤل، وعدم التعامل مع الواقع بشكل صحيح يكون بالتشاؤم.

والمتشائم: هو الذي لا يحسن التعامل مع الواقع، ويريد أن يكون الواقع كما يريده، فلا يتغير الواقع، ولا يحسن المتشائم التفاعل معه، فيخسر ويخيب أمله، ويزداد شقاؤه.

– على سبيل المثال: لو أن شخصاً تقدم إلى وظيفة، فرفض طلبه.

المتفائل يقول: حسناً سأبحث عن فرصة أخرى، والحمد لله، فأنا محاط بنعم كثيرة من حيث الصحة والأمن والاستقرار العائلي، وإن شاء الله سأوفق إلى عمل مناسب لي.

المتشائم يقول: ليس لي حظ في هذه الحياة، فأينما أكون يحط الفشل والإخفاق، ظروفي صعبة، وحظي تعس في كل شيء، في العمل والأهل والزوجة والسكن والصحة.

المتفائل: كانت لي جولات نجاح في السابق، وإن فشلت هذه المرة، فليست هي اية المشوار، سأ ض وأعمل مة من جديد، وسأبحث عن فرص أخرى، وإن مع العسر يسراً.

المتشائم يقول: (طول عمري ما لي حظ) في كل مرة تلوح في الأفق فرصة لتحسين الوضع أخسرها لسبب ما، وأغرق في الفشل، يا أخي (المنحوس منحوس، ولو وضعوا على رأسه فانوس).

المؤمن الحق: عندما تفوته فرصة أو يغلق في وجهه باب، فإنه لا يقف عند التحسر على ذلك، وإنما يبحث عن فرصة أخرى، وأمل آخر، لأن باب الله مفتوح في وجه المتفائلين.

وفي ذلك تقول السيدة هيلن كيلر الصماء البكماء العمياء: عندما يغلق أمامنا باب فرصة ما، فسرعان ما يفتح باب آخر، ولكننا لا ننتبه إليه، لأننا لا نزال ننظر متحسرين إلى الباب الذي أغلق.

– المتفائل: لا ينظر إلى الحياة أن لها باباً واحداً، فإذا أغلق فلا يوجد باب غيره، بل يرى للدنيا أبواباً متعددة إذا أغلق بوجهه منها باب سعى إلى

أبواب أخرى مفتوحة.

– **والمتشائم**: لا يرى إلا باباً واحداً، فإن أغلق هذا الباب، أدركه اليأس وقعد على عتبته يبكي، ومات متأسفاً.

– **المتفائل**: عند مرضه يعلق قلبه بالله ﷻ الشافي: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وحاله انتظار شفائه بإذن الله.

– **والمتشائم**: عند مرضه لا يفكر إلا بالأسوأ وبالموت، فتراه دائماً يائساً باكياً شاكياً متألماً.

– عنِ ابنِ عباسٍ رضِي اللَّه عنهما: أَنَّ النبِي ﷺ دخلَ علَى أَعرابِي يعوده، قَالَ: وكَانَ النبِي ﷺ إِذَا دخلَ علَى مرِيضٍ يعوده قَالَ: «لاَ بأْس، طَهور إِنْ شاءَ اللَّه» فَقَالَ لَه: «لاَ بأْس طَهور إِنْ شاءَ اللَّه» قَالَ: قُلْت: طَهور؟ كَلا، بلْ هِي حمى تفُور، أَو تثُور، علَى شيخٍ كَبِيرٍ، تزِيره القُبور، فَقَالَ النبِي ﷺ: «فَنعم إِذاً». [أخرجه البخاري]

أي أن الأمور تخضع للاعتبار الشخصي، فإن شئت جعلت المرض تطهيراً ورضيت، وهذا هو التفاؤل، وإن شئت جعلته هلاكاً وسخطت، وهذا هو التشاؤم، قال ﷺ: «إِنَّ عِظَم الجَزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإِنَّ اللَّه إِذَا أَحب قَوماً ابتلاهم، فَمن رضِي فَلَه الرضا، ومن سخِطَ فَلَه السخطُ». [أخرجه الترمذي]

– **المتفائل**: ينظر امتلاء الكأس إلى نصفه متفائلاً.

– **والمتشائم**: ينظر لفراغ الكأس إلى نصفه متشائماً.

● هكذا حال الناس وعلى مر العصور فيما يواجههم من أزمات وفتن، فما هو موقفك أيها المسلم؟

هل أنت من المتفائلين أم من المتشائمين؟!

● إن كنت من المؤمنين حقاً بالله رب العالمين مالك الملك القادر على كل شيء فلابد أن تكون من المتفائلين، مهما طالت مدة الامتحان، لأنك على يقين بقوانين الله ﷻ وسننه، وبأن اليسر آت بعد العسر، وأن الفرج آت بعد الضيق، وما التأخير إلا لحكمة يريدها الله رب العالمين.

- قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

● وأنت على يقين أن الله ﷻ سيجعل لك من أمرك يسراً:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

● وأنت على يقين أن الله سيجعل لك مخرجاً مما تعانيه بل سيزيدك رزقاً وكرماً وعطاءً من حيث ما كنت تفكر به وما لا تحسبه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

● و لذا الإيمان، و لذا اليقين، يغير الله أحوالك، ويعوضك عما فاتك، وتقبل على حياة جديدة تنسيك ذلك الماضي المؤلم وما حمل إليك من عقبات وامتحانات وفتن، وتشرق الدنيا مرة ثانية في وجهك، ويشرق الأمل فيك وفي أهلك، ويبقى الماضي المؤلم ذكريات أعقبك الله بعدها حياة سعيدة في الدنيا، وترجو خيراً منها في الآخرة.

● أما إن كنت أخي المسلم من المتشائمين فحظك من هذه الفتنة الألم المستمر، والمعاناة التي لا تنتهي، والبلايا التي تصب عليك صباً، وحياة تعيسة في بيتك وخارجه، ومع أهلك وجيرانك ومعارفك، بل مع كل من تواجهه،

فاختر لنفسك أخي المسلم أحد الخيارين.

●واجه النبي ﷺ مع صحابته الكرام من المحن والفتن ما لا تتحمله الجبال، لكن إيما ـم بالله الإيمان اليقيني جعلهم يتحملون ما واجههم، و لم يكونوا صابرين فقط، بل كانوا راضين مسلمين أمرهم إلى الله ﷻ، فأعزهم الله في الدنيا ورفع من شأ ـم، ولهم العزة والكرامة في الآخرة.

●لقد ترك النبي ﷺ وصحابته الكرام من المهاجرين بيو ـم في مكة مرغمين، تركوا فيها أعمالهم وأحلامهم وأموالهم وكل ما يملكون، وخرجوا من ديارهم صفر الأيدي، لكن التفاؤل الذي في قلو ـم بصدق وعد الله، أعاد لهم كل ما افتقدوه، مع فرج قريب من الله، ونصر أكيد منه ﷻ، وعز في الدنيا والآخرة.

●الصحابي الجليل صهيب ترك بيته وأعماله لكن لم يتركه الكفار إلا بعد أن ترك لهم كل ما يملك، فاستقبله النبي ﷺ في المدينة قائلاً له: ربح البيع أبا يحيى، فعوضه الله ﷻ أضعاف ما افتقده.

●وعبد الرحمن بن عوف وعثمان ﷺ أيضاً تركوا كل شيء، لكن الله ﷻ عوضهم أضعافاً مضاعفة مما فقدوه، ومن منا لا يعرف ما ملكهم الله من مال وما بذلوه في سبيل الله للإسلام والمسلمين، وما ذلك إلا بالتفاؤل والأمل والإيمان بالله والثقة به وحسن الظن به والتوكل عليه.

٧ الاستدراج

● لقد خلق الله ﷻ الخلق ليمتحنهم.

- قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢].

● ونتيجة هذا الامتحان والابتلاء تقرير مصير الإنسان في الآخرة في نعيم الجنة أو عذاب النار، وهذا الامتحان لابد منه لكل الناس، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

● والامتحانات الربانية متعددة الأشكال، امتحانات منح، وامتحانات محن.

● وامتحانات المحن تكون على شكل بلاء أو فتن أو مصائب.

- قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وامتحانات الله للناس متعددة الأشكال والصور، وتختلف من إنسان لآخر لحكمة يريدها ﷻ، ومن هذه الامتحانات التي ذكرها الله ﷻ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝١٨١ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾.

[الأعراف: ١٨١-١٨٣]

● **هذه الآية تبين أن الناس زمن النبي ﷺ وما بعده سيكونون على فريقين:**

الفريق الأول: ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾: فقد كان النبي ﷺ كَانَ يقُولُ إِذَا قرأَ هذِهِ الآيةَ: «هذِهِ لَكُم، وقَد أُعطِي الْقَوم بين أَيدِيكُم مِثْلَه».

[تفسير ابن كثير]

● هذا الفريق هم الذين آمنوا بالله ﷻ، وتمسكوا بتعاليم القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ، فكانوا من الأتقياء والأصفياء والأنقياء، وكانوا قدوة صالحة للمؤمنين بعد النبي ﷺ كالصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، يتمسكون بالحق المبين في كل نيا م وأقوالهم وأفعالهم وجميع تصرفا م، وخاصة أ م يصبرون على البلاء ويشكرون على النعم، وصفهم النبي ﷺ بقوله: «عجباً لأَمرِ الْمؤمنِ، إِنَّ أَمره كُلَّه خير، ولَيس ذَاك لأحد إِلا لِلْمؤمنِ، إِنْ أَصابته سراءُ شكَر، فَكَانَ خيراً لَه، وإِنْ أَصابته ضراءُ، صبر فَكَانَ خيراً لَه». [أخرجه مسلم عن صهيب رضي الله عنه]

● هذا الفريق موجود في كل زمان ومكان، ثابت على الحق لا يؤثر فيهم أفكار غيرهم وأحوالهم من البعيدين عن الله ﷻ، ولا يراوغون ولا يداهنون من يعيش معهم، ولا يتبدلون، ولا يتغيرون، ولا يتأثرون بمؤثرات زما م، ولا يخلو منهم عصر. بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «لا تزالُ طَائفَةٌ من أُمتِي ظَاهِرِين علَى الْحق، لا يضرهم من خذَلَهم، حتى يأْتِي أَمر اللهِ وهم كَذَلك».

[أخرجه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه]

أما الفريق الثاني: الذي ذكره الله في الآية السابقة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أي الذين كذبوا بالقرآن، وابتعدوا عن ج الرحمن وسنة النبي

العدنان ﷺ، ومنهم المنافقون الذين يدعون الإسلام ادعاء ونسباً، وليس لهم نصيب منه أبداً، أولئك الذين يهملون صلا م أو لا يصلون، ولا يؤدون حق الله عليهم، فلا يصومون ولا يزكون ولا يتصدقون ولا يحجون، ويهون عليهم إظهار الكفر بالشتائم، فهم عن عبادة ر م مستكبرون، وعن سنة النبي ﷺ معرضون، ليس لهم عهد ولا ذمة، يظلمون الناس ويأكلون أموالهم، يحسدون ويحقدون، ويغشون ويسرقون، ويفعلون كل منكر، ويظهرونه علانية ولا يخفونه، ليس فيهم خوف من الله ولا حياء ولا خجل ولا رحمة ولا إنسانية ولا شرف ولا كرامة، هؤلاء قد تراهم قد ازدادوا مالاً وجاهاً، ومع ذلك يزدادون غياً وظلماً وعدواناً، وقد يعجب المؤمن من شأ م، وكيف يذرهم الله ﷻ في باطلهم يمرحون ولا يعذ م، وهو ﷻ عليم بما يفعلون؟

● لكن هذا العجب يزول إذا تمعنا في تتمة الآية التي نتحدث عنها حيث يقول ﷻ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: سنستدرجهم من الاستدراج مأخوذ من الدرج أي السلَم، وهو وسيلة للانتقال من أسفل إلى أعلى، أي سنستدرجهم للعلو، ولكن لكل درج اية في علوه، وليس لمن صعد الدرج أن يقف في أعلاه، فلابد أن يهبط إلى الأسفل، فبعد العلو سقوط وهوي إلى الأسفل أي إلى الذل والهوان.

– عن عقْبةَ بنِ عامرٍ، عنِ النبي ﷺ قَالَ: «إِذَا رأَيت اللهَ يعطِي الْعبد مِن الدنيا علَى معاصِيهِ ما يحِب، فَإِنما هو استِدراج» ثُم تلا رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]. [أخرجه أحمد]

● والاستدراج كما قال العلماء: هو الإدناء قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم

ويضاعف عقا ـم.

– والاستدراج أيضاً هو أن يعطي الله ﷻ النعم لغير مستحقيه وإمهاله لهم فيما يفعلون، وإمداده لهم بالخيرات، وهو كما قال ﷻ: ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾.

●وهذا الاستدراج بالعطاء والنعم وفتح أبواب الرزق والخير وتيسير سبل المعاش مع زيادة اكتسا ـم للذنوب، وغلوهم بالإجرام وارتكا ـم للظلم والفسق والعدوان والمنكر، إنما هو استدراج إلى العذاب من حيث لا يعلمون ما يراد ـم، وتقر ـم إلى ما يهلكهم، فيزدادون بطراً وانغماساً في الظلم والفساد، وتمادياً في الغي، وإيغالاً في المعاصي بسبب تلك النعم والخيرات، كما قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

– وكما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

– وكما قال تعالى: ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [الحج: ٤٤].

– وقوله ﷻ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحج: ٤٨].

●أي أملي وأُطَولُ لهم فيما هم فيه، وأمهل هؤلاء المنافقين والفاسقين والظالمين والمكذبين والمستدرجين إلى ـاية لا يحمد عقباها.

● وإن مكري وتدبيري الخفي لهم بعد إمهالهم واستدراجهم شديد قوي.

– قال العلماء: (يجب أن نعلم أن الإمداد بالنعم والخيرات والأرزاق والأموال ليس دائماً دليلاً على صلاح الإنسان، وإنما قد يكون استدراجاً كما يستدرج العدو إلى مكان القضاء عليه).

● فالظالم إذا لم يعاقب فوراً ولم يحاسب ويقاصص، فلا يغتر ولا ينخدع بذلك، فتركه استدراج وإملاء من الله له، بل امتحان له ليظهر المزيد من بغيه وجوره وما يخفيه من حقيقة نفسه، حتى إذا جاء وقت حسابه قضي عليه شر قضاء.

– كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّه لَيملِي لِلظَّالِمِ حتى إِذَا أَخذَه لَم يفْلته» قَالَ: ثُم قَرأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]. [أخرجه البخاري عن أبي موسى ﷺ]

– يقول ابن عطاء السكندري: (خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجاً لك).

– ويقول أحد الأولياء الصالحين: (إذا رأيت إلحاداً انتشر، فاعلم أن لله مدداً، وكلما زاد الناس في الإلحاد زاد الله في المدد، ولو صارت بلدة مسلمة غارقة في الفسق، فإن الله ﷻ يهيئ فيها أناساً صادقين مؤمنين لتبقى شريعة الله قائمة، كما بين ذلك النبي ﷺ: «لا تزالُ طَائفَةٌ من أُمتِي ظَاهِرِين علَى الْحق، لا يضرهم من خذَلَهم، حتى يأْتِي أَمر اللهِ وهم كَذَلك».

[أخرجه مسلم عن ثوبان ﷺ]

اللهم اجعلنا من الفئة الأولى المؤمنة التي تخشاك، وتسير بتعاليم قرآنك وسنة نبيك، ولا تجعلنا من الفئة الثانية التي تستدرجها وتمهلها ولا تملها ثم

تترل فيها عذابك.

●وفي تاريخنا المشرق قصص وعبر كثيرة في هذا الموضوع منها:

- مر رجلٌ من التابعين برجلٍ أعمى مقطوعِ اليدينِ مبتورِ الساقينِ، مكِباً على وجهِهِ، ينادي بأعلى صوته: النار! النار!

فسأله التابعي ﷺ: ما شأنك؟ وما هي النار؟ فقالَ الرجلُ: كنت من الذين دخلوا على عثمانَ بنِ عفانَ الدار لأقتلَه، فلما كنت على بعد خطُوات منه شاهراً سيفي، دافعت عنه امرأته وحاولَت صدي، فلطمتها لطمةً شديدةً، ودفعتها عني لأخلُص إلى عثمانَ فأقتلَه، فلما رآني عثمانُ بن عفانَ أَلْطِم زوجته صاح بي: مالَك؟ قَطَع اللهُ يديك وبتر ساقيك، وأعمى عينيك، وأدخلَك النار، وأدخلَك النار، واستجاب اللهُ دعاءَ عثمانَ وها أنا كما تراني و لم يبق من دعوتِه إلا النار إلا النار).

- ومن هذه القصص أيضاً: قال بعضهم: رأَيت رجلاً مقْطُوع الْيد من الْكَتف وهو ينادي: من رآني فَلا يظلمن أحداً.

فتقدمت إِلَيه فَقلت لَه يا أخي ما قصتك قَالَ يا أخي قصة عجيبة وذَلك أَني كنت من أعوان الظلمة فَرأَيت يوماً صياداً وقد اصطاد سمكَة كَبِيرة فأعجبتني فَجئْت إِلَيه، فَقلت: أَعطِني هذِه السمكَة فَقَالَ لا أعطيكها أَنا آخذ بِثمنِها قوتاً لِعيالِي فضربته وأخذ ا منه قهراً ومضيت ا قَالَ: فَبينا أَنا أَمشِي ا حاملها إِذْ عضت على إ امي عضة قَوِية فَلَما جِئْت ا إِلَى بيتِي وألقيتها من يدي ضربت علي إ امي وآلمتني ألماً شديداً حتى لم أنم من شدة الْوجع والأ لم وورمت يدي فَلَما أَصبحت أتيت الطَّبِيب وشكوت إِلَيهِ الأَلَم فَقَالَ هذِه بدء الآكلة أقطعها وإِلا تقطع يدك فَقطعت إ امي ثمَّ ضربت علي

يدي فَلم أطق النوم ولا الْقَرار من شدة الأَلَم فَقيل لي إقطع كفك فقطعته وانتشر الأَلَم إِلَى الساعد وآلمني ألماً شديدا و لم أطق الْقَرار وجعلت أستغيث من شدة الأَلَم فَقيل لي اقطعها إِلَى الْمرفق فقطعتها فانتشر الأَلَم إِلَى الْعضد وضربت علي عضدي أَشد من الأَلَم الأول فَقيل اقْطَع يدك من كتفك وإِلا سرى إِلَى جسدك كُله فقطعتها فَقَالَ لي بعض الناس ما سبب ألمك فَذكرت قصة السمكَة فَقَالَ لي: لَو كنت رجعت فِي أول ما أَصابك الأَلَم إِلَى صاحب السمكَة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضواً فَاذْهب الْآن إِلَيه واطلب رِضاه قبل أَن يصل الأَلَم إِلَى بدنك قَالَ فَلم أزل أطلبه فِي الْبَلَد حتى وجدته فَوقَعت على رجلَيه أقبلهما وأبكي وقلت لَه: يا سيدي سأَلتك بِاللَّه إِلا عفَوت عني. فَقَالَ لي: ومن أَنت؟ قلت: أَنا الَّذي أخذت منك السمكَة غصباً وذكرت ما جرى وأريته يدي، فَبكى حِين رآها، ثمَّ قَالَ: يا أخي قد أحللتك منها لما قد رأَيته بك من هذَا الْبلاء، فَقلت يا سيدي بِاللَّه هل كنت قد دعوت علي لما أَخذ َا قَالَ: نعم، قلت: (اللَّهم إِن هذَا تقوى علي بقوته على ضعفي على ما رزقتني ظلماً فأرني قدرتك فِيه).

فَقلت: يا سيدي قد أَراك الله قدرته فِي وأَنا تائب إِلَى الله ﷻ عما كنت علَيه من خدمة الظلمة ولا عدت أَقف لَهم على باب ولا أكون من أعوا ـم ما دمت حياً إِن شاءَ الله. [الكبائر: الذهبي، ص١١٣]

٨ آفة الاعتراض

● اعلم أن المنتسبين إلى الإسلام على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المؤمن الصادق: الذي تربى عند العلماء، وتعلم دينه، وتمسك بشرع ربه ﷻ، وسنة نبيه ﷺ.

النوع الثاني: المسلم المستهتر: الذي يدعي الإسلام، ولكنه لم يتلَق العلم عن العلماء، ويدعي الفهم والمعرفة، فيستهتر بأمر دينه، ويقصر في عبادته، وينحرف في أخلاقه، ويقع في المعاصي والأخطاء بعلم أو بدون علم، وهذا هو أول طريق النفاق.

النوع الثالث: المسلم المنافق: الذي يدعي الإسلام ولا يعمل به، بل وينحرف عنه، فيصبح فاسقاً أو فاجراً أو قد يبلغ حد الكفر والعياذ بالله ﷻ.

● إن ما يواجه المسلم في هذه الحياة من منح ومحن ومصائب وفتن وبلايا يجعله يتصرف على حسب النوع الذي هو منه.

– فالمسلم الحق يتصرف حسب ما يمليه عليه دينه، من الرضا والصبر والتحمل، مع حمد الله وشكره، والوقوف على بابه حتى يأتي اليسر والفرج، ويزول العسر والامتحان.

– أما النوعان الآخران فإ ما لا يصبران ولا يبلغان مقام الرضا، ويقعان في آفة الاعتراض، وهي آفة يقع فيها كثير من الناس يعترضون على قدر الله ﷻ وقضائه، لأ ا لا تناسبهم، ولا تجري على أهوائهم وآمالهم، وهي آفة خطيرة قد تودي بالإنسان إلى الكفر والعياذ بالله.

● أما المؤمن فإنه عندما تواجهه حوادث الدنيا، ولا تكون على ما يرغبه ويتمناه، بما تحتوي عليه من بلايا وامتحانات ومصائب، فإنه يرجع مباشرة إلى القرآن الكريم ليبدأ الدواء الشافي لهذه المواجهات، فيقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

- وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

- وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠].

- وقوله ﷻ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

- وقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

- ويذكر قول النبي ﷺ: «ما أصاب عبد مصيبة- أي ما أصيب عبد بمصيبة- فما فوقها إلا بإحدى خلتين بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بتلك المصيبة أو بدرجة لم يكن الله ليبلغه إياها إلا بتلك المصيبة».

[أخرجه أبو نعيم الديلمي عن ثوبان رضي الله عنه]

بعد قراءة المؤمن الصادق لهذه الآيات وحديث النبي ﷺ، يتمكن اليقين من قلبه، فيرضى بقضاء الله وقدره، ويعلم أن الخير فيما أراده الله ﷻ، فيردد قوله ﷻ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

- وقوله ﷻ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ

شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

● فيطمئن باله، ويرضى بقضاء الله ﷻ، ويستسلم له، ويفوض أمره إليه، ويتوكل عليه، منتظراً فرج الله ﷻ، مردداً قول العارفين:

دعِ الاعتراض فما الأمر لك ... ولا الحُكْم في حركاتِ الفَلَك
ولا تسأَلِ اللهَ عن فعلِهِ ... فمن خاض لُجَةَ بحرٍ هلَك

– وقول الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

– وقول الشاعر:

دعِ المقادير تجري في أعنتها ... ولا تبيتن إلا خاليَ البالِ
ما بين غمضةِ عين وانتباهتِها ... يغير الله من حالٍ إلى حالِ

● من نعم الله ﷻ على الإنسان التي لا تعد ولا تحصى نعمة الإيمان، ونعمة العلم بشريعة الرحمن، وسنة نبيه العدنان، فالمؤمن الذي تعلم دينه، وعرف واجباته فأداها، وابتعد عن المنهيات والمكروهات والمحرمات، سيسعد في الدنيا والآخرة.

● هذا المؤمن يعرف كيف يتصرف مع كل ما يواجهه في هذه الحياة لأنه يستعين بالله ﷻ أولاً، ثم يلجأ إلى علمه الذي تعلمه، فيجد فيه أجوبة لما يعترضه في الدنيا ولما يواجهه فيها.

● أما الجاهل لدينه، فإنه إن عبد الله ﷻ عبده بدون علم، ولربما ضلّ وخسر الدنيا والآخرة، هذا الجاهل إن واجهته محن الحياة غضب وسخط وضجر ويئس ولا يدري ماذا يجب عليه أن يفعل، وقد يؤدي به جهله إلى

الفسوق أو الفجور أو النفاق أو الكفر والعياذ بالله.

● إنه مرض عضال يصاب به هؤلاء الجهلة، وهذا المرض هو الاعتراض على الله في تصرفاته، فإذا ما حل بذا الجاهل أمر لا يرتضيه ولا يرغب فيه، أو مصيبة أو بلاء أو امتحان على خلاف هواه، سخط وغضب وشتم وسب ولعن وكفر، فزاد الطين بلة، وزاد البلاء بلاء أكبر، والهم هماً أشد، والمصيبة مصيبة أعظم، وذلك مع ما أحلَّ به اعتراضه على حكم ربه من سخط الله وغضبه وعذابه.

● **فما معنى الاعتراض؟**

– قال العلماء: الاعتراض على الله تعالى هو تعاطي التدبير معه أي كأن هذا الجاهل يشارك الله ﷻ في إرادته ومشيئته، فيسخط من قدر الله فيه، ولا يرضى به، لأ ما لا يوافقا هواه، فالاعتراض تبرم من أحكام الله ﷻ التي تؤلمه وتسوؤه في نفسه أو أهله، فيسرح لسانه بالشكوى إلى الخلق، والتذمر مما لا يوافق هواه، فيضجر هذا المعترض ويغضب ويشتم ويسب ويلعن ويردد ألفاظ الكفر بأشد ما تكون قبحاً وفحشاً.

● هذا المعترض هو جاهل أو فاسق أو منافق أو فاجر أو كافر.

● هو البعيد عن الله ﷻ، بل الذي لا يعترف بالله ولا يؤمن به.

● أما المؤمن فإن خطر بباله اعتراض أو جرى في لحظة غفلة على لسانه شيء منه، فإنه يسرع إلى الاستغفار والتوبة وطرد الشيطان والاعتذار إلى الله مما جرى على قلبه ولسانه، وينشغل بالقرآن والذكر، فإن تشاغله ذلك من أعظم الحسنات وأفضل القربات، وذلك يدخله في مقام الرضا والتسليم والتفويض إلى

الله ﷻ، ويوصله إلى غاية النعيم والعطاء، أما إن غفل عن ذلك وردد هذا الاعتراض في قلبه ولسانه، فذلك من أعظم الخطايا وأكبر الذنوب التي ستودي به إلى سخط الله والوقوع في دركات الضلالة والنار نعوذ بالله من ذلك.

– ضاع لبعض أهل الله ﷻ ولد صغير، فلم يعرف له خبراً ثلاثة أيام، فقيل له: لو سألت الله أن يرده إليك، فقال: اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي.

– وقال ابن مسعود ﷺ: (لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت، وأبقت ما أبقت، أحب إليّ من أن أقول لشيء كان: ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن: ليته كان). [تفسير الثعلبي]

– وقال بعض السلف: لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب إليَّ من أنْ أقول لشيءٍ قضاه الله، ليته لم يقضه.

– مرض الشيخ أحمد الحارون في آخر حياته، وكف بصره، واعتراه ألم شديد لا يهدأ إلا بالمسكنات، فدخل عليه أحد محبيه، فوجده يبكي، فأخذ يواسيه، ويذكر ما له من الأجر في الصبر على ما أصابه، فقال له: لا أبكي ضجراً من ألمي، ولكني أبكي فرحاً لأن الله وجدني أهلاً لأن يبتليني.

الله الله، هؤلاء رجال، ونحن رجال!!

● أراد الله ﷻ أن يعطينا درساً في حكمة تصرفاته ﷻ، يفيد المؤمن مدى الحياة، ويبين له نتائج هذه التصرفات وحكمه فيها، وضرورة ألا يعترض المؤمن على تصرفاته لأنه يجهل الحكمة منها، وذلك من خلال قصة موسى مع الخضر التي فهمنا من خلالها أن عدم معرفة سيدنا موسى عليه السلام بحقائق الأمور ونتائجها وحكمة الله في تصرفاته التي كانت على يدي الخضر،

والتي عجز موسى عن فهمها، فبعد أن أطلعه على حكمة الله ومشيئته في أمثلة ثلاثة لم يستوعبها عقل موسى، كما لا نستوعب نحن الكثير من تصرفات الله ﷻ وإرادته.

● فظاهر أنّ خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار مشيئة من الله نفذها الخضر، استنكرها موسى لعدم علمه بنتائج هذه التصرفات التي تعود بالخير على أصحا ا فيما بعد، ولا تعرف حكمتها وقت وقوعها.

● لم نسمع في سيرة النبي ﷺ أنه اعترض على ما أراده الله ﷻ وقدره أبداً، فقد ولد يتيماً مات أبوه قبل أن يولد، ثم ماتت أمه ثم جده الذي كفله وهو صغير، فلم يأسف لذلك، و لم يظهر اعتراضاً منه على فقره، وكسب رزقه بأصعب الأعمال وأشقها الرعي، ثم عمل أجيراً في أعمال التجارة، ثم لم يعترض بعد بعثته على ما لاقاه من قريش من عذاب وإهانة وشتم وقدح، لم يعترض على قدر الله في حصاره مع من آمن معه في شعب بني هاشم ما يقارب ثلاث سنوات، لا مسكن ولا فراش ولا طعام ولا شراب إلا القليل مما يهرب إليه ولأصحابه ليلاً، وكان من أثر ذلك أن مرضت زوجته وماتت، ومرض عمه ومات، لم يعترض أبداً، بل كان راضياً مفوضاً أمره إلى الله متوكلاً عليه.

– كُذب وشتم وضرب وأُهين ولُوحق فاضطر للهجرة وترك بيته وما فيه فانتهب وسرق و لم يعترض على فعل الله أبداً.

– مات أطفاله الثلاثة الذكور وهم صغار ودفنهم بيده وقال ﷺ: «إِنَّ العين تدمع، والقَلْب يحزنُ، ولاَ نقُولُ إِلا ما يرضى ربنا، وإِنا بِفِراقِك يا إِبراهِيم لَمحزونونَ». [أخرجه البخاري]

- وطلقت ابنتاه أم كلثوم ورقية من ولدي عمه أبي لهب من أجل الإسلام فلم يعترض، وماتت بناته الثلاث أم كلثوم ورقية وزينب في حياته ولم تبق إلا فاطمة فلم يعترض، وكان راضياً عن الله فيما قدره.

- وفي غزوة أحد مات أكثر من سبعين صحابياً، وعلى رأسهم سيد الشهداء عمه حمزة وابن عمه عبد الله بن جحش والداعي الأول والشاب المؤمن الذي باع دنياه من أجل دينه مصعب بن عمير، ومات خيرة صحابته فصبر واحتسب.

- وتألم وكسرت رباعيته وشج وجهه ودخلت حلقة قلنسوته في وجنته ولم يشك ولم يعترض بل كان راضياً محتسباً.

ولو قرأنا سِير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان والعلماء العاملين والأولياء والصالحين لوجدنا أنهم قد امتحنوا كثيراً في أنفسهم وأموالهم وأعمالهم وأولادهم وأهليهم امتحانات لا تتحملها الجبال، ولكنهم كانوا دائماً صابرين شاكرين راضين عن الله ﷻ في حكمه وقدره وقضائه، يعلمون أن ذلك امتحان من الله ليغفر لهم ذنوبهم وليزيد لهم في حسناتهم ويرفع لهم من درجاتهم، فيزدادون رضاً وتسليماً وتفويضاً لله ﷻ وتوكلاً عليه، يرددون قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

● فنالوا بذلك فرجاً قريباً، وتأييداً أكيداً، وتغيراً واسعاً، وتحققاً للآمال، وتغيراً للأحوال، إلى الأفضل والأحسن والأكمل، مع فوزهم برضا الله ﷻ والجنة، وسيعوضهم الله ﷻ خيراً مما فاتهم من الدنيا، ويزيدهم من فضله لعدم اعتراضهم على حكمه.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

- يقول ابن عطاء: (كيف تعترض على مولاك وأمرك كله بيده، ولا تملك من الأمر شيئاً).

- ويقول: الجاهل إذا أصبح ينظر ماذا يفعل، والمؤمن العاقل ينظر ماذا يفعل الله به.

- رئي أحد الصالحين وكان في سفر وهو يضحك، فسئل عن سبب ضحكه، فقال مما يفعل الله بي، أدخل قرية فينظرون إلي يحسبونني لصاً، فيهجمون علي ويضربوني، فأسرع في الفرار منهم، ثم أدخل قرية أخرى فيروني عارفاً بالله فيقبلون يدي ويحسنون وفادتي وكل ذلك من الله ﷻ، لذلك فأنا أضحك مما يفعل الله بي.

- كلنا يردد قول النبي ﷺ في وصيته لابن عباس: « واعلَم أَنَّ الأُمةَ لَو اجتمعت علَى أَنْ ينفَعوك بِشيءٍ لَم ينفَعوك إِلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه لَك، ولَو اجتمعوا علَى أَنْ يضروك بِشيءٍ لَم يضروك إِلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه علَيك، رفِعتِ الأَقْلام وجفَّتِ الصحف». [أخرجه الترمذي]

- قَالَ عبادةُ بن الصامت لابنه: يا بني، إنك لَن تجد طَعم حقيقَة الْإِيمان حتى تعلَم أَنَّ ما أَصابك لَم يكُن ليخطئَك، وما أَخطَأَك لَم يكُن ليصيبك، سمعت رسولَ اللَّه ﷺ، يقُولُ: «إِنَّ أَولَ ما خلَق اللَّه الْقَلَم، فَقَالَ لَه: اكْتب قَالَ: رب وماذَا أَكْتب؟ قَالَ: اكْتب مقَادير كُلِّ شيءٍ حتى تقُوم الساعةُ» يا بني إِني سمِعت رسولَ اللَّه ﷺ يقُولُ: «من مات علَى غَيرِ هذَا فَلَيس مِني».

[أخرجه أبو داود]

اللهم اجعلنا ممن يرضون بقضائك، ويصبرون على بلائك، ويشكرون نعماءك ولا يعترضون على شيء من أقدارك، فالأولاد من قدرك والأرزاق من قدرك، والبلاء من قدرك، والمنحة والمحنة من قدرك، والعسر والضيق من قدرك، والفرج والتيسير واليسر من إرادتك، وكل ما يجري علينا فهو من قدرك، فنردد:

لا تكثر همك ما قدر يكون القضا تحتم فالزم السكون

- وينبغي للمسلم أن يعلم أن في أقدار الله ﷻ مهما كانت مؤلمة وشديدة حِكماً لا يدرك كثير منها إلا بعد مدة.

- سأل أحد الأنبياء ملك الموت ما أعجب ما رأيت، قال: امرأة لها طفلان صغيران أرادت أن تعبر في طريقها راً، فتركت الأول على طرف النهر، وحملت الثاني إلى الطرف الآخر، ثم عادت لتأخذ الأول، فأمرني ربي بقبض روحها وهي في وسط النهر، فعجبت من ذلك، وعدت بعد مدة فرأيت أن كلاً منهما أصبح ملكاً في الطرف الذي كان فيه.

٩ الاجتبـــاء

● كل مؤمن يعلم أنه في دار اختبار وامتحان وبلاء كما وضح ﷻ ذلك بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢].

● ونتيجة لهذا الابتلاء يتقرر مصير الإنسان في الآخرة إما إلى نعيم الجنة أو إلى عذاب النار، ورحمة من الله ورأفة، وضح الله لعباده طريق الخير وهداهم إليه، فقال ﷻ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

- والهداية عن طريق القرآن الكريم، وإرشادات النبي ﷺ وتوجيهاته، ومن بعده العلماء.

والمؤمن دائماً يدعو في كل ركعة من ركعات صلاته فرضاً أو نافلة فيقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

● وهذا الدعاء الذي علمنا الله إياه وأوجبه علينا في كل ركعة إنما هو للهداية الخاصة التي لا تكون إلا للمؤمنين الصادقين، لمن أطاع أوامر الله ﷻ، وأوامر رسوله ﷺ، وتمسك بها واستقام عليهما، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

- هؤلاء الذين لهم الدرجات العلى عند ربهم كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣].

● كما بين الله ﷻ أن هداية الله لعبده تكون لمن سلك طريق الهداية، وأناب إلى الله ﷻ، ورجع إليه في كل أمر من أموره، وفي كل حال من أحواله، متمسكاً بشرع ربه، ومستقيماً عليه، بين ذلك ﷻ بقوله: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣].

– وهذا الطريق مناط بسلوك العبد واختياره السير نحوه مع بذل الجهد من أجله.

● هناك طريق آخر ذكرته الآية نفسها، وهو طريق الاجتباء: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ١٣].

● والاجتباء هو طريق اصطفاء الله ﷻ لعبد من عباده تفضلاً منه، ومنة وعطاء، إرادة منه وتقديراً، لحكمة يريدها ﷻ، وقد يكون اجتباء الله ﷻ لهذا العبد لعمل خفي قام به، قدم المساعدة للآخرين خفية، وكان جابراً عثرات الكرام، أو كان شديد البر بوالديه، أو لصفاء في نيته، أو لخلق حسن في تصرفاته، أو لسبب ما يعلمه أحد إلا الله ﷻ.

● ومن اجتباء الله لعباده أن ينتشل الله ﷻ بعض عباده وفي أقل من طرفة عين من أودية الضياع والبعد عن الله إلى أعلى مقام العرفان والقرب من الله ﷻ ومحبته والتمسك بشرعه وسنة نبيه وعلى أعلى مستوى.

● في التاريخ الإسلامي كثير ممن جذ م الله ﷻ بجذبة واحدة من التيه إلى الرشد، ومن الشرود إلى الالتزام، ومن محبة الأغيار إلى محبة الله ﷻ.

● ومن هؤلاء كثير ممن لقي رسول الله ﷺ، فكان الأعرابي الجلف يغدو

من البادية إلى المدينة وما تكاد عيناه تبصران رسول الله ﷺ، وما تكاد أذناه تسمعان شيئاً من نصائحه وحديثه ﷺ، حتى يتحول وهو في مجلسه ذاك من حال إلى أخرى تغيب عنه جلافة طبعه، وقسوة قلبه، ويولد ولادة جديدة فيما يتعلق بدخائل نفسه، ثم لا يخرج من مجلس رسول الله ﷺ إلا وقد عزفت نفسه عن الدنيا وفاض قلبه حباً ومهابة لله ﷻ.

● كثير من الصحابة نقلوا إلى صعيد الالتزام والرشد عن طريق الاجتباء السريع لا عن طريق التربية والممارسة الطويلة، كما يقولون: (الصلحة بلمحة) أي الصلحة مع الله، وتغيير ماضيهم السيء باندفاع إلى الله وتمسك بشرعه، وذلك محض التوفيق الإلهي.

● ولنا عبرة في إسلام سيدنا عمر رضي الله عنه الذي كان من أشد أعداء النبي ﷺ، فقد بحث عن النبي ﷺ ليقتله، فلما رأى النبي ﷺ جذبه من صدره قائلاً أما آن الأوان يا عمر أن تسلم، فما كان من عمر ذلك الشديد القوي إلا أن قذف الله الهداية في قلبه بين يدي النبي ﷺ وأعلن إسلامه، فاهتزت جنبات دار الأرقم بأصوات المكبرين فرحاً من الصحابة الكرام.

● ومن الناس الذين جاؤوا من بعد الصحابة وممن اجتذ م الله إليه عن طريق الاجتباء فانتقلوا من الانحراف الشديد إلى الاستقامة التامة طفرة واحدة ومن دون توقع، منهم:

– الفضيل بن عياض الذي تحول وخلال دقائق وفي جوف الليل المظلم من فتاك قاطع طريق يهابه الناس ويخشونه إلى متنسك رباني، فرغ قلبه من كل شيء إلا من تعظيم الله وحبه والخوف منه.

– ومنهم عبد الله بن المبارك الذي كان مولعاً بالطرب والسماع

والعزف على الأوتار، بعيداً عن أوامر الله وحقوقه، فما هي إلا ساعة من ليلة مظلمة تحول فيها هو الآخر إلى نموذج عجيب نادر للعالم الرباني الذي جعل دنياه كلها في رضاء الله ﷻ، وسبيلاً لقربه منه، فكان يجاهد في سبيل الله ويرابط في الثغور سنة، وفي سنة أخرى يحج إلى بيت الله يخدم عباد الله ويدلهم على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ويساعد المحتاجين ويتصدق عليهم.

- ومنهم مالك بن دينار الذي تحول فجأة من شرطي يظلم الناس ويرتشي مع تعاطيه اللهو والسكر إلى واحد من كبار الربانيين، فقد كان يغشى دروسه الآلاف وهدى الله على يديه الكثير من التائهين والمارقين.

- وهذا بشر بن الحارث الذي كان مسرفاً على نفسه يجمع الأشرار في بيته بين لهو وسكر ومجون وطرب ومعصية لله، يقرع بابه أحد الصالحين -وهو في هذه الحالة من اللهو والصخب- فيسأل خادمه: صاحب الدار حر أم عبد؟ فيجيبه الخادم: إنه حر، فيقول هذا العارف بالله: صدقت، لو كان عبد لله لما فعل ما يفعل.

ولم يفهم الخادم مقالة هذا الصالح، لكن بشراً سمع المقولة وفهمها، ودخلت قلبه وجاءت الصلحة مع الله بلمحة فما كان منه إلا أن كسر أدوات اللهو والخمور، وطرد أصدقاء السوء، وأسرع حافياً يبحث عن الرجل الصالح إلى أن وجده، فقال له أريد أن أصبح عبداً لله، لا حراً في معصيته، وبقي يسير حافياً طيلة حياته، فإذا سئل عن ذلك، قال: صالحني ربي وصالحته وأنا حاف، فلن انتعل أبداً، فلذلك سمي بشراً الحافي.

- في هذا الموضوع تعالوا نتلُ ونتمعن بخشوع قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

●ومن المهم أن يعلم كل مؤمن أن الاجتباء هذا ليس مقصوراً على عصور معينة بل لله ﷻ في كل وقت وعصر نفحات واصطفاءات إلى أن تقوم الساعة، أي أن لله عباداً من النساء والرجال يجتذ ـم إليه من التيه إلى الرشد في كل عصر، وفي في كل بقعة وصقع.

●فاسأل الله أيها المؤمن أن يجتبيك وأن يجتبي زوجتك وأولادك ووالديك إليه ﷻ، لتنعموا بسعادة الدارين ورضاء رب العالمين وبفردوس الله في جنته، حين ذاك نعيش مع النبي ﷺ ومن اجتباهم الله إليه، وننعم برؤية الله ﷻ.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

- منذ سنوات وأثناء قيامي بخدمة الحجيج والمعتمرين، اجتمع أحد الإخوة برجل من آل الشيخ في المدينة المنورة، وكان هذا الرجل يعمل بالعزف على العود، وقد لحن أكثر الأناشيد الوطنية للبلاد العربية، وكانت زوجته وأولاده يدعون الله ﷻ له -وخاصة في صلاة التهجد- أن يتوب الله ﷻ عليه، ويترك هذه المهنة، ويهديه سبيل الرشاد، وداموا على هذه الحالة سنوات عدة مع النصح له والأمر بالمعروف دون أن تتغير حاله، وفي ليلة من الليالي وفي منتصفها عاد هذا الرجل من عمل موسيقي إلى بيته وإذا بالأذان الأول يصدح من مآذن المسجد النبوي، فدخلت أنوار كلمات هذا الأذان في سويداء قلبه، فرق لها قلبه، وانشرح لها صدره، وجاءت لحظة الصلحة بلمحة، فبكى لحاله، واستغفر ربه، وتاب وأناب، فدخل بيته، فوجد أسرته في حالة سجود صلاة التهجد يدعون له، فما كان منه إلا أن كسر العود، ودخل الحمام فاغتسل وتوضأ، ثم لبس ملابس جديدة، وقال لأسرته: أما تأخرنا عن صلاة الفجر؟ هيا أسرعوا لنلحق بالصلاة قبل أن تفوتنا!

نظر الجميع إلى بعضهم مستغربين ودموع الفرحة على وجنا م، ثم أسرعوا إلى المسجد لأداء صلاة الفجر.

أبلغ هذا التائب إلى الله جميع من يعمل معهم في الموسيقى أنه ترك هذه المهنة ولن يعود إليها أبداً، و لم يكن يتقن عملاً آخر، فصرف خلال أشهر جميع ما ادخره سابقاً، و لم يبق معه شيء ينفقه على نفسه وعياله، فضاقت عليه الدنيا بما رحبت، وجاءته هواجس الشيطان تدعوه إلى العودة إلى عمله، فكان يستغفر الله ﷻ، ويقف على بابه، متوجهاً إليه ﷻ، ومستشفعاً برسول الله ﷺ، أن يكشف عنه ما أهمه وأغمه.

واستجاب الله ﷻ دعاءه، فأرسل إليه أمير المدينة وقتذاك، وعينه مشرفاً على الحجرة النبوية، فكان يجمع غبارها ويضعه في وعاء خاص، يمن بقليل منه على من يزوره من معارفه، وقد من هذا الرجل على الأخ الذي روى لنا هذه القصة، وأعطاني هذا الأخ قليل من هذا الغبار الذي احتفظ به، كأثمن شيء أمتلكه.

١٠ التوفيق الإلهي

● ذكرت كلمة التوفيق في القرآن الكريم في آيتين في قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٢].

– والمراد هنا: بالتوفيق المداراة والمصالحة.

● والآية الثانية وهي موضوع بحثنا قوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

– والتوفيق هنا يعني الفضل الرباني والعطاء الإلهي.

– والتوفيق منحة من الله ﷻ يمنحها من يشاء من عباده.

– والتوفيق نادر، ولندرته لم يذكر في القرآن الكريم لذا المعنى إلا مرة واحدة في هذه الآية.

● **فما معنى التوفيق؟**

– التوفيق أن يلهمك الله ﷻ كل خير، وأن يسهل عليك فعله، ويرغبك فيه، ويهيئ لك أسبابه، ويتولى أمرك كله بالعناية والرعاية والسعادة، ولا يدعك لاختيار نفسك في ما تحب.

– وعكس التوفيق الخذلان، وهو أن يدعك الله وشأنك، فلا يأخذ بيدك إلى الخير، ولا يدلك عليه، فتقع في المهالك والخسران.

– فنتيجة التوفيق السعادة في الدارين، ونتيجة الخذلان الشقاء والتعاسة في الدارين، فمن وجد أن التوفيق يسعى إليه فليحمد الله ﷻ، ومن وجد غير

ذلك فينبغي عليه أن يسعى إلى سلوك طريق يؤدي إلى التوفيق وأن يجتنب طريق الخذلان والشقاء.

- قال بعض العارفين: **علامات التوفيق ثلاث:**

١- دخول أعمال البر عليك من غير قصد لها.

٢- صرف المعاصي عنك مع الطلب لها.

٣- فتح باب الالتجاء والافتقار إلى الله ﷻ في الشدة والرخاء.

- **وعلامات الخذلان ثلاث:**

١- تعسر الخيرات عليك مع الطلب لها.

٢- تيسير المعاصي لك مع الرهب منها.

٣- غلق باب الالتجاء والافتقار إلى الله ﷻ في كل حال.

- وقال العارفون:

إذا رأيـ ـت موفقـ ـاً أمـ ـسك ... عـ ـوداً، فـ ـأورق، فـ ـصدق

وإذا رأيـ ـت مخـ ـذولاً أتـ ـى ... بئراً ليشرب، فغـ ـار، فحقـ ـق

- وقالوا:

إذا كان عون الله للعبد مسعفاً ... تحقق في كل الأمور مراده

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

● **طريق التوفيق على ثلاث مراتب:**

أولاً- الهداية: وهو أن يهديك الله إليه، فطريق الهداية تيسير من الله ﷻ، أمرنا الله أن نطلبها مع كل ركعة نصليها، فنقول: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

[الفاتحة: ٦-٧]

- ومن أراد الله ﷻ هدايته شرح صدره للإسلام، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

- ومن شرح الله صدره للإسلام جعل الله له نوراً يهتدي به إلى طريق الصلاح والفلاح والنجاح كما قال ﷻ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾.

[الزمر: ٢٢]

- عن ابن مسعود ﷺ قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن النور إذا دخل الصدر انفسح» فقيل:يا رسول الله هل لذلك من علم يعرف؟ قال: «نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله».

[أخرجه الحاكم في المستدرك]

● وقد يسأل سائل من الذي يهديه الله ﷻ؟

- أجاب الله ﷻ على هذا السؤال أن الذي يهديه الله: المؤمن الصادق المنيب التائب، من يقف على باب الله صادقاً في طلبه التوفيق منه ﷻ، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن: ١١].

- وقال ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ

يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴾ [الرعد: ٢٧].

- ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [يونس: ٩].

ثانياً- والمرتبة الثانية في التوفيق هي الزيادة: التي عبر الله عنها بقوله: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا ﴾ [مريم: ٧٦].

- وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾.

[محمد: ١٧]

- ﴿ وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾: ألهمهم إياها وأعا نم عليها، فالإيمان هدى والإخلاص في الإيمان زيادة هدى ولا يمكن تحصيل الإخلاص إلا بعد تحصيل الإيمان.

- قال رسول الله ﷺ: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».

[أخرجه أبو نعيم في الحلية]

- وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

المرتبة الثالثة من التوفيق الاصطفاء: الذي ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾ [ص: ٤٧].

- وقوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾.

[فاطر: ٣٢]

– وفي ذلك يقول ﷺ: «إِذَا أَراد اللَّه بِعبدٍ خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه». [أخرجه الديلمي عن أم سلمة رضي الله عنها]

– وقال أبو يزيد البسطامي: (عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بنور الله ﷻ). [حلية الأولياء: أبو نعيم]

– وقيل لذي النون: بم عرفت الله ربك؟ قال: عرفت ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي. [الرسالة القشيرية]

● والاصطفاء كمال التوفيق وهو منحة وعطاء من الله لبعض عباده تفضلاً منه عن غير استحقاق، وهذا ما يسمى عند الناس بالتوفيق، ومن مظاهر الاصطفاء والتوفيق وهي كثيرة أذكر منها ما يلي:

أولاً– أن يولد الإنسان في بيئة مسلمة، ويترعرع بين أحضان أبوين مؤمنين صالحين يسعيان إلى تربية أولادهما التربية الصالحة.

ثانياً– أن يهيئ الله للشاب منذ نعومة أظفاره من يدله على الله ﷻ فيصاحب الموفقين، ويجالس العلماء العارفين.

ثالثاً– أن يجد الإنسان نفسه منذ نعومة أظفاره مندفعاً نحو معرفة الله ومحبته وطاعته والعمل بأوامره والابتعاد عن نواهيه.

رابعاً– أن يمن الله ﷻ على المسلم بأن يكون باراً بوالديه مطيعاً لهما، همه إدخال السرور عليهما دائماً وأبداً.

خامساً– أن يلهم الله المسلم منذ صغره أن يحفظ القرآن الكريم، وأن يسعى لذكر الله الذكر الكثير، وأن تكون هوايته مطالعة الكتب الإسلامية في مختلف علومها، وأن يحافظ على أداء الفرائض كاملة في أوقا ا، وأن يتقرب إلى الله ﷻ دائماً بالتزام أداء جميع النوافل.

سادساً– أن يجعل الله ﷻ في قلب هذا المسلم الرغبة في نصح الآخرين، والسعي بهم إلى طريق رب العالمين، وتقديم الخدمات لهم حسب توجيه النبي ﷺ.

سابعاً– أن يهيئ الله ﷻ لهذا المسلم عملاً شريفاً مريحاً يغنيه عن تعب الدنيا ومشاكلها ومعاناتها.

ثامناً– أن يمنح الله ﷻ هذا المسلم خلقاً كريماً وسلوكاً قويماً يقتدي به الآخرون، ويسعى إليه المقربون.

تاسعاً– أن يهيئ الله ﷻ لهذا المسلم زوجة صالحة تعينه على هموم الدنيا وتساعده على الالتزام بشرع الله ﷻ، ويرزقه الله أولاداً صالحين يكونون قرة عين له.

عاشراً– أن يهيئ الله للمسلم بيتاً واسعاً، ومركوباً مريحاً، وجيراناً يكونون –كإخوة له– وبيئة صالحة يعيش في أكنافها وضمن رحابها.

● أخي المسلم هذه بعض مظاهر التوفيق، فانظر نفسك، هل هي منطبقة عليك؟! فأنت حينئذٍ من أهل التوفيق، فأدم الشكر لله ﷻ على ذلك، واستقم على هذه المنحة التي منحك الله إياها، وإن غابت عنك بعض هذه المظاهر ووجدت عكسها في أحوالك فما عليك إلا أن تسعى إلى رفع الخذلان عنك بالوقوف على باب الله والالتجاء إليه في أن يرزقك التوفيق وتصحيح المسار وتبديل الحسنات بالسيئات والعودة سريعاً إلى الله ﷻ قبل أن يأتي الأجل، وقد حرمت من التوفيق، ولازمك الخذلان في الدنيا الذي يجلب الخذلان في الآخرة.

١١ وعد الله ﷻ

- قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

- وقال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

● في القرآن الكريم وعود من الله ﷻ لعباده ألزم ا ذاته العلية للمسلمين دون أن يقيد إنجازها بمسألة ودعاء، بل أوجبها على ذاته العلية ابتداء إن وفى المسلمون بالأوامر والمتطلبات التي كلفهم ا.

● من هذه الوعود التي ألزم الله ﷻ ا ذاته لعباده الذين أنجزوا ما قد أوصاهم وكلفهم ا، قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ [غافر: ٦٠].

● فقد ألزم ﷻ ذاته بالاستجابة لمن دعاه، ولكن لمن تكون هذه الاستجابة، بينها ﷻ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٢٤].

● وفي موضوع الدعاء قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

- أفادت الآية أن الاستجابة لمن آمن بالله حق الإيمان، واستجاب لأوامره، وسار على جه، فأدى الأوامر، وابتعد عن النواهي والمحارم.

● هذا وإن الدعاء المستجاب يحتاج إلى أمرين لابد منهما:

أولهما: إرجاع الحقوق لأصحا ا ثم توبة صادقة نصوح.

وثانيهما: أن يكون الدعاء بالقلب اليقظ والمشاعر الجياشة والخشية من الله ﷻ مع تذلل وانكسار وتواضع وبكاء.

- قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢].

- قال العلماء: المضطر: الذي إذا رفع إلى الله ﷻ يده لم ير لنفسه عملاً.

● قد يدعو الإنسان لنفسه فيستجيب الله ﷻ له، لأنه حقق الأمرين السابقين، ولكن عندما يدعو للآخرين، قد لا يستجاب لدعائه، لأن الأمرين غير متحققين فيهم، فلابد من توبة عامة، ودعاء نابع من القلب.

● وعندما يكون المؤمن صادقاً في دعائه فإن الله ﷻ يستجيب له بما فيه خيره لا بما يظن المؤمن الخير فيه.

- قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

- وفي هذا يقول ابن عطاء في الحكمة السادسة: (لا يكن أمد تأخر العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك، فهو ضمن لك الاستجابة فيما يختاره لك، لا فيما تختاره لنفسك، وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد).

● الداعي يحتاج إلى عدم الاستعجال في تحقق الإجابة، فالاستجابة في الوقت الذي يريده الله لا في الوقت الذي يريده الداعي.

- قال رسول الله ﷺ: «يستجاب لأحدِكُم ما لَم يعجلْ، يقُولُ: دعوت فَلَم يستجب لِي». [أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما]

- وقال رسول الله ﷺ: «إن جبريل موكل بحوائج بني آدم فإذا دعا

العبد الكافر قال الله يا جبريل اقض حاجته فإني لا أحب أن أسمع دعاءه وإذا دعا العبد المؤمن قال يا جبريل احبس حاجته فإني أحب أن أسمع دعاءه».

[أخرجه ابن النجار عن جابر ﷺ]

● فواجب المؤمن الصادق الذي يدعو ربه بحاجاته أن يثق بكرم الله ﷻ وإحسانه، وأنه ﷻ سيستجيب دعاءه لكن في الوقت الذي يريده الله، وكل ذلك في مصلحة الداعي، لأن الله ﷻ يعرف حاجاته، والوقت المناسب لقضائها.

● وعلى المؤمن أن يعلم أن انتظاره للفرج عبادة، كما قال رسول الله ﷺ: «سلُوا اللَّه مِن فَضلِه، فَإِنَّ اللَّه ﷻ يحِب أَنْ يسأَلَ، وأَفْضلُ العِبادةِ انتِظَار الفَرجِ». [أخرجه الترمذي عن عبد الله ﷺ]

● وكذلك ينبغي للمسلم أن يلح في الدعاء ويستمر ولا ييأس إلى أن يستجيب الله ﷻ دعاءه.

– قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّه ﷻ يحِب الْملِحين فِي الدعاءِ».

[أخرجه الطبراني في الدعاء عن عائشة رضي الله عنها]

● وينبغي للمسلم أن يعلم أيضاً أن الدعاء عبادة لابد منها تتجلى فيها عبوديته من خلال افتقاره إلى الله ﷻ في قضاء حوائجه والخضوع له.

– قال رسول الله ﷺ: «الدعاءُ مخ العِبادةِ». [أخرجه الترمذي عن أنس ﷺ]

● وآية أخرى تكفّل الله ﷻ بنصر من ينصر دينه ورسوله وهي قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٧].

● فكثير من الناس يقولون لماذا لم ينصرنا الله ﷻ؟ فهم يطالبون الله بما

وعد، ولا يطالبون أنفسهم بما يجب أن يؤدوه ليتحقق لهم النصر، فنصر الله ﷻ مقيد بنصر العبد ربه.

والسؤال: كيف ينصر العبد ربه لينصره الله ﷻ؟

الجواب: بالالتزام الكامل بشرع الله ﷻ، والتقيد بأحكام القرآن الكريم والسنة المطهرة، في النيات والأقوال والأفعال، وفي جميع مجالات الحياة.

● فالمؤمن الذي يعترض على الله ﷻ في عدم نصره على الأعداء، عليه أن يسأل نفسه هل التزم أوامر الله ﷻ، وابتعد عن نواهيه ومحرماته، في أكله وشربه، ومعاملاته وبيعه وشرائه، وأخذه وعطائه، ومع زوجته وأولاده، ووالديه وأرحامه، وجيرانه ومعارفه، وفي معاملاته مع جميع الناس.

● فإن وجد نفسه محققاً لكل أوامر الله ﷻ في كل شؤون حياته، قائماً على عبادة ربه خير قيام، فليعلم أن الله ﷻ سينصره ويحقق له كل آماله.

● وينبغي للمسلم أن يعلم أن الله ﷻ إن أخر نصره، فلحكمة يريدها ﷻ، مردها لصالح المؤمن فسوف يأتيه الفرج والنصر على أكمل وجه، وأحسن صورة، في وقت يختاره الله ﷻ له، وفيه الخير الكبير له.

● هذا وينبغي لكل مؤمن يتعامل مع الله ﷻ بصدق وإخلاص أن يقف على سنن الله ﷻ في عباده، والقواعد التي يتعامل معهم على أساسها، كي لا يخطئ في فهم ما قد يراه من الأحداث، وإن من بعض هذه القواعد والسنن: أنه ﷻ قد يأخذ الكل بجريرة البعض، وقد نص البيان الإلهي على هذا في قوله ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

– وأكده رسول الله ﷺ في قوله: «لاَ إِلَه إِلا اللَّه، ويلٌ لِلْعربِ مِن شر قَدِ اقْترب، فُتِح اليوم مِن ردمِ يأْجوج ومأْجوج مِثْلُ هذِه» وحلَّق بِإِصبعِه الإِبهامِ والَّتِي تلِيها، قَالَت زينب بنت جحشٍ فَقُلْت يا رسولَ اللَّهِ: أَنهلِك وفِينا الصالِحونَ؟ قَالَ: «نعم إِذَا كَثُر الخَبثُ».

[أخرجه البخاري عن أم حبيبة بنت أبي سفيان وزينب بنت جحش رضي الله عنهما]

●وقد يقول قائل ما جريرتنا نحن الملتزمين والمستقيمين أن يصيبنا البلاء ويحيق بنا الهلاك بسبب غيرنا؟

والجواب لهذا القائل: –ونرجو أن لا يكون معترضاً على الله، وإنما يستفسر لمعرفة الحقيقة– أن سنة الله ﷻ في العذاب الجماعي أن يمتحن الله قلوب الصالحين ويرفع درجا م في الدنيا والآخرة لرضاهم بقدر الله ﷻ وصبرهم على بلائه.

– أما أولئك الذين كانوا سبباً في هذا البلاء أو هذه الفتنة فإن لهم أمراً آخر عند الله ﷻ.

– وقد نفذت هذه القاعدة بقدر كبير من الشدة والدقة والألم والوجع في عهد رسول الله ﷺ في مواقف متعددة أهمها يوم أحد، وبمخالفة الرماة أمر النبي ﷺ تحول النصر إلى هزيمة راح ضحيتها كثير من المسلمين، بل أصاب رشاشها شخص رسول الله ﷺ الذي كسرت رباعيته، ونزف الدم منه، ووقع في كمين أعده له المشركون.

اللهم فلا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

١٢ الاستجابة لله

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

● إذا ضاقت على المسلم الحياة من كثرة ما يعاني من مواقف شداد، ومواجهات صعبة، وآلام متعددة، ومحن وبلاء، وهم وغم، وألم ومرض، وغير ذلك، فعليه أن يسرع ملتجئاً إلى الله ﷻ مناجاة ودعاء أن يكشف الله ﷻ عنه ما أهمه وأغمه وآلامه وما يواجهه من منغصات الحياة عند ذلك يسمع ذلك المؤمن قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

● لكن هذه الآية تشير إلى أمر هام أنه من أراد أن يستجيب الله له وجب عليه أن يكون قد استجاب لله فيما أمره وابتعد عما ـاه وزجره، عند ذلك يستحق هذا العبد أن يستجيب الله ﷻ دعاءه ويرفع عنه ما ابتلاه.

● ويؤكد هذا المعنى مقدمة وصية النبي ﷺ لابن عباس تلك الوصية التي تعتبر قانوناً يرسم سر سعادة الإنسان في هذه الحياة.

- تقول مقدمة هذه الوصية (**احفظ الله يحفظك**).

● أي إذا أردت أن يحفظك الله من كل ما يسوؤك ويلحق بك الضرر، فعليك أن تحفظ حدود الله ﷻ، وتقيم شرعه، وتعمل بأوامره، وتبتعد عن محرماته ونواهيه، فمن استجاب لله ﷻ استجاب الله له، كما قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

- وعملاً بقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.
[الأنفال: ٢٩]

● الاستجابة لأمر الله ورسوله إنما هي استجابة لما يحيي الإنسان حياة طيبة ويسعده في الدارين، لذلك أمرنا الله ﷻ بهذه الاستجابة، فقال سبحانه:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾.
[الأنفال: ٢٤]

● في هذه الآية نداء رباني، إلى دعوة الله تعالى يوجهها لعباده المؤمنين، ويخاطبهم بصفة الإيمان، ويذكرهم بمقتضى ما آمنوا به، ليكون ذلك دافعاً لهم للمبادرة إلى إجابة الدعوة بعناية وقوة وعزيمة.

● هذا النداء الذي يوجهه الله تعالى إلى المؤمنين، دعوة إلى الحياة بكل صورها ومعانيها، ولكنها ليست أية حياة، إنما هي الحياة الكاملة التي يتميز بها المسلم عن سائر البشر الذين تحركهم دوافع الشهوات، وتتحكم فيهم الأهواء، فحسب الواحد منهم، مالٌ يحقق به شهواته، وطعام يملأ بطنه، وثياب فاخرة تكسو جسده، وسيارة فارهة يجذب أنظار الناس إليها، ومترل فخم يباهي به جلساءه، فهو لا يسعى لأكثر من ذلك.

● وعلى قدر الاستجابة يكون كمال الحياة، فهي مراتب كلما ازداد العبد من الاستجابة لله تعالى وطاعة أوامره، زاده الله ﷻ كمالاً في حياته وهداية وتوفيقاً.

● فلينظر الإنسان إلى مدى استجابته لله ﷻ ورسوله ﷺ في كل يوم وليلة، وبكمال تلك الاستجابة تكمل حياته، ويطيب عيشه، لذلك شبه الله تعالى

المستجيب لنداء الله ورسوله ﷺ بالحي، والذي لا يستجيب بالميت، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

- ويبين الله ﷻ من هم المستجيبون له فيقول: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشورى: ٢٦].

- كما بين الله ﷻ حالة أهل الأهواء الذين لا يستجيبون فقال ﷻ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

● إن المتدبر لكتاب الله تعالى يجد دعوة ظاهرة للاستجابة لله ﷻ في مواضع عدة من آيات الله ﷻ تارة بالأمر ا، وتارة ببيان حقيقتها، وتارة ببيان مآل أهلها الذين قاموا بمتطلبا ا حق القيام، وتارة ببيان عقوبة المعرضين عنها.

● والاستجابة لله والرسول تعني الانقياد لما أمر به، والمبادرة إلى تنفيذه والدعوة إليه، واجتناب ما ى عنه.

● وينبغي للمسلم أن يعلم أن أصل الاستجابة تكون بالقلب، قلا ينفع استجابة البدن دون استجابة القلب.

● ولمن استجاب لله ورسوله سعادة الدارين، والذين لم يستجيبوا إليه الشقاوة في الدارين، بين ذلك الله ﷻ بقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

● والمؤمن الصادق من يستقيم على الاستجابة لله والرسول وإن اشتد عليه البلاء، وتأخر الفرج، وزاد عليه الألم، وكثرت عليه المصائب والمحن، قال

الله ﷻ في وصف مثل هذا الحال: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

●عندما ينادي أحدنا شخصاً من خاصته باسمه يجيبه مباشرة: نعم أو حاضر، ثم يسرع في تحقيق ما يطلب منه، وعندما ينادينا الله ﷻ في قرآنه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾.

وجب علينا أن نقول ما يناسب نداء الله لنا (**لبيك اللهم لبيك**).

- وفي القرآن الكريم ما يقارب مائة موضع تكرر فيها النداء ذه العبارة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ طالباً منا في كل نداء تنفيذ أمر من الأمور، فهل فكرنا في هذه النداءات عندما نقرأها أو نسمعها وأسرعنا في الاستجابة لتلك النداءات دون إبطاء أو إهمال.

●تعالوا لنسمع بعض نداءات الله وننظر مدى استجابتنا له ﷻ في أحد النداءات يقول لنا ربنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

●فهل نستجيب لنداء الله ﷻ فنستعين بالصبر والصلاة عندما تواجهنا الحياة بامتحانا ا وبلائها ومحنها.

- وعندما ينادينا الله بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.
[البقرة: ٢٥٤]

- فهل نستجيب لنداء الله فنسرع إلى الإنفاق مما رزقنا الله في هذه الدنيا قبل أن يأتي يوم الحساب.

● نداءات ونداءات يناديا الله ا، فهلا ساءلنا أنفسنا عن مدى تنفيذنا لهذه النداءات ومقدار استجابتنا لأوامرها ومسارعتنا في تحقيقها، وعلى سبيل الذكر لا الحصر امتحنوا أنفسكم في نداءات الله ﷻ لكم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].

- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

- يقول تعالى: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

- جاء رجل كولمبي إلى أحد الدعاة مستفسراً عن الإسلام، وبعد حوارات ومناقشات متعددة أشهر إسلامه، وعندما سئل عن السبب قال: قرأت في ترجمة معاني القرآن الكريم التي أهدانيها صديقي الكريم تكرار كلمة: (يا عبادي) فكثير من الأوامر إذا وجهها يصدرها ذه الكلمة، وهذا استوقفني كثيراً ولمست منه جانب الشفقة علي والرحمة بي، فمعظم قادة وملوك ومسؤولي ومديري القطاعات ينادونك بفوقية، وهو مع كونه ملك

الكل المستغني عني يناديني بعطفه وحنانه:

(يا عبادي) ومن هذا نداؤه لعباده، فهو إله عظيم لابد أن أستجيب لندائه.

نعم أيها الإخوة إن إلهنا عظيم كريم رحيم رؤوف يستحق العبادة، ويستحق الاستجابة له، فاجعلنا اللهم ممن يستمعون قولك ويستجيبون لندائك.

- وعودة مرة أخرى لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

● إن في الاستجابة لله دلالة على سلوك الطريق المستقيم في هذه الدنيا، وإلهام من الله لمواجهة الحياة بأفضل السبل والوسائل، لأن الله ﷻ هو الذي خلق الخلق، وهو أعلم بمصالحهم، وما ينفعهم في التعامل مع هذه الحياة ومقتضيا ا.

● والاستجابة لله والرسول استجابة للحق، واستجابة للقوانين الإلهية المسعدة، وللأخلاق الفاضلة، والسلوك القويم، والحياة السعيدة الرغيدة.

● والاستجابة لله والرسول فضل إلهي يمتن الله ﷻ به على الخلق ليأخذ بيدهم إلى طريق النجاة، فهنيئاً لمن استجاب لله والرسول.

● المؤمنون الصادقون هم أسرع من يستجيب لله والرسول، ونرى ذلك على مستوى الجماعة الإسلامية والفرد المسلم.

● أما على مستوى الجماعة فهناك مثال حي، فقد كان العرب في الجاهلية يشربون الخمور كما يشرب الناس الماء، فلما نزل قوله تعالى في تحريم الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ

﴿وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.
[المائدة: ٩٠-٩١]

- ما كان من الصحابة إلا أن قالوا جميعاً: **(انتهينا يا رب، انتهينا يا رب)**.

- فأخرج الناس ما عندهم من جرار الخمر وأراقوها في سكك وطرقات المدينة.

- قال أنس ﷺ: (فأصبحت المدينة ثلاثة أيام ليس لها رائحة إلا الخمر).

- كم من المسلمين اليوم من يسمع حكماً لله تعالى في تحريم أمر يفعله، فهل يستجيب كما استجاب الصحابة ﷺ، ويمتنع عن فعله، ويقول كما قالوا: **(انتهينا يا رب، انتهينا يا رب)**.

● أما الأمثلة الفردية للاستجابة لنداء الله والرسول فهي كثيرة تكاد لا تحصى وأول هذه الأمثلة سيدنا أبو بكر الصديق، حيث كان أبو بكر ﷺ من أشد الصحابة ﷺ تصديقاً لكتاب الله ﷻ، وإيماناً بالتتريل، ومن أسرعهم استجابة لله والرسول، والنماذج من حياته كثيرة:

- فمن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك الطويل حيث قالت: فلما أنزل الله براءتي، قال أبو بكر الصديق ﷺ -وكَانَ ينفِق علَى مِسطَحِ بنِ أُثَاثَةَ لقَرابتِه منه وفَقْرِه - واللَّه لاَ أُنفِق علَى مِسطَحٍ شيئاً أَبداً بعد الَّذي قَالَ لعائشةَ ما قَالَ، فَأَنزلَ اللَّه: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

- قَالَ أَبو بكْرٍ الصديق بلَى واللَّه إِني لأُحِب أَنْ يغفِر اللَّه لِي. فَرجع

إِلَى مِسطَحٍ النفَقَةَ الَّتِي كَانَ ينفِق علَيهِ وقَالَ واللَّهِ لاَ أَنزِعها منه أَبداً.
[أخرجه البخاري]

- فانظر -رحمنا الله وإياك- كيف أن مسطح بن أثاثة خاض مع من خاض في عرض أم المؤمنين رضي الله عنها، ومع ذلك ما إن نزلت الآية حتى استجاب أبو بكر لأمر الله وأعاد النفقة التي كان ينفق على مسطح، يبتغي بذلك رضوان الله تعالى والجنة.

- كذلك سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أيضاً فهو ممن يقتدى به في الاستجابة لأمر لله ﷻ والرسول ﷺ.

فعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قَالَ قَدم عيينةُ بن حِصنِ بنِ حذَيفَةَ فَنزلَ علَى ابنِ أَخِيهِ الْحر بنِ قَيسٍ، وكَانَ من النفَرِ الَّذين يدنيهِم عمر، وكَانَ الْقُراءُ أَصحاب مجالسِ عمر ومشاورتِه كُهولاً كَانوا أَو شباناً. فَقَالَ عيينةُ لابنِ أَخيه يا ابن أَخي، لَك وجه عند هذَا الأَمير فَاستأْذنْ لي علَيه. قَالَ سأَستأْذنُ لَك علَيه. قَالَ ابن عباسٍ فَاستأْذَنَ الْحر لعيينة فَأَذنَ لَه عمر، فَلَما دخلَ علَيهِ قَالَ هِي يا ابن الْخطَّاب، فَواللَّه ما تعطينا الْجزلَ، ولاَ تحكُم بيننا بِالْعدلِ. فَغضب عمر حتى هم بِه، فَقَالَ لَه الْحر يا أَمير الْمؤمنِين إِنَّ اللَّه تعالَى قَالَ لِنبِيهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإِنَّ هذَا من الْجاهِلِين. واللَّه ما جاوزها عمر حين تلاَها علَيه، وكَانَ وقَّافاً عند كتابِ اللَّه. [أخرجه البخاري]

- وكذلك كان الصحابة الكرام ﷺ فلما قال رسول الله ﷺ: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته عنده مكتوبة».

قال عبد الله بن عمر ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي. [أخرجه مسلم]

- ويقول ابن عمر لما نزلت آية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢] تذكرت ما أعطاني الله تعالى فلم أجد أحب إلي من مرجانة جارية لي رومية فقلت هي حرة لوجه الله تعالى فلو أني لا أعود في شيء جعلته لله تعالى لنكحتها فأنكحتها نافعاً.

[تفسير الألوسي]

- وفي استجابة الصحابة لهذه الآية، قال أَنس بن مالك ﷺ: كَانَ أَبو طَلْحةَ أَكْثَر الأَنصارِ بالْمدينة مالاً من نخلٍ، وكَانَ أَحب أَمواله إِلَيه بيرحاءَ وكَانت مستقْبلَةَ الْمسجِد، وكَانَ رسولُ اللَّه ﷺ يدخلُها ويشرب من ماءٍ فيها طَيبٍ قَالَ أَنس فَلَما أُنزلَت هذه الآيةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ قَام أَبو طَلْحةَ إِلَى رسولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ يا رسولَ اللَّه. إِنَّ اللَّه تبارك وتعالَى يقُولُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ وإِنَّ أَحب أَموالي إِلَى بيرحاءَ، وإِنها صدقَةٌ للَّه أَرجو برها وذُخرها عند اللَّه، فَضعها يا رسولَ اللَّه حيثُ أَراك اللَّه. قَالَ فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «بخ، ذَلك مالٌ رابِح، ذَلك مالٌ رابِح، وقَد سمعت ما قُلْت وإِني أَرى أَنْ تجعلَها في الأَقْربين» فَقَالَ أَبو طَلْحةَ أَفْعلُ يا رسولَ اللَّه. فَقَسمها أَبو طَلْحةَ في أَقَاربِه وبني عمه.

[أخرجه البخاري]

هذه أمثلة قليلة من مواقف كثيرة لا تحصى تظهر سرعة استجابة الصحابة لنداء الله وامتثال أوامره، والابتعاد عن نواهيه، وكذلك كان من بعدهم التابعين وتابعي تابعيهم وستبقى طائفة على هذا المنهج إلى يوم الدين من العلماء الصالحين والأولياء والمؤمنين الصادقين، فهل راجع أحدنا نفسه ليدرك مدى حرصه على الاستجابة لنداءات الله ورسوله والتمسك ا،

والبعد عن نواهي الله ومحرماته، ليس الاستجابة فقط بل الإسراع في الاستجابة دون إهمال أو تردد أو بطء، إن كنا كذلك فنحن من أهل الإيمان الحقيقي، وإن لم نكن كذلك فنحن من أهل العقوق والعياذ بالله، وما فاز منافس مقاعس ولا خسر مستجيب، وأهم ما يجنيه المستجيب لأمر الله ﷻ إسراع الله في استجابة دعائه، يظهر ذلك قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

اللهم اجعلنا ممن يستجيبون لنداءاتك ونداءات نبيك.

- روى أحد الأشخاص هذه القصة: جاءت إلينا خادمة -ليست مسلمة- وبعد قرابة الشهر أسلمت وحسن إسلامها، وأهدينا لها مصحفاً مزوداً بتفسير الآيات، وبعد أشهر حصل لها ظرف طارئ يستلزم عود ا لبلدها، لكنها جاءت إلي، وقالت: لم يمنعني الذهاب لبلدي إلا آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١]، وآية: ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ [الرعد: ٢٠].

وقالت: أنا عقدي معكم سنتان ولم ينتهِ بعد، فدهشت مما قالت، وعجبت لسرعة استجابتها لكلام الله وفهمها له، وحزنت لحالي وحال غيري من المسلمين ممن ولد في كنف الإسلام، ولم يحسن بعد تطبيق تعاليمه.

اللهم ردنا لديننا رداً جميلاً، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها.

١٣ الاستعانة بالله ﷻ

● أنزل الله ﷻ علينا القرآن لنقرأه ونفهم معانيه ونطبق ما فيه ونستفيد من إرشاداته.

● فالمسلم في صلاته اليومية يقرأ الفاتحة في فرائض الصلاة وسننها أكثر من ثلاثين مرة، ولقد بين الله ﷻ لنا كيف يجب أن نتعامل مع آيات هذه السورة العظيمة فقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّه ﷻ: قَسمت الصلاَةَ بينِي وبين عبدِي نِصفَين نِصفُها لِي، ونِصفُها لِعبدِي، ولِعبدِي ما سأَلَ». قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يقُولُ الْعبد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يقُولُ اللَّه: حمِدنِي عبدِي. يقُولُ الْعبد ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يقُولُ اللَّه ﷻ: أَثْنى علَي عبدِي. يقُولُ الْعبد ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يقُولُ اللَّه: مجدنِي عبدِي. يقُولُ الْعبد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ اللَّه: هذَا بينِي وبين عبدِي ولِعبدِي ما سأَلَ». [أخرجه البيهقي]

● تعالوا لنتمعن في قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ جملتان متلازمتان ومترابطتان، يعلمنا الله ﷻ ما كيف نخاطبه سبحانه، وكيف تكون العلاقة به ﷻ، حتى لا نغفل عن ذلك، أمرنا الله ﷻ بتكرارهما في كل ركعة من ركعات الصلاة، أي بين ساعة وساعة، حتى تكون معانيهما في أعماق فكرنا وأرواحنا وقلوبنا، لا نغفل عنهما طيلة حياتنا.

الجملة الأولى: إقرار العبد أمام لخالقه سبحانه أن يا رب إياك نعبد ولا نعبد سواك، أي إياك نطيع ولأوامرك ننفذ وعن نواهيك ننتهي، ولا نأتمر لأمر

أحد سواك، ولا نطيع غيرك، إياك نعبد كما وجهنا النبي ﷺ بقوله: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

والجملة الثانية: إقرار العبد أمام خالقه أن يا رب خلقتنا ضعفاء ونحتاج إلى المعونة وإلى المساعدة ولا نرجو هذه المساعدة إلا منك، فإياك نستعين.

- نستعين بك ولا نستعين بغيرك، لأنك أنت خالق الخلق، الآمر والناهي، وكل الخلق بحاجة إليك، فكيف نستعين بمن هو مفتقر في قضاء حوائجه إليك، ولا نستعين بك، وأنت خالق الخلق، ومالك أمورهم، بيدك ملكوت كل شيء.

- وإياك نستعين: لا يخطر في بالنا، ولا يجول في فكرنا الاستعانة بغيرك، وإنما توجهنا كاملاً إليك.

- نستعين بك عند السراء والضراء، عند السراء شكراً وطمعاً بزيادتك، وعند الضراء صبراً وطمعاً في كشف ضرنا.

- نستعين بك في كل حوائجنا وفي جميع أمورنا لتقضى.

- نستعين بك على نفوسنا الأمارة بالسوء لتشفى.

- ونستعين بك عند ضيق نفوسنا وانعدام آمالنا لتفريج همومنا.

- ونستعين بك عند تكالب شرار خلقك وتآمرهم علينا في أن يأتينا عاجلاً عونك وفرجك ونصرك.

● إن المؤمن الحق هو الذي يرجو أن يرتقي في أشرف منازل الدنيا والآخرة، وهو يعلم أنه لا يستطيع أن يرتقي إلا بعون الله وتوفيقه، لذلك أمره الله ﷻ أن يدعو في كل ركعة صلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

● ولكن كثيراً من الناس لا يفقه شيئاً عن الاستعانة بالله، وأ ا ضرورية وهامة في حياة المؤمن، ولن يستطيع أن ينجز شيئاً من أعماله الدينية والدنيوية إلا بإعانته وتيسيره وتسهيله له.

● المؤمن الحق يعبد الله ﷻ مخلصاً له الدين، ويستعين به في حياته، معتمداً على الله ﷻ، وواثقاً به ومتوكلاً عليه.

● والاستعانة بالله ﷻ تجمع أصلين مترابطين:

أولاً– الثقة بالله ﷻ.

وثانياً– الاعتماد عليه، فالعبد قد يثق بأحد الناس، ثم لا يعتمد عليه مع الثقة به لاستغنائه عنه، وقد يعتمد على أحد الناس مع عدم ثقته به، لأنه يحتاج إليه في قضاء حاجته، لأنه لا يجد من يقضيها غيره، أما استعانة العبد بالله ﷻ، فهي تقوم على ثقته به وأنه مالك الملك وبيده كل شيء، مع اعتماد هذا العبد على الله الذي بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

– **فالعبادة:** اسم جامع لكل ما يحبه الله ﷻ ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

– **والاستعانة:** هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك.

● وعبادة الله والاستعانة به هما الوسيلتان للوصول للسعادة في الدنيا والآخرة مع النجاة من جميع الشرور فلا سبيل للنجاة إلا بتحقيق ذلك.

من توجيهات النبي ﷺ ووصاياه: الحث على الاستعانة بالله.

– ففي وصيته ﷺ إلى ابن عباس رضي الله عنهما يقول له: «يا غُلاَم إني أُعلّمك كَلمات احفَظ اللّه يحفَظْك احفَظ اللّه تجده تجاهك إذَا سأَلْت فَاسأَل اللّه وإذَا استعنت فَاستعن باللّه واعلَم أَنَّ الأُمةَ لَو اجتمعت علَى أَنْ ينفَعوك بِشيءٍ لَم ينفَعوك إلاَّ بِشيءٍ قَد كَتبه اللّه لَك ولَو اجتمعوا علَى أَنْ يضروك بِشيءٍ لَم يضروك إلاَّ بِشيءٍ قَد كَتبه اللّه علَيك رفعت الأَقْلاَم وجفَّت الصحف». [أخرجه الترمذي]

– وكذلك من وصايا النبي ﷺ: «الْمؤمن الْقَوي خير وأَحب إِلَى اللّه من الْمؤمنِ الضعيف وفي كُلٍّ خير احرِص علَى ما ينفَعك واستعن باللّه ولاَ تعجز وإِنْ أَصابك شيءٌ فَلاَ تقُلْ لَو أَني فَعلْت كَانَ كَذَا وكَذَا. ولَكن قُلْ قَدر اللّه وما شاءَ فَعلَ فَإِنَّ لَو تفْتح عملَ الشيطَانِ».

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

– وقد كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: (لا تستعن بغير الله فيكلَك الله إليه).

أي لمن استعنت به.

– لذلك قال العارفون: من ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولاً.

– ومن كلام بعض السلف: (يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك، عجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك).

● لا شك أن الإنسان في حياته وتعدد حوائجه يحتاج إلى مساعدة الآخرين والاستعانة بهم لقضائها، وهذا لا يتناقض مع قول المؤمن الحق موجهاً خطابه لله عز وجل **إياك نستعين** في قضاء حوائجي، لأنه وإن استعان

بالناس، فهو غير غافل عن مسبب الأسباب، فكأن لسان حاله يقول: لقد استعنت بالناس لعلمي ويقيني أنني بالاستعانة بك ستلهم من استعنت به من خلقك العمل على قضاء حوائجي على أيديهم بفضل استعانتي بك، أما من استعان بخلقك دونك فحظه الخسران والندم.

● كان رجلان يسألان الناس قد ذهب بصرهما على الطريق الذي تسلكه أم جعفر زبيدة العباسية زوجة هارون الرشيد لمعرفتهما بكرمها، فكان أحدهما يقول: اللهم ارزقني من فضلك (أي أنه يستعين بالله) وكان الآخر يقول: اللهم ارزقني من فضل أم جعفر، وكانت أم جعفر تعلم منهما ذلك وتسمع، فكان ترسل لمن طلب فضل الله درهمين، ولمن طلب فضلها دجاجة مشوية في جوفها عشرة دنانير، وكان صاحب الدجاجة يبيعها لصاحب الدرهمين بدرهمين كل يوم وهو لا يعلم ما في جوفها من دنانير.

وأقام على ذلك عشرة أيام متوالية، ثم أقبلت أم جعفر إليهما، وقالت لطالب فضلها أما أغناك فضلنا؟ قال: وما هو؟

قالت: مائة دينار في عشرة أيام، قال: لا بل دجاجة كنت أبيعها لصاحبي بدرهمين، فقالت: هذا طلب من فضلنا فحرمه الله ﷻ، وذاك طلب من فضل الله فأعطاه الله وأغناه.

فقال قائل: من اعتمد على غير الله ذل، ومن اعتمد على غير الله قل، ومن اعتمد على غير الله ضل، ومن اعتمد على غير الله مل، ومن اعتمد على الله ﷻ فلا ذل ولا قل ولا ضل ولا مل.

اللهم فاجعل عبادتنا واستعانتنا بك يا أرحم الراحمين.

● نحن اليوم وفي هذه المعاناة الشديدة التي نعيشها قد نحتاج إلى معونة

الآخرين ومساعد م، ولكن ليكن طلب المساعدة مرفوعاً إلى الله ﷻ لا إلى العباد، لأن الخلق واسطة ربانية، الله مالك قلو م، فهو وحده القادر على أن يسوقهم إلى مساعدتنا وهم في الحقيقة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، فإذا عبدنا الله مخلصين له الدين وجعلنا طلبنا في المساعدة منه لا من غيره حرك الله قلوب عباده نحونا فتصل إلينا مساعدة الله عن طريق عباده، فهم واسطة لا أقل من ذلك ولا أكثر، واليوم نحن بأشد الحاجة إلى طلب المعونة من الله والاستعانة به، وقد تآمر الجميع علينا، وصب البلاء علينا صباً بين هدم وتشريد وسرقة وغلاء وخوف وقتل وفقدان للأحبة وأعمال وحشية لم نسمع ا في التاريخ أبداً، كل ذلك يدفعنا إلى أن نوحد قلوبنا بالالتجاء إلى الله والاستعانة به ليرفع عنا هذا البلاء.

اللهم إنا **نعبدك وحدك** ولا نعبد سواك.

- وإنا **نستعين بك وحدك** فأعنا يا رب العالمين.

- **اللهم إنا نستعين** بقوتك على ضعفنا.

- **وإنا نستعين** بعلمك على جهلنا.

- **وإنا نستعين** بغناك على فقرنا، ونستعين على تآمر الناس علينا بمعجزتك وخرقك للعوائد، نسألك أن تغير حالنا إلى أحسن حال.

- **وإنا نستعين** بتقديرك أن تقدر لنا خيراً.

- **وإنا نستعين** بقدرك أن تلطف بنا فيما جرت به التقادير.

- **وإنا نستعين** بإرادتك أن تنصر الإسلام والمسلمين وأن تعلي كلمة الحق والدين.

- **وإنا نستعين** بمنك أن تمن علينا بالأمان وراحة البال.

- **وإنا نستعين** بكرمك أن تكرمنا في الدنيا والآخرة.

- **وإنا نستعين** بحنانك فتحنن علينا، والطف بحالنا.

- **وإنا نستعين** بمنك أن تمن علينا برفع البلاء عنا، وأن تمن علينا بالأمان وراحة البال.

- **وإنا نستعين بك** في محنتنا الكبيرة التي تزداد يوماً وراء يوم، وتتعمق آلامها، والتي أدت إلى موت الألوف من الأبرياء مع تآمر الجميع علينا.

- **وإنا نستعين بك** لا بغيرك على محنتنا هذه أن ترحم الشهداء، وتشفي المرضى، وتصبر المبتلى، وأن تظهر الحق وتبطل الباطل.

- **وإنا نستعين** برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

● رئي زين العابدين متعلقاً بأستار الكعبة وهو يناجي الله ﷻ قائلاً:

يا من يجيب دعا المضطرِ في الظُّلَمِ ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقَمِ
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزيناً هائماً قلقاً ... فارحم بكائي بحق البيت والحرم
إن كان جودك لا يرجوه ذو سفه ... فمن يجود على العاصين بالكرم
ألا أيها المقصود في كل حاجتي ... شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي ... فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت بأعمال قباح رديئة ... وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي ثم أين مخافتي

١٤ احفظ الله يحفظك

● وصية تستحق أن تسجل بماء الذهب، ويحفظها كل مسلم، ويعمل بها ويربي أولاده عليها، إنها وصية من المربي الأول سيدنا محمد ﷺ وصى بها ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكان في العاشرة من عمره، وقد حرص النبي ﷺ على تعليمه ما ينفعه، لما وجد فيه من إقبال على الدين، ونبوغ في الصغر، فقد أردفه النبي ﷺ خلفه على دابته.

– وهذا يشير إلى اهتمام النبي ﷺ بتربية الشباب لما فيهم من ميزات تؤهلهم لحمل تعاليم الإسلام ونشره– فقال ﷺ له: «يا غُلام إني أُعلِّمك كَلمات، احفَظ اللَّه يحفَظْك، احفَظ اللَّه تجده تجاهك، إذَا سأَلْت فَاسأَل اللَّه، وإذَا استعنت فَاستعن باللَّه، واعلَم أَنَّ الأُمةَ لَو اجتمعت علَى أَنْ ينفَعوك بِشيءٍ لَم ينفَعوك إلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه لَك، ولَو اجتمعوا علَى أَنْ يضروك بِشيءٍ لَم يضروك إلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه علَيك، رفعت الأَقْلام وجفَّت الصحف».

[أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح]

– وفي رواية أحمد: «احفَظ اللهَ يحفَظْك، احفَظ اللهَ تجده أَمامك، تعرف إِلَيه فِي الرخاءِ، يعرِفْك فِي الشدة، وإِذَا سأَلْت، فَاسأَل اللهَ، وإِذَا استعنت، فَاستعن بِالله، قَد جف الْقَلَم بِما هو كَائن، فَلَو أَنَّ الْخلْق كُلَّهم جمِيعاً أَرادوا أَنْ ينفَعوك بِشيءٍ لَم يكْتبه اللهُ علَيك، لَم يقْدِروا علَيه، وإِنْ أَرادوا أَنْ يضروك بِشيءٍ لَم يكْتبه اللهُ علَيك، لَم يقْدِروا علَيه، واعلَم أَنَّ فِي الصبرِ علَى ما تكْره خيراً كَثِيراً، وأَنَّ النصر مع الصبرِ، وأَنَّ الْفَرج مع الْكَربِ، وأَنَّ مع الْعسرِ يسراً».

يا غُلام: نداء فيه حنان ولطف وتشجيع وتعزيز يصدر من أجلّ وأعظم مرب في هذا الوجود.

احفَظِ اللَّه: احفظ حدود الله ﷻ وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو بالوقوف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا تجاوز لما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله ﷻ الذين مدحهم الله في كتابه فقال ﷻ: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢-٣٣].

- وفسر الحفيظ هنا بالحافظ لأوامر الله ﷻ وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها، ومن أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله الصلاة، وقد أمر الله ﷻ بالمحافظة عليها فقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

- ومدح المحافظين عليها بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾. [المؤمنون: ٩]

- وعن عبدِ اللَّه بنِ عمرٍو، عنِ النبي ﷺ أنه: ذَكَر الصلاةَ يوماً فَقَالَ: «من حافَظَ علَيها؟ كَانت لَه نوراً، وبرهاناً، ونجاةً يوم الْقيامة، ومن لَم يحافظْ علَيها لَم يكُن لَه نور، ولا برهانٌ، ولا نجاةٌ، وكَانَ يوم الْقيامة مع قَارونَ، وفِرعونَ، وهامانَ، وأُبي بنِ خلَف». [أخرجه أحمد]

- ومن الحفظ ما ورد عن النبي ﷺ: «استحيوا من اللَّه حق الحَياء». قَالَ: قُلْنا: يا رسولَ اللَّه إنا نستحيي والحَمد للَّه، قَالَ: «لَيس ذَاك، ولَكن الاستحياءَ من اللَّه حق الحَياء أَنْ تحفَظَ الرأْس وما وعى، والبطْن وما حوى، ولْتذْكُرِ المَوت والبِلَى، ومن أَراد الآخرةَ ترك زِينةَ الدنيا، فَمن فَعلَ ذَلك فَقَد

استحيا مِن اللَّهِ حق الحَياءِ». [أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ]

وحفظ الرأس وما وعى: يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات.

وحفظ البطن وما حوى: يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرم الله ﷻ، وحفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب، وحفظ الفرج عن المحرمات.

- قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥].

يحفَظْك: أي من حفظ حدود الله ﷻ وراعى حقوقه حفظه الله، فإن الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾. [البقرة: ٤٠]

- وقال ﷻ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

- وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما- حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وأهله وماله، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

- قال ابن عباس: (هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلوا عنه). [تفسير الطبري]

- وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَم يكُن رسولُ اللَّه ﷺ يدع هؤلاءِ الدعواتِ حِين يمسِي، وحِين يصبِح: «اللَّهم إِني أَسأَلُك الْعفْو والْعافِيةَ فِي الدنيا والآخِرةِ، اللَّهم أَسأَلُك الْعفْو والْعافِيةَ فِي دِينِي ودنياي وأَهلِي ومالِي، اللَّهم استر عوراتِي، وآمِن روعاتِي، واحفَظْنِي مِن بينِ يدي،

ومِن خلْفِي، وعن يمِينِي، وعن شِمالِي، ومِن فَوقِي، وأَعوذُ بِك أَنْ أُغْتالَ مِن تحتِي». [أخرجه ابن ماجه وغيره]

- ومن حفظ الله في صباه وقوته، حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره، وحوله وقوته وعقله.

- وكان بعض العلماء قد جاوز المائة وهو متمتع بقوته وعقله، فوثب يوماً وثبة شديدة، فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناه عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر.

- وعكس هذا أن بعض السلف رأى شيخاً يسأل الناس، فقال: إن هذا ضعيف، ضيع الله في صغره، فضيعه الله في كبره.

- وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته، كما حفظ الله الغلامين اليتمين اللذين ذكرهما الخضر لموسى عليه السلام: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

أي أ ما حفظا بصلاح أبويهما.

ثانيها- حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه، فيتوفاه على الإيمان.

- وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ علمه أن يقول: «قُلِ: اللَّهم احفَظْنِي بِالإِسلامِ قَاعِداً، واحفَظْنِي بِالإِسلامِ قَائِماً، واحفَظْنِي بِالإِسلامِ راقِداً، ولا تطِع فِي عدواً حاسِداً، وأَعوذُ بِك مِن شر ما أَنت آخِذٌ بِناصِيته، وأَسأَلُك مِن الْخيرِ الَّذي هو بِيدِك كُلِّه». [أخرجه ابن حبان]

- **وفي الجملة**: فإن الله عز وجل يحفظ المؤمن الحافظ لحدود دينه، ويحول

بينه وبين ما يفسد عليه دينه بأنواع من الحفظ، وقد لا يشعر العبد ببعضها، وقد يكون كارهاً لها.

- قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال: يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره إلى النار.

- قال عبد اللَّه بن مسعود: «إنَّ الرجلَ لَيشرف علَى الأمرِ من التجارة أَو الإمارة حتى يرى أَنه قَد قَدر علَيه ذَكَره اللَّه فَوق سبعِ سموات فَيقُولُ لِلْملَك: اذْهب فَاصرِف عن عبدِي هذَا فَإِني إِنْ أُيسره لَه أُدخلْه جهنم، فَيجِيءُ الْملَك، فَيعوقُه فَيصرف عنه فَيظَلُّ يتطَير بِجِيرانِه إِنه دهانِي فُلانٌ سبقَنِي فُلانٌ وما صرفَه عنه إِلا اللَّه». [الرضا عن الله بقضائه: ابن أبي الدنيا]

● والمؤمن المستسلم لله ﷻ والراضي عنه ﷻ على علم يقيني بأن اختيار الله ﷻ له هو الأفضل، يؤيد هذا المعنى ما جاء في الحديث القدسي الذي رواه أَنس بن مالك ﷺ عنِ النبي ﷺ، يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «وإِنَّ من عِبادِي الْمؤمنِين من لا يصلُح لَه إِلا الْغنى، ولَو أَفْقَرته أَفْسده ذَلك، وإِنَّ من عِبادِي الْمؤمنِين من لا يصلح إِيمانه إِلا الْفَقْر ولَو بسطْت لَه أَفْسده ذَلك، وإِنَّ من عِبادِي من يرِيد الْباب من الْعِبادة فَأَكُفَّه عنه لِئَلا يدخلَه الْعجب فَيفْسده ذَلك وإِنَّ من عِبادِي الْمؤمنِين من لا يصلح إِيمانه إِلا الصحةُ ولَو أَسقَمته لأَفْسده ذَلك أَظُنه قَالَ: وإِنَّ من عِبادِي الْمؤمنِين من لا يصلح إِيمانه إِلا السقَم ولَو صححته لأَفْسده ذَلك، إِني أُدبر عِبادِي بِعِلْمِي بِقُلُوبِهِم إِني بِهِم علِيم خبِير».

[أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، والبغوي في شرح السنة]

● وعودة إلى وصية النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

احفَظِ اللَّه تجِده تجاهك: وفي رواية (أمامك) أي أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه، وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه يحوطه بنصره ويحفظه ويوفقه ويسدده كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

- قال قتادة: (من يتقِي اللهِ يكُن معه ومن يكُنِ اللهُ معه فَمعه الْفِئَةُ الَّتِي لا تغلَب والْحارِس الَّذِي لا ينام والْهادِي الَّذِي لا يضِلُّ).

[حلية الأولياء: أبو نعيم]

- كتب بعض السلف إلى أخ له أما بعد فإن كان الله معك فمن تخاف؟ وإن كان عليك فمن ترجو؟

- وتسمى هذه المعية: المعية الخاصة، وهي المذكورة في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

- وقول موسى: ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢].

- وما ورد عن النبي ﷺ في قوله لأبي بكر وهما في الغار: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾. [التوبة: ٤٠]

- فهذه المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة بخلاف المعية العامة التي تقتضي علم الله ﷻ وإطلاعه ومراقبته لجميع خلقه.

- فمن حفظ الله وراعى حقوقه وجده أمامه وتجاهه على كل حال، فاستأنس به، واستغنى عن خلقه، كما في الحديث: «إِنَّ أَفْضلَ الإِيمانِ أَنْ تعلَم أَنَّ

اللّه معك حيثُما كُنت». [أخرجه الطبراني في الأوسط عن عباد بن الصامت]

- ومن دخل هذا الإيمان في قلبه لا يخاف من أحد، ولا يخشى أحداً، ولا يستوحش بوحدته.

تعرف إِلَيه فِي الرخاءِ، يعرِفْك فِي الشدةِ: أي أن العبد إذا اتقى الله، وحفظ حدوده، وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرف بذلك إلى الله ﷻ، وصار بينه وبين ربه تلك المعرفة الخاصة، فعرفه ربه في الشدة، ورعاه لتعرفه إليه في الرخاء، فنجاه من الشدائد ـذه المعرفة.

●وفي الجملة فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته، كما روى أبو هريرة ﵁ عن النبي ﷺ: «من سره أَنْ يستجِيب اللّه لَه عِند الشدائِدِ والكَربِ فَلْيكْثِرِ الدعاءَ فِي الرخاءِ».

[أخرجه الترمذي]

إِذَا سأَلْت فَاسأَلِ اللّه، وإِذَا استعنت فَاستعِن بِاللّهِ: وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

●وتوجيه النبي ﷺ للمسلم أن يسأل الله ولا يسأل غيره، وأن يستعين بالله دون غيره، وقد روى ابن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ: «سلُوا اللّه مِن فَضلِه، فَإِنَّ اللّه ﷻ يحِب أَنْ يسأَلَ، وأَفْضلُ العِبادةِ انتظَار الفَرجِ».

[أخرجه الترمذي وهو ضعيف]

- وروى أبو هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قوله: «ينزِلُ ربنا تبارك وتعالَى كُلَّ لَيلَة إِلَى السماءِ الدنيا حِين يبقَى ثُلُثُ اللّيلِ الآخِرِ يقُولُ: من يدعونِي، فَأَستجِيب لَه من يسأَلُنِي فَأُعطِيه، من يستغفِرنِي فَأَغْفِر لَه». [أخرجه البخاري]

- وكان أحمد بن حنبل يقول: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك صنه عن المسألة لغيرك. [صفة الصفوة: ابن الجوزي]

- وفي معنى الاستعانة يقول رسول الله ﷺ: «الْمؤمن الْقَوي، خير وأَحب إِلَى الله من الْمؤمنِ الضعيف، وفِي كُلٍّ خير احرِص علَى ما ينفَعك، واستعن بِالله ولا تعجز، وإِنْ أَصابك شيءٌ، فَلا تقُلْ لَو أَني فَعلْت كَانَ كَذَا وكَذَا، ولَكن قُلْ قَدر الله وما شاءَ فَعلَ، فَإِنَّ لَو تفْتح عملَ الشيطَانِ».

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

واعلَم أَنَّ الأُمةَ لَوِ اجتمعت علَى أَنْ ينفَعوك بِشيءٍ لَم ينفَعوك إِلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه لَك، ولَوِ اجتمعوا علَى أَنْ يضروك بِشيءٍ لَم يضروك إِلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه علَيك:

● وهذا علم في العقيدة ينبغي لكل مسلم أن يعتقده بأن يعلم أن النفع والضرر من الله لا يمكن لأي مخلوق من مخلوقات الله أن ينفع أو يضر إلا بما قضاه الله وقدره.

- وقد دل القرآن الكريم على مثل هذا في قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

[التوبة: ٥١]

- وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

من قبل أن نبرأها: أي من قبل أن نخلقها.

- وقد روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ قال: «لكُلِّ شيءٍ حقيقَةٌ، وما بلَغَ عبد حقيقَةَ الْإِيمانِ حتى يعلَم أَنَّ ما أَصابه لَم يكُن لِيخطِئَه، وما أَخطَأَه لَم يكُن لِيصِيبه». [أخرجه أحمد]

- وقَالَ عبادةُ بن الصامت لابنه: يا بني، إنك لَن تجد طَعم حقيقَة الإيمانِ حتى تعلَم أَنَّ ما أَصابكَ لَم يكُن ليخطئَك، وما أَخطَأَك لَم يكُن ليصيبك، سمعت رسولَ اللَّه ﷺ يقُولُ: «إنَّ أَولَ ما خلَق اللَّه الْقَلَم، فَقَالَ لَه: اكْتب قَالَ: رب وماذَا أَكْتب؟ قَالَ: اكْتب مقَادير كُلِّ شيءٍ حتى تقُوم الساعةُ» يا بني إِني سمعت رسولَ اللَّه ﷺ يقُولُ: «من مات علَى غَيرِ هذَا فَلَيس مني». [أخرجه أبو داود]

وأَنَّ النصر مع الصبرِ: أي ما أصاب العبد المؤمن من المصائب المؤلمة المكتوبة عليه إذا صبر عليها كان له في الصبر خير كثير.

- قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

- وفي قول النبي ﷺ إن النصر مع الصبر، يشمل النصر في الجهادين جهاد العدو الظاهر، وجهاد العدو الباطن، فمن صبر فيهما نصر وظفر بعدوه، ومن لم يصبر فيهما وجزع قُهر وصار أسيراً لعدوه أو قتيلاً له.

وأَنَّ الْفَرج مع الْكَرب: ويشهد لهذا قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

- وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

- وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وأَنَّ مع الْعسرِ يسراً: وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٧].

- وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

- كَتب أَبو عبيدةَ بن الْجراحِ، إِلَى عمر بنِ الْخطَّاب، يذْكُر لَه جموعاً مِن الرومِ، وما يتخوف مِنهم. فَكَتب إِلَيه عمر: أَما بعد، فَإِنه مهما ينزِلُ بِعبدٍ مؤمنٍ مِن منزلِ شِدةٍ، يجعلِ اللهُ لَه بعده فَرجاً. وإِنه لَن يغلِب عسر يسرين. وأَنَّ اللهَ يقُولُ فِي كِتابِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

[أخرجه مالك في الموطأ وغيره]

- ختم النبي ﷺ وصيته الذهبية لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بقوله:

رفِعتِ الأَقْلام وجفَّتِ الصحف: هو كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أبد بعيد، فإن الكتاب إذا فرغ من كتابته، ورفعت الأقلام عنه، وطال عهده، فقد جفت الصحف بما كتب عليها، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها.

● فإذا كان الأمر والتقدير لذا الوصف، فليس للإنسان فيما قدره الله له إلا الرضا والصبر والتسليم والتفويض والتوكل على الله ﷻ.

● اللهم ألهمنا ذلك، واجعل توجهنا إليك، وارزقنا الرضا بقدرك وقضائك، والصبر على بلائك، والشكر لنعمائك.

١٥ واجبك في محنتك

● نعيش اليوم في محنة شديدة لم يعرف مثلها في التاريخ، محنة أكلت الأخضر واليابس، كسرت الظهور ظهور عظامِ الناس، فأضعفتهم وأهلكتهم وشلت حركتهم، وأفسدت على الناس حيا م وأموالهم، فلم يبق مال ولا عمل ولا جاه ولا سرور، محنة نالت بشررها وشرورها الجميع، فما من إنسان إلا وقد أصيب فيها بما يرهقه من المصائب، محنة خربت البيوت، ومزقت الأنفس، وذهبت بالأموال، وفرقت بين الأحبة، وباعدت بين الأهل والأشقاء والأحباب، فما حالنا ونحن نعيش هذا الواقع الذي لا مهرب منه؟ هل يستسلم أحدنا لهذه المحنة، ويدع ا مال لليأس والقنوط في حياته، أو الجنون أو الضياع أو الهلاك؟

● المسلم الحق أمام كل هذه الآلام والمحن والأسقام والبلايا والمصائب، يقف على رجليه ثابتاً، ويقف أمام الموجات العاتية صامداً، ويجابه هذه الأعاصير كالجبل الأصم أو الحصن الحصين.

● يتحقق له ذلك بأن يقوم بأمور متعددة منها:

أولاً– تقوية إيمانه بالله ﷻ، واليقين أ ن جميع الأمور تجري ضمن مشيئة الله ﷻ، وتصريفها بيده وحده ﷻ، وأنه ﷻ يسمع ويرى، ولا تخفى عليه خافية، ولا يجري شيء في ملكه من دون علمه، وأنه ﷻ خلقنا في هذه الدار المؤقتة من أجل امتحاننا واختبارنا، وذلك بالبلايا والمحن وبالنعم والمنح وبرضا العبد عن الله ﷻ في أقداره أو سخطه وعدم رضاه، يتقرر مصيره يوم القيامة إلى جنة أو نار.

- قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

[العنكبوت: ٢-٣]

- مع يقين هذا المؤمن أن الله ﷻ هو **الحكم العدل**، وله قوانينه وسننه في هذا الكون، ومن قوانينه وسننه أنه بالمرصاد للظالم، وأنه المعين للمظلوم، ومنها أن بعد كل عسر يسراً، وبعد كل ضيق فرجاً، وبعد كل غم فرحاً.

ثانياً- ينبغي للمؤمن الحق ألا يصاب باليأس والقنوط أبداً مهما كانت المحنة كبيرة، والمصائب شديدة، وأن تكون نظرته نحو المستقبل ممتلئة بالأمل وبحياة أفضل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وروح الله هي فرجه ورحمته وفضله وحنانه ومنته.

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤٠].

ثالثاً- ينبغي للمؤمن الحق في هذه المحنة التي نعيشها أن يدع العجز والكسل والجبن والبخل، وأن يستعيذ الله من شرورهما كما كان النبي ﷺ يستعيذ: «اللَّهم إني أَعوذُ بك مِن العجزِ والكَسلِ، والجُبنِ والبخلِ والهَرمِ، وأَعوذُ بك مِن عذَابِ القَبرِ، وأَعوذُ بك مِن فتنةِ المَحْيا والمَماتِ».

[أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

– وهذا يتطلب من المؤمن أن يكون رجلاً حقاً ذا همة عالية، وطموح كبير، كما قال القائل:

فكن رجلاً رجلـ ـه في الثـ ـرى وهامـ ـة همَّتِـ ـهِ في الثريـ ـا

– فالثبات في المحن، وانتظار الفرج، والتفكير بالمستقبل الناصع، لا يكون إلا من رجال همتهم عالية، وأعمالهم عظيمة، وعزائمهم قوية، ونفوسهم أبية شامخة، لا يعرف الكسل والراحة إلى نفوسهم سبيلاً، فهم في عمل وكدح دائبين في كل مرحلة من مراحل حيا ـم.

– قال الشاعر:

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

تروم ا ـد ثم تنام ليلاً يغوص البحر من طلب اللآلي

– وكما قال آخر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

– وهناك مقولة عالمية قديمة تقول: (العظيم يبني النجاح من النجاح، والأكثر عظمة يبني النجاح من الحطام).

● إن تغيير الحال بالاعتماد على الله ليس من المحال، ولكن ينبغي أن ندرك أن نيل العز والشرف، وتحقيق الأماني والأمنيات الحلوة ليس أمراً سهل المنال، بل دونه شوك وعذاب، وكد وجهد وتعب وبذل للعرق.

– كما قال الشاعر أبو تمام:

لا تحسب ا ـد تمراً أنت آكله لن تبلغ ا ـد حتى تلعق الصبرا

– لذلك يقول المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨].

●أي إذا انتهيت وفرغت من واجب فلا تركن إلى الكسل أو الراحة أو العطل أو النوم بل اشرع في واجب آخر وانصب له واتعب فيه وأقبل عليه، ثم في كل أمورك فلتكن رغبتك رضاء الله ﷻ، والسعي إليه والاعتماد والتوكل عليه.

رابعاً– ينبغي للمؤمن الحق في هذه المحنة التي يعيشها ألا يدع أيامها تمضي هكذا دون برنامج ينظم أوقاته فيعود هذا البرنامج بالفائدة عليه وعلى أهله، ولا يستسلم للمحنة فيمضي يوماً وراء يوم، ينتظر تغير الأحوال ليدرك بعد ذلك أن أسبوعاً وراء أسبوع، وشهراً وراء شهر، وسنة بعد سنة تمر من حياته، وهو ينتظر التغيير، وينتظر تحقق ما يرغب فيه.

●المؤمن الحق وهو ينتظر فرج الله، لا يدع لحظة من حياته إلا ويغتنمها بما فيه صلاحه وصلاح أهله، ولا يجعل اللحظات تمضي سبهللاً دون فائدة لأن الوقت كما قيل من ذهب، كل يوم يمضي إنما هو يمضي من عمر الإنسان، واليوم الذي يمضي لا يعود ولا يعوض، وإن الإنسان الذي فقد بيته أو فقد عمله أو فقد أحداً من أهله لا يعوضه البكاء ولا النحيب والصياح وإنما يعوضه الاعتماد على الله ﷻ، والتوكل عليه، وحسن الظن به.

●وهذا يدعو الإنسان إلى أن لا يندب حظه، وينشغل بالحديث عما كان عليه قبل المحنة، وما كان يمتلك، ولا ينشغل بمومه وغمومه، أو بالجلوس إلى التلفاز لمعرفة آخر الأخبار من محطات تلفزيونية متعددة، متضاربة الأفكار، مشتتة الأهواء والرغبات، لكن المؤمن الحقيقي هو الذي يعيش واقعه المؤلم ولا يبكي، بل يحاول تغييره بالبحث عن عمل، أي عمل لإشغال وقته، والحصول على ما تيسر من أرزاق ربه، وبركة الله وفضله.

●فنبغي لكل مؤمن أن يضع برنامجاً يملأ حياته وحياة أهله، حتى لا يصاب بالملل والسقم والقنوت واليأس، ومن ثمَّ تنشأ الخلافات، وتعدد المشاكل بينه وبين زوجته وأهله وأولاده وأقاربه وجيرانه، فتكون النتيجة الهلاك أو الضياع أو الأمراض المزمنة أو الجنون لا سمح الله.

ضع برنامجاً يومياً تجمع فيه أسرتك، فتختم فيه ختمة من القرآن، وتصلي بهم جماعة، ثم تستغفرون الله ﷻ وتذكرونه وتسبحونه وتحمدونه كما أمر الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾.

[الأحزاب: ٤١-٤٢]

- والنبي ﷺ يقول في الحديث القدسي: «أَنا عند ظَن عبدي بي، وأَنا معه حين يذْكُرني، إِنْ ذَكَرني في نفْسه، ذَكَرته في نفْسي، وإِنْ ذَكَرني في ملا، ذَكَرته في ملا هم خير منهم، وإِنْ تقَرب مني شبراً، تقَربت إِليه ذراعاً، وإِنْ تقَرب إِلَي ذراعاً، تقَربت منه باعاً، وإِنْ أَتاني يمشي أَتيته هرولَةً».

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ]

- اللهم فاجعلنا ممن يتلقون امتحاناتك ومصائبك بالرضا والرضوان والصبر والسلوان والسعي إلى تغيير الحال بعونك ومددك مع انتظار فرجك والشكر على نعمائك.

●فينبغي لكل مؤمن حق الإيمان في هذا الزمان أن يكون على يقين بالله ﷻ أن ما كان لم يكن ألا يكون، فإ ا أقدار الله لا يمنعها مانع، ولكن هذه الأقدار يجب أن نتعامل معها بالإيمان أولاً، والرضا عنه ﷻ ثانياً، وبانتظار فرج الله ﷻ ثالثاً.

●أيها المؤمن اعلم أن ندمك على الماضي لا يفيد، واعلم أنه ليس

بقدرتك تغيير ما حدث، لكن بقدرتك أن تسعى إلى الأفضل في مستقبل أيامك لا تقل لو فعلت وفعلت، ولكن كرر في قلبك وفكرك قول النبي ﷺ: «احرِص علَى ما ينفَعك، واستعِن بالله ولا تعجز، وإنْ أَصابك شيءٌ، فَلا تقُلْ لَو أَني فَعلْت كَانَ كَذَا وكَذَا، ولَكِن قُلْ قَدر اللهِ وما شاءَ فَعلَ، فَإِنَّ لَو تفْتح عملَ الشيطَانِ». [أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

- وردد ورداً يومياً كرره مرات عدة قوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

[التوبة: ٥١]

- وقوله جل جلاله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١].

- وقوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

- وقوله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

● أيها المؤمن ردد في نفسك دائماً أن ما حدث لك إنما هو بعلم الله جل جلاله، وهو امتحان من الله لك ورفع لدرجاتك، ولا تخف من مستقبلك، ولا مستقبل أهلك ومما سيحدث إذا كنت مؤمناً بالله، متوكلاً عليه، متمسكاً بشرعه، وسنة نبيه، منتظراً فرجه ومعونته، وردد قول النبي ﷺ: «يا غُلام إني أُعلِّمك كَلِمات، احفَظِ اللَّه يحفَظْك، احفَظِ اللَّه تجِده تجاهك، إِذَا سأَلْت

فَاسأَلِ اللَّه، وإِذَا استعنت فَاستعِن بِاللَّه، واعلَم أَنَّ الأُمةَ لَوِ اجتمعت علَى أَنْ ينفَعوك بِشيءٍ لَم ينفَعوك إِلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه لَك، ولَوِ اجتمعوا علَى أَنْ يضروك بِشيءٍ لَم يضروك إِلا بِشيءٍ قَد كَتبه اللَّه علَيك، رفِعتِ الأَقْلام وجفَّتِ الصحف». [أخرجه الترمذي]

● في هذه المحنة التي نعيشها، والتي لم يعرف التاريخ مثلها، ينبغي للمؤمن العاقل أن يسعى إلى أمرين هامين، ويتمسك بهما، ويعمل من أجلهما:

– **الأمر الأول– حسن التصرف:** في كل ما يتعلق بشؤون حياته في هذه المحنة، وذلك حماية له ولمن يعيل، ونجاة وحفظاً للحياة بما فيها من مفاجآت مخيفة، وامتحانات شديدة، وينبغي له أن يسلك طريق النجاة التي دلنا النبي ﷺ عليها عندما تكون الفتن الشديدة التي لا يستطيع المؤمن فيها أن يرد الظلم أو أن يقدم الخير فيكثر القتل والظلم حتى لا يستطيع المسلم أن يفعل شيئاً أبداً وتحاصره الفتن من كل جانب، فلا يستطيع أن يدفع شيئاً منها، فينبغي له حينئذ أن يعمل بوصية النبي ﷺ التي وجهها للصحابة الكرام رضي الله عنهم بعد أن حدثهم عن شدة الفتن التي تصيب هذه الأمة، وما تؤول إليه حالهم معها، وما سفينة النجاة التي تنقذهم من هذه الفتن الشديدة.

– وجزى الله عنا الصحابي الجليل عقبة بن عامر رضي الله عنه الذي سأل النبي ﷺ ما النجاة يا رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ: «أَمسِك عَلَيك لِسانك، ولْيسعك بيتك، وابكِ علَى خطِيئَتِك». [أخرجه الترمذي]

– ووصية أخرى من النبي ﷺ في مثل هذه المواقف فقد روى أَبو أُمية الشعباني قَالَ أَتيت أَبا ثَعلَبَةَ الْخشنِي فَقُلْت لَه كَيف تصنع فِي هذِهِ الآية قَالَ أَيةُ آيةٍ قُلْت قَولُه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ قَالَ أَما واللَّهِ لَقَد سأَلْت عنها خبِيراً سأَلْت عنها رسولَ اللَّهِ ﷺ

فَقَالَ: «بلِ ائْتمِروا بِالْمعروفِ وتناهوا عنِ الْمنكَرِ حتى إِذَا رأَيت شحاً مطَاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثَرةً وإِعجاب كُلِّ ذي رأْيٍ برأْيِه فَعلَيك بِخاصة نفْسك ودعِ الْعوام فَإِنَّ مِن ورائِكُم أَياماً الصبر فِيهِن مِثْلُ الْقَبضِ علَى الْجمرِ لِلْعامِلِ فِيهِن مِثْلُ أَجرِ خمسِين رجلاً يعملُونَ مِثْلَ عملِكُم».

قَالَ عبد اللَّه بن الْمبارك وزادني غَير عتبةَ قِيلَ يا رسولَ اللَّه أَجر خمسِين رجلاً مِنا أَو مِنهم قَالَ: «لاَ بلْ أَجر خمسِين مِنكُم». [أخرجه الترمذي]

– **الأمر الثاني– تحمل المسؤولية:** ففي تشريعنا الإسلامي حديث عن تحمل المسؤولية، وقد جعلها على نوعين:

مسؤولية خاصة، ومسؤولية عامة.

– **أما المسؤولية الخاصة:** فكل راع مسؤول عن رعيته فيما يخصه ويتولى أمره، بين ذلك النبي ﷺ: «كُلُّكُم راعٍ ومسؤولٌ عن رعِيتِه، فَالإِمام راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعِيتِه، والرجلُ فِي أَهلِه راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعِيتِه، والمَرأَةُ فِي بيتِ زوجِها راعِيةٌ وهِي مسؤولَةٌ عن رعِيتِها، والخَادِم فِي مالِ سيدِه راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعِيتِه».

[أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما]

– **وأما المسؤولية العامة:** فيجب على كل مؤمن أن يتولى جميع المؤمنين بالحب والرعاية والعطف والحنان والمساعدة والإخاء والإحسان إليهم والإحساس م وبآلامهم والوقوف إلى جانبهم وقت الشدة والمحنة، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١].

- ووضح النبي ﷺ هذه العلاقة في أحاديث كثيرة منها قوله:

«لاَ يؤمِن أَحدكُم، حتى يحِب لأَخِيهِ ما يحِب لِنفْسِهِ».

[أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه]

أي: أخيه المؤمن.

- وقوله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤمِن لِلْمؤمِنِ كَالْبنيانِ يشد بعضه بعضاً» وشبك أَصابِعه. [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

- وقوله ﷺ: «مثَلُ الْمؤمِنِين فِي توادهِم، وتراحمِهِم، وتعاطُفِهِم مثَلُ الْجسدِ إِذَا اشتكَى مِنه عضو تداعى لَه سائِر الْجسدِ بِالسهرِ والْحمى».

[أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه]

● كذلك تحدثت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة عن هذه المسؤولية العامة، وخاصة عند المصائب والبلايا والفتن العامة، فواجب على كل مسلم عندها أن ينهض في تحمل هذه المسؤولية تجاه الآخرين.

- بين ذلك سبحانه وتعالى فقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

● فواجب كل مسلم تجاه هذه المسؤولية العامة في مثل هذه المواقف أن يتعاون مع المسلمين من حوله على تقديم كل ما باستطاعته ليرفع العناء عمن حوله، وليس فقط بإخراج الزكاة والتطوع بالصدقات، فالزكاة فرض، والصدقة سنة، ولكن من خلال الإيثار على النفس.

- قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

[الحشر: ٩]

- والإيثار فوق الزكاة والصدقة لأنه يعني أن تساعد من حولك بما تملك، ولو كنت فقيراً محتاجاً إليه، وقد تحمل هذه المسؤولية العامة الأنصار في المدينة عندما هاجر إليهم إخوانهم من مكة مطرودين، قد تركوا بيوتهم وأموالهم، فآثرهم الأنصار فيما يملكون، فناصفوهم أموالهم وديارهم وتجارتهم وأعمالهم، وهذا بالطبع ليس بزكاة ولا صدقات.

- وأشار الله إلى هذه المعاني بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩].

-وقوله ﷻ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤-١٦].

والمسغبة: هي الحاجة والجاعة.

- قال ابن عباس: ذا متربة هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له، ولا شيء يقيه من التراب، وهو الذي لصق بالدقعاء (الأرض) من الفقر والحاجة ليس له شيء.

- والله ﷻ يقول في الحديث القدسي: «يا ابن آدم مرضت فلَم تعدني، قَالَ: يا رب كَيف أَعودك؟ وأَنت رب الْعالَمين، قَالَ: أَما علمت أَنَّ عبدي فُلاناً مرض فَلَم تعده، أَما علمت أَنك لَو عدته لَوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطْعمتك فَلَم تطْعمني، قَالَ: يا رب وكَيف أُطْعمك؟ وأَنت رب الْعالَمين، قَالَ: أَما علمت أَنه استطْعمك عبدي فُلانٌ، فَلَم تطْعمه؟ أَما علمت أَنك لَو أَطْعمته لَوجدت ذَلك عندي، يا ابن آدم استسقَيتك، فَلَم تسقني، قَالَ: يا رب كَيف أَسقيك؟ وأَنت رب الْعالَمين، قَالَ: استسقَاك عبدي فُلانٌ فَلَم تسقه، أَما إِنك لَو سقَيته وجدت ذَلك عندي». [أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

● وكم من حديث نبوي شريف يشير إلى أهمية هذه المسؤولية العامة ومنها:

– قوله ﷺ: «من نفَّس عن مؤمنٍ كُربةً من كُربِ الدنيا، نفَّس اللهُ عنه كُربةً من كُربِ يومِ الْقيامة، ومن يسر علَى معسرٍ، يسر اللهُ علَيه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ الْعبدِ ما كَانَ الْعبد في عونِ أَخيه». [أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

– وقوله ﷺ: «أَيما مسلمٍ كَسا مسلماً ثَوباً علَى عري، كَساه اللَّه من خضرِ الْجنة، وأَيما مسلمٍ أَطْعم مسلماً علَى جوعٍ، أَطْعمه اللَّه من ثمارِ الْجنة، وأَيما مسلمٍ سقَى مسلماً علَى ظَمإٍ، سقَاه اللَّه من الرحيقِ الْمختومِ».

[أخرجه أبو داود عن أبي سعيد رضي الله عنه وهو حديث ضعيف]

● واعلم أخي المسلم أن من فضل الله عليك أن يختارك لمساعدة الآخرين، وعليك أن تفرح أن استخلفك الله وسخرك لأن تكون ممن يبذل من فضل الله عليه مما أعطاه لعباده، وأن جعل حاجة الناس عندك، و لم يجعل حاجتك عند الناس، فإياك إياك أن تضجر أو تتأفف أو تمل مما اختارك الله له، وردد دائماً أحاديث النبي ﷺ التي وردت في هذا الموضوع.

– فقد روى ابن عمر، قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ لِلَّه عز وجل خلْقاً خلَقَهم لِحوائجِ الناسِ يفْزع الناس إِلَيهِم في حوائِجِهِم أُولَئك الآمنونَ من عذَابِ اللَّه». [أخرجه الطبراني]

– وقال رسول الله ﷺ: «ما عظمت نعمة الله على عبد إلا عظمت مؤونة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤونة فقد عرض تلك النعمة للزوال».

[أخرجه البيهقي وأبو يعلى والعسكري عن معاذ بن جبل، قال المناوي وهو ضعيف]

- وقال رسول الله ﷺ: «إن لله أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم».

[أخرجه ابن أبى الدنيا في قضاء الحوائج، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية، والخطيب، وابن النجار عن ابن عمر رضي الله عنهما]

- وقال رسول الله ﷺ: «ما من عبد أنعم الله عليه بنعمة فأسبغها ثم جعل إليه شيئاً من حوائج الناس فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال».

[أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه]

وقال الفضيل بن عياض: (إذا علمتم أن حاجة الناس إليكم نعمة من الله عليكم، فاحذروا أن تملوا النعم فتصير نقماً). [كشف الخفاء]

● والحديث في موضوع المسؤولية العامة، يعني مسؤولية كل مسلم تجاه إخوانه، وما يجب عليه وخاصة في هذه الظروف التي نعيشها، وهناك أمثلة كثيرة في هذا الموضوع نجدها في القدوة المثلى سيدنا محمد ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

● تعالوا نستعرض أحد هؤلاء القدوات، وهو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

● في سنة ثماني عشرة للهجرة حصل في المدينة المنورة والحجاز قحط عظيم دام تسعة أشهر، فسميت هذه السنة (عام الرمادة) لأن الريح كانت تسفي تراباً كالرماد، حتى صارت الأرض سوداء، وقد هلكت فيه الناس والأموال.

- والرمادة في اللغة: الهلكة، واشتد الجوع في ذلك العام حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها، وليس عنده شيء.

فماذا فعل أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أمام هذه المحنة والبلاء، وهو المسؤول عن هذه الأمة ومصيرها؟

- كتب عمر إلى عماله في سائر الأمصار يستعينهم ويستغيثهم لحال أهل المدينة ومن حولها، فكتب إلى عمرو بن العاص (والي مصر).

- روى ابن عمر أَنَّ عمر بن الْخطَّاب كَتب إِلَى عمرِو بنِ الْعاصِ عام الرمادةِ: بِسمِ اللَّه الرحمنِ الرحِيمِ من عبدِ اللَّه عمر أَمِيرِ الْمؤمِنِين إلى العاصي ابن العاصي، سلام علَيك، أَما بعد أَفَترانِي هالِكاً ومن قِبلِي وتعِيش أَنت ومن قِبلَك؟ فَيا غَوثَاه. ثَلاثاً، قَالَ فَكَتب إِلَيه عمرو بن الْعاصِ: بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد اللَّه الَّذِي لا إِلَه إِلا هو. أَما بعد أَتاك الْغوثُ فَلَبثْ لَبثْ. لأَبعثَن إِلَيك بِعِيرٍ أَولُها عِندك وآخِرها عِندِي. فبعث في البر بألف بعير تحمل الدقيق، وبعث في البحر بعشرين سفينة تحمل الدقيق والدهن، وبعث إليه بخمسة آلاف كساء. [موارد الظمآن لدروس الزمان، عبد العزيز السلمان]

فلما بعث عمرو ذلك، دعا عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح، فخرج في أربعة آلاف راحلة عليها الطعام وقال له: اخرج في أول هذه العير، فاستقبل ا نجداً، واحمل إليّ أهل كل بيت قدرت أن تحملهم إليّ، ومن لم تستطع حمله فأمر لكل أهل بيت ببعير بما عليه، ومرهم فليلبسوا كساءين، ولينحروا البعير، ويطبخوا ويأكلوا حتى يأتيهم الله برزقه، فو الله لَعلَّك أَلا تكُونَ أَصبت بعد صحبتِك رسولَ اللَّه ﷺ شيئاً أَفْضلَ منه، فلما رجع أبو عبيدة إلى عمر بعث إليه عمر بألف دينار مقابل عمله، فقال أبو عبيدة: إني لم أعمل لك يا ابن الخطاب إنما عملت لله، ولست آخذاً في ذلك شيئاً.

- كذلك كتب سيدنا عمر إلى سعد بن أبي وقاص (والي العراق)، كما

كتب إلى عمرو بن العاص، فبعث سعد بثلاثة آلاف بعير تحمل الدقيق، وثلاثة آلاف عباءة، ثم أرسل أيضاً ألفي بعير تحمل الدقيق.

– وقد جاء في طبقات ابن سعد عن ابن عمر قَالَ: كَانَ عمر بن الْخطَّاب أَحدثَ فِي زمان الرمادة أَمراً ما كَانَ يفْعلُه. لَقَد كَانَ يصلِّي بالناسِ الْعشاءَ ثم يخرج حتى يدخلُ بيته فَلا يزالُ يصلِّي حتى يكُونَ آخر الليل، ثُم يخرج فَيأْتِي الأَنقَاب فَيطُوف علَيها وإِني لأَسمعه لَيلَةً فِي السحرِ وهو يقُولُ: اللَّهم لا تجعلْ هلاك أُمة محمدٍ علَى يدي.

– وكان يدعو أيضاً: اللهم لا لمكني بالسنين وارفع عنا البلاء وكان يردد هذه الكلمات مراراً.

– قال أبو هريرة ﷺ: رأيت عمر يوم الرمادة، وقد طرح رداءه، ثم نزل يطبخ طعاماً، ويطعم الناس أينما وجدوا.

– عن مالك بنِ أَوسٍ قَالَ: لَما كَانَ عام الرمادة قَدم علَى عمر قَومي مائَةُ بيت فَنزلُوا بِالْجبانة (المقبرة، البقيع). فَكَانَ عمر يطْعم الناس من جاءَه. ومن لَم يأْت أَرسلَ إِلَيه بِالدقيقِ والتمرِ والأُدمِ (اللحم) إِلَى منزِله. فَكَانَ يرسِلُ إِلَى قَومي بِما يصلِحهم شهراً بِشهرٍ. وكَانَ يتعاهد مرضاهم وأَكْفَانَ من مات منهم. لَقَد رأَيت الْموت وقَع فِيهِم حين أَكَلُوا الثُّفْلَ (الطعام الرديء الذي لا يأكل عادة). وكَانَ عمر يأْتِي بِنفْسِه فَيصلِّي علَيهِم. لَقَد رأَيته صلَّى علَى عشرةٍ جميعاً. فَلَما أَحيوا (مطروا وأخصبوا) قَالَ: اخرجوا من الْقَريةِ إِلَى ما كُنتم اعتدتم من الْبريةِ. فَجعلَ عمر يحمِلُ الضعِيف منهم حتى لَحِقُوا بِبِلادِهِم.

– عن عِياضِ بنِ خلِيفَةَ قَالَ: رأَيت عمر عام الرمادةِ وهو أَسود اللَّونِ.

ولَقَد كَانَ أَبيض. فَنقُولُ: مِم ذَا؟ فَيقُولُ: كَانَ رجلا عربياً وكَانَ يأْكُلُ السمن واللَّبن فَلَما أَمحلَ الناس حرمها حتى يحيوا (يمطروا ويخصبوا) فأكل بالزيت فغير لونه وجاع أكثر.

– وعن زيدِ بنِ أَسلَم عن أَبِيهِ أَنَّ عمر بن الْخطَّابِ حرم علَى نفْسِهِ اللَّحم عام الرمادةِ حتى يأْكُلَه الناس.

– وعن حزامِ بنِ هِشامٍ عن أَبِيهِ قَالَ: رأَيت عمر بن الْخطَّابِ عام الرمادةِ مر علَى امرأَةٍ وهِي تعصد عصيدةً (ماء مع دقيق من غير لحم) لَها فَقَالَ: لَيس هكَذَا تعصِدين. ثُم أَخذَ الْمسوطَ (ما يخلط به كالملعقة) فَقَالَ: هكَذَا. فَأَراها.

– وعن هشام بن خالدٍ قَالَ: سمعت عمر بن الْخطَّاب يقُولُ: لا تذَرنَّ إِحداكُن الدقِيق حتى يسخن الْماءُ ثُم تذُره قَلِيلا قَلِيلاً وتسوطُه بِمسوطِها فَإِنه أَربع لَه وأَحرى أَنْ لا يتقَرد (يتجمع ويركب بعضه بعضاً).

– أخر عمر بن الخطاب الصدقة عام الرمادة، فلم يبعث السعاة، فلما كان قابل أي السنة التالية، ورفع الله ذلك الجدب، أمرهم أن يخرجوا لجمع الصدقات، وذلك رأفة بالرعية ورحمة بهم.

اللهم ألهمنا أن نطبق شرعك كما جاء في القرآن الكريم وفي سنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وارض عن الصحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان.

– عن سلَيمانَ بنِ يسارٍ قَالَ: خطَب عمر بن الْخطَّابِ الناس فِي زمانِ الرمادة فقال: أيها الناس اتقوا الله في أنفسكم، وفيما غاب عن الناس من أمركم، فَقَدِ ابتلِيت بِكُم وابتلِيتم بِي فَما أَدرِي أَلسخطَةُ علَي دونكُم أَو

علَيكُم دونِي أَو قَد عمتنِي وعمتكُم.

فَهلُموا فَلْندع اللَّه يصلِح قُلُوبنا وأَنْ يرحمنا وأَنْ يرفَع عنا الْمحلَ، قَالَ فَرئِي عمر يومئِذٍ رافِعاً يديهِ يدعو اللَّه، ودعا الناس وبكَى وبكَى الناس ملِياً. ثُم نزلَ.

– وعن أسلم قال سمِعت عمر يقُولُ: أَيها الناس إِني أَخشى أَنْ تكُونَ سخطَةٌ عمتنا جمِيعاً، فَأَعتِبوا ربكُم (اطلبوا من الله أن يرضى عنكم) وانزعوا (اتركوا غفلتكم وبعدكم عن الله ﷻ) وتوبوا إِلَيهِ وأَحدِثُوا خيراً.

– وعن عبدِ اللَّهِ بنِ ساعِدةَ قَالَ: رأَيت عمر إِذَا صلَّى الْمغرِب نادى: أَيها الناس استغفِروا ربكُم ثُم توبوا إِلَيهِ وسلُوه مِن فَضلِهِ واستسقُوا سقْيا رحمةٍ لا سقْيا عذَابٍ. فَلَم يزلْ كَذَلِك حتى فَرج اللَّه ذَلِك.

– وعن عبدِ اللَّهِ بنِ نِيارٍ الأَسلَمِي عن أَبِيهِ قَالَ: لَما أَجمع عمر علَى أَنْ يستسقِي ويخرج بِالناسِ كَتب إِلَى عمالِهِ أَنْ يخرجوا يوم كَذَا وكَذَا وأَنْ يتضرعوا إِلَى ربهِم ويطْلُبوا إِلَيهِ أَنْ يرفَع هذَا الْمحلَ عنهم. قال: -وأخرج لذلك اليوم برد رسولِ اللَّهِ ﷺ- حتى انتهى إِلَى الْمصلَّى فَخطَب الناس وتضرع. وجعلَ الناس يلِحونَ فَما كَانَ أَكْثَر دعائِهِ إِلا الاستِغفَار حتى إِذَا قَرب أَنْ ينصرِف رفَع يديهِ مداً وحولَ رِداءَه وجعلَ الْيمِين علَى الْيسارِ ثُم الْيسار علَى الْيمِينِ. ثُم مد يديهِ وجعلَ يلِح فِي الدعاءِ. وبكَى عمر بكاء طويلاً حتى أخضل.

●هكذا كان أجدادنا الأوائل، وهذا هو تاريخنا المشرق في تحمل المسؤولية العامة، مسؤولية الأمة عندما تشتد عليها المحنة، وتصب عليها الفتن، ويصاب الناس بالفقر والمحن والجوع والعطش والسقام والوجع وفقد الأهل

والبيت والمال والعمل.

فما موقف بعضنا من البعض ونحن -اليوم- في هذه المعاناة الشديدة؟

وهل نكتفي بدفع الزكاة والصدقات لهؤلاء المحتاجين؟

أم نسعى إلى الإيثار ولو كان بنا خصاصة؟ نشارك الأقارب والأهل والجيران والمحتاجين طعامنا وشرابنا وأموالنا، ونقدم لهم كل مساعدة نستطيعها، لعل الله ﷻ إن رأى تعاوننا هذا أن يفرج عنا ما أهمنا وأغمنا عاجلاً غير آجل، ويبدلنا خيراً مما كنا فيه.

اللهم اجعلنا كذلك، واجعلنا أهلاً لتحمل هذه المسؤولية، وفرج عنا ما أهمنا وأغمنا، إنك سميع قريب، مجيب للدعاء، أنت أهل ا د والحمد، فلك الحمد دائماً وأبداً على كل حال.

١٧ من قرأ التاريخ ليس كمن يعايشه

المؤمن الحق العالم بأمور دينه والملازم للعلماء والصالحين يعلم علم اليقين أن هذه الدنيا هي دار بلاء واختبار، مستمداً علمه من قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢].

● وهذا البلاء في الدنيا يتقرر مصير الإنسان في الآخرة، إما إلى نعيم الجنة أو عذاب النار، كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

وقد وضح الله ﷻ أن هذا البلاء له أنواع متعددة تصيب الإنسان، فقال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

[البقرة: ١٥٥-١٥٧]

● إنّ المؤمن يعلم علم اليقين أن هذا الامتحان والبلاء الذي يجري عليه إنما هو بتقدير الله ﷻ ومشيئته، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

- وهو على يقين أن ما يصيبه مقدر مكتوب كما قال ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

ومعنى من قبل أن نبرأها أي من قبل أن نخلقها.

● والمؤمن دائماً يردد عند المصائب التي تصيبه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

● والمؤمن الحق على يقين أن الله ﷻ يفعل ما يشاء في عباده، فهو الخالق لا يسأل عما يفعل م، وهم مسؤولون عما يفعلون، كما قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

● وينبغي للمؤمن أن يعلم يقيناً أن لله ﷻ في امتحانه حكماً بالغة تخفى عليه فلا يعترض على حكمه وقضائه بل يرضى ويستسلم ويفوض ويتوكل عليه ويصبر على امتحانه وبلائه.

وينبغي أن يعلم يقينياً أن من قرأ التاريخ ليس كمن عاينه؟

● من يقرأ التاريخ تستوقفه فتن وحوادث وامتحانات ومصائب وبلايا، لا تعد ولا تحصى، أمرها شديد، ووقعها كبير ونتائجها تزلزل الجبال، يمر القارئ عليها ويتأثر ا، لكن تأثره ا لا يعد شيئاً يذكر إلى جانب تأثر من عاش تلك الأحداث وعانى أهوالها.

- ولا شك أن من ابتلي بالفتن والمصائب والشدائد الجسام يجد وقعها في نفسه عظيماً، لا كمن يقرأ عنها على أ ا تاريخ مضى وانقضى.

● وفي معاناة الإنسان لما يحدث له في هذه الدنيا ينكشف مدى فهمه

للحياة والدين، ومدى قدرته على التصرف الصحيح وقت الشدة، ومدى ارتباطه بالله ﷻ وإدراكه لمشيئته وحكمته، ومدى رضاه وتفويضه وتوكله.

والكثير من الناس يقبل على الله ﷻ ويحبه، ويؤدي ما عليه من فرائض بقدر إمداد الله له وإعطائه ما يرغب فيه، وبقدر ما يتفضل عليه من العطايا والمنن، ولكن حقيقة هذا الإنسان وضعف إيمانه وصلته بربه لا تظهر إلا عند امتحان الله ﷻ له، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾.

[الفجر: ١٥-١٦]

● عند قراءتنا للتاريخ الإسلامي نمر على ما ألم بالنبي ﷺ وصحبه من بلاء وامتحانات وشدة نالتهم من قريش، وبأمر النبي ﷺ الصحابة بالتحمل والصبر وتبيانه لهم أن الحياة إنما هي شدة وبلاء، وهناك مثال واضح لأحد هذه المواقف التي يبين تربية النبي ﷺ لأصحابه، وكيف نبههم إلى واقع هذه الحياة الدنيا.

- فعن خباب قال أَتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردةً، وهو فِي ظِلِّ الكَعبةِ وقَد لَقِينا مِن المُشركين شدةً، فَقُلْت: يا رسولَ اللَّه، أَلاَ تدعو اللَّه، فَقَعد وهو محمر وجهه، فَقَالَ: «لَقَد كَانَ من قَبلَكُم لَيمشطُ بِمِشاطِ الحَدِيد، ما دونَ عِظَامه مِن لَحمٍ أَو عصبٍ، ما يصرِفُه ذَلك عن دينِه، ويوضع المِنشار عَلَى مفْرِقِ رأْسِهِ، فَيشق بِاثْنين ما يصرِفُه ذَلك عن دينِه، ولَيتمن اللَّه هذَا الأَمر حتى يسير الراكِب مِن صنعاءَ إِلَى حضرموت، ما يخاف إِلا اللَّه».

[أخرجه البخاري]

في هذا الحديث إشارات متعددة:

أولها– أن المؤمن مبتلى وممتحن، –وخاصة من أعداء دينه وشياطينهم– بأشد البلاء والمحن من أجل أن يترك دينه.

ثانيها– ينبغي للمؤمن أن يصبر على كل هذه البلايا بكل أنواعها وشد ا، ويتمسك بدينه ولا يتأثر بأي مؤثر مهما قوي يدعوه لأن يترك دينه.

ثالثها– ينبغي للمؤمن أن يعلم أن هذا البلاء الشديد والصبر عليه لابد أن يعقبه الأمان والاستقرار، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الضيق.

– نعم المؤمن الحق يعلم أن هذه الدنيا دار اختبار فلابد من الامتحانات الكثيرة فيها، وليست دار راحة واستقرار.

فمن قال: إن الدنيا ليس فيها إلا السرور والحبور؟

ومن قال: إن المؤمن بإيمانه ستسعى إليه الدنيا بكل ما يشتهيه، ويتجنبه البلاء والمصائب.

● البلاء لابد منه لكل إنسان في هذه الدنيا، فالمؤمن يصبر ويرضى ويسلم ويفوض، والفاسق والمنافق والكافر يضجر ويصخب ولا يرضى عن الله ﷻ، بل يزداد فسوقاً ونفاقاً وكفراً، ولن يصرف ذلك عنه المصائب، بل يزداد عذاباً في الدنيا والآخرة.

● **يمر في هذه الدنيا على الإنسان حالان:**

حال فيه سرور وسعادة وتحقيق للآمال، وحال فيه مصيبة وحزن وفقد وخيبة في الآمال.

● المؤمن في حال المنح شاكر، وفي حالة المحن صابر، بين ذلك النبي ﷺ

بقوله: «عجباً لأمرِ الْمؤمنِ، إنَّ أَمره كُلَّه خير، ولَيس ذَاك لأَحد إلا للْمؤمنِ، إنْ أَصابته سراءُ شكَر، فَكَانَ خيراً لَه، وإنْ أَصابته ضراءُ، صبر فَكَانَ خيراً لَه».

[أخرجه مسلم عن صهيب ﵁]

●أما ضعيف الإيمان فإنه عند المحن الشديدة يغضب ولا يرضى بقدر الله ﷻ وفعله وتقديره، وقد يكفر بالله ويلحد لأن الأمور لم تجرِ كما يحب ويشاء، وهذا ما يظهر على كثير من الناس في هذا الزمان وهم يعانون الامتحانات الشديدة في هذه الفتنة التي نعيشها، فهم يريدون أن تكون الأمور كما يشاؤون لا كما يشاء الله ﷻ، ومع ذلك فهم في تصرفهم ذلك فقدوا الله ﷻ وفقدوا كل شيء بفقده، ولو أ م صبروا ورضوا بما أراده الله ﷻ، لأذهب الله عنهم ما لاقوه وعوضهم أفضل مما فقدوه، وحقق لهم أكثر مما تمنوه، فكسبوا الله ﷻ، وكسبوا كل ما أرادوه، وذلك جزاء الصبر على امتحانات الله ﷻ وأمره، فإن سنة الله ﷻ في خلقه أن اليسر آتٍ حتماً بعد العسر، وأن بعد كل ضيق فرجاً ومخرجاً.

●المؤمن يقرأ في القرآن الكريم سورة البروج وفيها قصة أصحاب الأخدود أولئك المؤمنين الذين أراد الكفار أن يفتنوهم عن دينهم فثبتوا على إيما م، فأحرقوا في النار و لم يتراجعوا عن دين ر م، أليس في ذلك عبرة لنا أن المؤمن قد يصاب في دينه ويفتتن، فينبغي له ألا يتراجع عن دينه وإن امتحن أشد الامتحانات ولا يقول في نفسه أليس الله موجوداً؟ أليس الله يعلم؟

أليس الله على كل شيء قدير؟ لماذا لا ينقذني الله؟

ولماذا يمتحنني الله ذا الامتحان الشديد؟

●المؤمن الحق لا يجري على لسانه، ولا يسمح أن يخطر ذلك في خاطره،

لأنه يعلم علم اليقين أنه في دار امتحان وبلاء، فيرضى عن أي بلاء يبتليه الله ﷻ، لأنه يعلم أن في شدة البلاء عظيم رضا الله وعطائه وجزائه، وأن الله ﷻ يفعل ما يشاء، وله في فعله وتقديره حكم لا يعلمها إلا هو ﷻ، والمسلم يستسلم لها ويرضى ويفوض ويسلم ويتوكل على الله ﷻ، منتظراً فرجه وتأييده.

● وعودة إلى سيرة النبي ﷺ وصحبه، وما كان فيها من امتحانات كثيرة، وبلايا عظيمة، وكيف ظهر صبرهم ورضاهم وتحملهم لتلك البلايا والمحن، وما كانت نتائج صبرهم ورضاهم في الدنيا، فضلاً عن عظيم منازلهم في الآخرة التي لا يعلم كنهها إلا الله ﷻ.

● من هذه المواقف ما حدث للقائد العظيم، وفاتح بلاد الشام، والداعية إلى الله ﷻ، والمبلغ رسالته، فقد جرى عليه امتحان الله ﷻ وعلى صحبه، فأودى بحياته وحياة الكثيرين منهم، حين امتحنه الله وصحبه بمرض الطاعون فقد ذكرت كتب التاريخ أن مرض الطاعون وقع بالشام بأرض يقال لها عمواس من بلاد فلسطين، فمات بشر كثير من المسلمين ممن كان مع أبي عبيدة بن الجراح من أمراء الأجناد وغيرهم، قال: ونزل بأبي عبيدة ما نزل بغيره، فلما حضرته الوفاة بعث إلى وجوه المسلمين فدعاهم، فلما دخلوا عليه وجلسوا إليه أقبل عليهم بوجهه فقال: أيها الناس! إني موصيكم بوصية فاقبلوها فإنكم لم تزالوا بخير ما بقيتم متمسكين ـا وبعد موتكم، أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا وتصدقوا وحجوا وتواضعوا وتباذلوا وتواصوا وانصحوا أمراءكم ولا تغرنكم الدنيا فإنّ أحدكم لو عمر ألف سنة ما كان له بد من أن يصير إلى مثل مصيري هذا الذي ترون، لأن الله عز وجلّ قد كتب الموت على بني آدم فهم متوفون، وأكيسهم أطوعهم لربه وأعملهم ليوم معاده.

قال: ثم التفت أبو عبيدة إلى معاذ بن جبل فقال: أبا عبد الرحمن! صلّ

بالناس رحمك الله! فقد استخلفتك عليهم من بعدي. قال: ثم توفي أبو عبيدة رحمة الله عليه بالأردن من أرض الشام، و ـا قبره. [الفتوح ابن أعثم]

● وهل يغيب عنا ما مر في تاريخنا من حروب على الإسلام، وكم لاقى المسلمون من أعدائهم من شدائد وامتحانات، فقد مات القريب، وفقد الحبيب، وذهب المال والولد، وكل ما يملكون، وما قرأناه عن الحروب الصليبية وعن هجمات المغول والتتر وغيرها من الحروب يكاد لا يصدق.

● وكذلك عندما يقرأ الإنسان تاريخ الأمم وما مرت به من بلايا ومحن كالحرب العالمية الأولى والثانية وما جرى من امتحانات الله لهم بالأعاصير والبراكين والزلازل يعلم أن الامتحان والابتلاء مستمر، ويعلم أن الدنيا يوم لك ويوم عليك، فإن رضيت وصبرت كانت لك العاقبة الحسنى خير وبركة وسعادة وظفرت، بما ترغب فيه وتتمناه، وإن سخطت فعليك السخط وغضب الله ﷻ فلم تنل خيراً في امتحانك و لم تر خيراً في عقب أمرك.

● ولعل إنساناً يقول: هذه بعض دول الشرق والغرب الملحدة والكافرة والماجنة والفاسقة والبعيدة عن الله ﷻ تنعم بحياة رغيدة سعيدة هانئة ليس فيها بلاء ولا امتحان، أقول له:

ربما هي الآن تعيش كما ذكرت ولكن إن راجعت تاريخها السابق علمت ما مر عليها من شدة وبلاء، ولو أتيح لك البقاء لعلمت ما يخفيه لها مستقبل الأيام من امتحان وبلاء.

السرور لا يدوم، والحزن لا يدوم، والبلاء واقع، فمن رضي فله الرضا من الله، وفرج قريب وحياة سعيدة في الدارين، ومن سخط فعليه سخط الله في الدنيا والآخرة.

اللهم اجعلنا ممن يرضون عنك، ولا تجعلنا من الساخطين وأمدنا بمددك يا رب العالمين.

● لعلنا نتساءل فنقول ماذا يجب علينا فعله، ونحن نعيش هذا الواقع المرير؟

● على المؤمن دائماً أن يلجأ إلى الله عند البلاء بالإكثار من الاستغفار:

– فعن عبدِ اللَّه بنِ عباسٍ رضي الله عنهما قَالَ، قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «من أَكْثَر من الاستغفَارِ جعلَ اللَّه لَه من كُلِّ هم فَرجاً ومن كُلِّ ضيقٍ مخرجاً ورزقَه من حيثُ لا يحتسِب». [أخرجه أحمد]

● جاء أعرابي إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقال: إني ممتحن، فعلمني شيئاً أنتفع به، فقال: يا أعرابي إن للمحن أوقاتاً، ولها غايات، فاجتهاد العبد في محنته، قبل إزالة الله تعالى إياها، زيادة فيها، يقول الله ﷻ: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

ولكن، استعن بالله، واصبر، وأكثر من الاستغفار، فإن الله ﷻ وعد الصابرين خيراً، وقال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾.

[نوح: ١٠-١٢]

– فانصرف الرجل، فقال أمير المؤمنين رضي الله عنه:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

[الفرج بعد الشدة للتنوخي]

● لاشك أن كل واحد منكم يعلم أنه ما دام في هذه الحياة، فهو في امتحان، فهذه الدنيا دار امتحان وبلاء واختبار أعلمنا الله ﷻ بذلك فقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢].

● وذلك ليقرر الإنسان مصيره في الآخرة إلى نعيم الجنة أم إلى عذاب النار، ولقد أعلمنا الله ﷻ أنّ هذا الامتحان مستمر في جميع العصور والأزمان، فقال ﷻ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

[العنكبوت: ٢-٣]

ولقد بين الله ﷻ في قرآنه عدداً من أنواع البلايا والمصائب، فقال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

● فبين الله ﷻ أنه سيبلو عباده ويمتحنهم بشيء من الخوف، خوف من العدو، وخوف من الفقر، وخوف من الضعف، وخوف من المرض، وخوف مما يؤذي، وخوف من المستقبل المنتظر، وبشيء من الجوع المتسبب من القحط أو الفقر، وتعذر تحصيل القوت، أو قلة المال لشراء الطعام، أو عدم وجود الطعام أصلاً لسبب ما.

– وبشيء من نقص الأموال بالضياع أو الهلاك أو الفقر أو الخسارة أو الحرمان أو السرقة أو النهب.

– وبشيء من نقص الأنفس من مرض أو موت.

– وبشيء من نقص الثمرات بسبب الحروب أو الجوائح أو تلف الزرع أو الجدب.

المؤمن الحق لا يغفل عن شكر الله ﷻ بخاصة عندما يكرمه الله ﷻ بالنعم، وأنعم الله ﷻ كثيرة لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

● هذا وشكر الله على ما أنعم واجب، لكن أكثر الناس يغفلون عن هذا الشكر، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

● والمؤمن الحق هو الذي يصبر عند البلاء وامتحان الله ﷻ له، وإن كان الصبر صعباً مسالكه، وقَلَّ من يتحقق به، وخاصة إذا كانت المصيبة كبيرة.

● واليوم نعاني من مصائب موجعة كثيرة قوضت البيوت، وأماكن العمل، وأهلكت المال، بل تعدت ذلك إلى كثرة موت الأحباب أو فقدا م، و لم يبق لكثير من الناس إلا الفقر والجوع والفاقة وضيق العيش والحاجة إلى الآخرين، فلا بيت يؤويهم، ولا مال يسد أقل حاجا م.

● ومع هذا الامتحان الشديد كاد كثير من الناس أن يفقد دينه، وتذهب ثقته بربه، وما ذلك إلا من ضعف الإيمان، وعدم الصبر على البلاء، مع أن النبي ﷺ بين لنا حالة المؤمن الصادق، فقال ﷺ: «عجباً لأمرِ الْمؤمنِ، إنَّ أَمره

كُلَّه خير، ولَيس ذَاك لأحد إلا لِلْمؤمنِ، إنْ أَصابته سراءُ شكَر، فَكَانَ خيراً لَه، وإنْ أَصابته ضراءُ، صبر فَكَانَ خيراً لَه». [أخرجه مسلم عن صهيب]

● لاشك أن ما نعانيه اليوم شديد جداً، لم يعرف التاريخ مثله، كاد يذهب بالعقل والدين، فقد ضاقت الصدور، وقست القلوب، وأصبح الناس حيارى، لا يعرفون ماذا يفعلون، وأصبح الكثير منا يتمنى الموت لعله يستريح مما يعانيه غافلاً عن التفكير بمن حوله من الأهل والأولاد والأقارب.

● ومع شدة ما نعانيه، وقد انكشفت سرائرنا، وظهر وبان، ضعف إيماننا، وقلة تحملنا وصبرنا على أنواع البلاء المتعددة التي أصابتنا كما أصابت غيرنا ممن قبلنا، ولكن هناك أمثلة كثيرة تدلنا على قوة إيمان من قبلنا، وعظيم صبرهم وتحملهم للبلايا والمصائب، مع رضاهم الكامل عما أراده الله ﷻ لهم، يستقبلون كل تلك المصائب بالابتسامة والرضا والصبر وانتظار الفرج، تعالوا نقارن حالنا بحال صاحبي قصتين في تاريخنا ا يد.

القصة الأولى قصة عروة بن الزبير وهو مدني تابعي:

– عن هِشامِ بنِ عروةَ: أَنَّ أَباه خرج إِلَى الوليدِ بنِ عبدِ المَلكِ، حتى إِذَا كَانَ بِوادي القُرى، وجد فِي رِجلِه شيئاً، فَظَهرت بِه قَرحةٌ، ثُم ترقَّى بِه الوجع، وقَدِم علَى الوليدِ وهو فِي محملٍ، فَقَالَ: يا أَبا عبدِ اللهِ، اقْطَعها.

قَالَ: دونك، فَدعا لَه الطَّبِيب، وقَالَ: اشرب المُرقِد.

فَلَم يفْعلْ، فَقَطَعها مِن نِصفِ الساقِ، فَما زاد أَنْ يقُولَ: حس حس (من التألم)، فَقَالَ الوليد: ما رأَيت شيخاً قَطُّ أَصبر مِن هذَا.

وأُصِيب عروةُ بِابنِه محمدٍ فِي ذَلِك السفَرِ، ركَضته بغلَةٌ فِي اصطَبلٍ،

فَلَم يسمع منه فِي ذَلك كَلِمةً، فَلَما كَانَ بِوادِي القُرى، قَالَ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].

اللَّهم كَانَ لِي بنونَ سبعةٌ، فَأَخذْت واحداً أَبقَيت لِي ستةً، وكَانَ لِي أَطْراف أَربعةٌ، فَأَخذْت طَرفاً وأَبقَيت ثَلاَثَةً، ولَئِن ابتلَيت لَقَد عافَيت، ولَئِن أَخذْت لَقَد أَبقَيت. [صفة الصفوة]

- فكان الوليد يبحث عن مصيبة يخفف ا من مصيبة عروة، فإذا بجماعة من قبيلة بني عبس فيهم رجل ضرير يزورون الخليفة فَسأَلَه عن عينيه، فَقَالَ لَه: بت لَيلَةً فِي بطْنِ وادٍ ولا أَعلَم فِي الأرضِ عبسياً يزِيد مالُه علَى مالِي، فَطَرقَنا سيلٌ فَذَهب ما كَانَ لِي مِن أَهلٍ وولَدٍ ومالٍ، غَير صبِي مولُودٍ وبعِيرٍ، وكَانَ الْبعِير صعباً فَند، فَوضعت الصبِي واتبعت الْبعِير فَلَم أُجاوزه حتى سمِعت صيحةَ الصبِي، فَرجعت إِلَيه ورأْس الصبي فِي فم الذِّئْبِ يأْكُلُه، واستدبرت الْبعِير لأَحبسه فَنفَحني برِجله فَأَصاب وجهِي فَحطَمه، وذَهبت عيناي، فَأَصبحت لا أَهلَ ولا مالَ ولا ولَد، فَقَالَ الْوليد: انطَلقُوا بِهِ إِلَى عروةَ فَيخبِره خبره، لِيعلَم أَنَّ فِي الناسِ من هو أَعظَم مِنه بلاءً.

[الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان: ابن أبي الدنيا]

القصة الثانية في هذا الموضوع، فهي قصة تابعي جليل كان تلميذاً لابن عباس رضي الله عنهما، يسمى أبا قلابة، وقد كان جبلاً من جبال الصبر.

- عن عبد الله بن محمد قال: خرجت إِلَى ساحِلِ الْبحرِ مرابِطاً وكَانَ رابِطُنا يومئِذٍ عرِيش مِصر قَالَ فَلَما انتهيت إِلَى الساحِلِ فَإِذَا أَنا بِبطِيحةٍ وفِي الْبطِيحةِ خيمةٌ فِيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه وثقل سمعه وبصره وما لَه من جارِحة تنفَعه إِلا لِسانه وهو يقُولُ اللَّهم أَوزِعنِي أَن أَحمدك حمدا أُكافِئ بِهِ

شكْر نعمتك الَّتي أَنعمت بها علَي وفَضلْتني على كَثيرٍ ممن خلَقْت تفْضيلا قَالَ الأَوزاعي قَالَ عبد اللَّه قُلْت واللَّه لآتين هذَا الرجلَ ولأَسأَلَنه أَنى لَه هذَا الْكَلام فَهم أم علْم أم إِلْهام أُلْهم فَأَتيت الرجلَ فَسلَّمت علَيه فَقُلْت سمعتك وأَنت تقُولُ اللَّهم أَوزعني أَنْ أحمدك حمدا أكافئ بِه شكْر نعمتك الَّتي أَنعمت بِها علَي وفَضلْتني على كَثيرٍ ممن خلَقْت تفْضيلا فَأَي نعمة من نعمِ اللَّه علَيك تحمده علَيها وأَي فَضيلَة تفَضلَ بها علَيك تشكُره علَيها قَالَ وما ترى ما صنع ربي واللَّه لَو أَرسلَ السماءَ علَي ناراً فَأَحرقَتني وأَمر الْجبالَ فَدمرتني وأَمر الْبحار فَغرقَتني وأَمر الأَرض فَبلَعتني ما ازددت لربي إِلا شكْراً لما أَنعم علَي من لساني هذَا ولَكن يا عبد اللَّه إِذْ أَتيتني لي إِلَيك حاجةٌ قَد تراني على أَي حالَة أَنا أَنا لَست أَقْدر لنفْسي على ضر ولا نفْعٍ ولَقَد كَانَ معي بني لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضيني ممن يمشي في حاجة مثْلك فَمضيت في طَلَب الْغلام فَما مضيت غَير بعيدٍ حتى صرت بين كُثْبان من الرملِ فَإِذَا أَنا بِالْغلامِ قَد افْترسه سبع وأَكَلَ لَحمه فَاسترجعت وقُلْت أَنى لي وجه رقيق آتي بِه الرجلَ فَبينما أَنا مقْبلٌ نحوه إِذْ خطَر على قَلْبي ذكْر أَيوب النبي ﷺ فَلَما أَتيته سلَّمت علَيه فَرد علَي السلام فَقَالَ أَلَست بصاحبي قُلْت بلَى قَالَ ما فَعلْت في حاجتي فَقُلْت أَنت أَكْرم على اللَّه أَم أَيوب النبي قَالَ بلْ أَيوب النبي قُلْت هلْ علمت ما صنع بِه ربه أَلَيس قَد ابتلاه بماله وآله وولَده قَالَ بلَى قُلْت فَكَيف وجده قَالَ وجده صابراً شاكراً حامداً قُلْت لَم يرض منه ذَلك حتى أَوحش من أَقْربائه وأَحبائه قَالَ نعم قُلْت فَكَيف وجده ربه قَالَ وجده صابراً شاكراً حامداً قُلْت فَلَم يرض منه بِذَلك حتى صيره عرضاً لمار الطَّريقِ هلْ علمت قَالَ نعم قُلْت فَكَيف وجده ربه قَالَ صابراً شاكراً حامداً أَوجز رحمك اللَّه قُلْت لَه إِنَّ الْغلام الَّذي أَرسلْتني في طَلَبِه

وجدته بين كُثْبان الرملِ وقَد افْترسه سبع فَأَكَلَ لَحمه فَأَعظَم اللَّه لَك الأَجر وأَلْهمك الصبر فَقَالَ الْمبتلَى الْحمد للَّه الَّذي لَم يخلُق من ذُريتي خلْقاً يعصيه فَيعذِّبه بالنارِ ثُم استرجع وشهق شهقَةً فَمات فَقُلْت إنا للَّه وإنا إلَيه راجعونَ عظُمت مصيبتي رجلٌ مثْلُ هذَا إنْ تركْته أَكَلَته السباع وإنْ قَعدت لَم أَقْدر على ضر ولا نفْعٍ فَسجيته بشملَة كَانت علَيه وقَعدت عند رأْسه باكياً فَبينما أَنا قَاعد إذْ تهجم علَي أَربعةُ رجال فَقَالُوا يا عبد اللَّه ما حالُك وما قصتك فَقَصصت علَيهم قصتي وقصته فَقَالُوا لي اكْشف لَنا عن وجهه فَعسى أَنْ نعرفَه فَكَشفْت عن وجهه فَانكَب الْقَوم علَيه يقَبلُونَ عينيه مرةً ويديه أُخرى ويقُولُونَ بأَبي عين طَالَ ما غَضت عن محارمِ اللَّه وبأَبي وجسمه طَالَ ما كُنت ساجداً والناس نيام فَقُلْت من هذَا يرحمكُم اللَّه فَقَالُوا هذَا أَبو قلابةَ الْجرمي صاحب ابن عباسٍ لَقَد كَانَ شديد الْحب للَّه وللنبي ﷺ فَغسلْناه وكَفَّناه بأَثْواب كَانت معنا وصلَّينا علَيه ودفَناه فَانصرف الْقَوم وانصرفْت إلَى رباطي فَلَما أَنْ جن علَي اللَّيلُ وضعت رأْسي فَرأَيته فيما يرى النائم في روضة من رياضِ الْجنة وعلَيه حلَّتان من حلَلِ الْجنة وهو يتلُو الْوحي سلام علَيكُم بما صبرتم فَنعم عقْبى الدار فَقُلْت أَلَست بصاحبي قَالَ بلَى قُلْت أَنى لَك هذَا قَالَ إنَّ للَّه درجات لا تنالُ إلا بالصبرِ عند الْبلاءِ والشكْرِ عند الرخاءِ مع خشيةِ اللَّه عز وجلَّ في السر والْعلانية. [الثقات لابن حبان]

● البلاء في هذه الدنيا هو امتحان من الله يصيب كل إنسان، فمن رضي عن الله ﷻ فله الرضا، وله عوض في الدنيا والآخرة، وله إعانة من الله وعطاء ومنحة يتفضل الله ا عليه ويعوضه خيراً مما فقد، ومن سخط ولم يرض بقضاء الله ﷻ فله السخط وعليه الغضب من الله، قد خسر الدنيا والآخرة، ولن يعوضه الله عما فقد إلا زيادة حسرة وندامة وبلاء.

١٩ غربة الدين

- قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

يخرصون: أي يتبعون الظنون الفاسدة.

●ورد عن النبي ﷺ ثلاثة أحاديث تتحدث عن غربة المسلمين وتبين صفا ـم و أحوالهم ومآلهم:

أما الحديث الأول: عن يوسف بنِ سلَيمانَ أَنه سمِع النبِي ﷺ يقُولُ: «بدأَ الإِسلاَم غَرِيباً ثُم يعود غَرِيباً كَما بدأَ فَطُوبى لِلْغرباءِ». قِيلَ يا رسولَ اللَّهِ ومنِ الْغرباءُ قَالَ: «الَّذِين يصلِحونَ إِذَا فَسد الناس». [أخرجه أحمد]

- **وأما الحديث الثاني:** فقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ ذات يوم و نحن عنده: «طُوبى لِلْغرباءِ طُوبى لِلْغرباءِ طُوبى لِلْغرباءِ». فَقِيلَ منِ الْغرباءُ يا رسولَ اللَّهِ قَالَ: «ناس صالِحونَ فِي ناسِ سوءٍ كَثِيرٍ من يعصِيهِم أَكْثَر مِمن يطِيعهم». [أخرجه أحمد]

- **وأما الحديث الثالث:** عن عبدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الإِسلاَم بدأَ غَرِيباً وسيعود غَرِيباً فَطُوبى لِلْغرباءِ». قَالَ قِيلَ ومنِ الْغرباءُ قَالَ: «النزاع مِن الْقَبائِلِ». [أخرجه ابن ماجه]

قال البيهقي: (التراع: جمع نزيع ونازع، وهو الغريب الذي نزع من أهله و عشيرته) أي تركهم وهجرهم.

●من المؤسف أن كثيراً من الأحاديث المتعلقة بآخر الزمان أو ما يسمى

أحاديث الفتن وأشراط الساعة يفهمها الناس فهماً يوحي باليأس من كل عمل للإصلاح والتغيير.

●ولا يتصور أن يدعو الرسول ﷺ الأمة لليأس والقنوط، ويترك الفساد يستشري في الناس والمنكرات تنخر في عظام ا تمع دون أن يبادر المؤمن بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ساعياً لأن يقوم المعوج ويصلح ما فسد.

● والنبي ﷺ يأمر بالعمل لعمارة الأرض إلى أن تلفظ الحياة آخر أنفاسها، كما يتضح ذلك من حديثه الشريف: «إِنْ قَامتِ الساعةُ وبِيدِ أَحدِكُم فَسِيلَةٌ فَإِنِ استطَاع أَنْ لاَ يقُوم حتى يغرِسها فَلْيفْعلْ».

[أخرجه أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

– ومعنى هذا أن المؤمن مأمور أن يعمل الخير ويبذله دائماً، وإن لم يأكل من ثمر هذا الغرس ولا أحد من بعده ما دامت الساعة قد قامت أو توشك أن تقوم، فإذا كان هذا مطلوباً في أمر الدنيا فأمر الدين أعظم وأجل، ولابد من العمل لأجله إلى آخر رمق في هذه الحياة.

ومعنى كلمة (غريباً) في هذه الأحاديث: من الغربة، لا من الغرابة.

– بدليل أخر الحديث، فطوبى للغرباء فالغرباء هنا جمع غريب، والمراد به المتصف بالغربة لا بالغرابة، وهذا هو المعنى المفهوم من كلمة غريب في أكثر من حديث مثل قوله ﷺ: «كُن فِي الدنيا كَأَنك غَرِيب، أَو عابِر سبِيلٍ».

[أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما]

●ومن الأحاديث التي تتحدث عن صفة هؤلاء الغرباء ما روي عن عمر ابن الْخطَّابِ، أنه خرج إِلَى مسجِدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هو بِمعاذِ بن جبلٍ

يبكي عند قبر رسول الله ﷺ فقال: ما يبكيك يا معاذُ؟ قال: يبكيني شيءٌ سمعته من صاحب هذا القبر، قال: وما هو؟ قال: سمعته يقولُ: «إنَّ يسيراً من الرياء شرك، ومن عادى أولياءَ الله فقد بادأ الله بالمحاربة، إنَّ الله عز وجلَّ يحب الأخفياءَ الأتقياءَ الَّذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجونَ من كلِّ غبراءَ مظلمة (أي فتنة عمياء مظلمة)». [أخرجه الطبراني]

– فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون، ولقلتهم جداً سموا الغرباء، لأن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، والمتمسكون بسنة النبي ﷺ بين مدعي الإسلام غرباء.

● والأحاديث التي تتحدث عن الغرباء توصي بالثناء على الغرباء، وتؤكد في الغربة مفهوم الإيجاب، وتنفي عنها مدلول السلبية، وتستدعي في تعظيم الغرباء إلى النوعية لا إلى الكمية سواء أوصفوا صراحة بالقلة بين كثيرين، أم بزيادة الفضل والتقى والصلاح بسبب وعيهم الروحي والفكري والنفسي والاجتماعي والكوني، بينما يتناقص الناس من حولهم في معاني الخير، عندما يعيشون على كثر م وعلى ترفهم المادي، ورقيهم الحضاري في دوامة الفراغ والضياع والفساد، وهذا ما أكده النبي ﷺ في سؤاله عن الغرباء: «ناس صالحونَ في ناسِ سوءٍ كثيرٍ من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم».

[أخرجه أحمد]

● **والغرباء القلة ظهورهم في عصرين:**

الأول في فجر الدعوة على عهد الرسول ﷺ إذ لم يستجب له يومئذ إلا

قليل من المستضعفين الذين اضطروا إلى الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة فراراً بدينهم فآواهم الأنصار كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

والثاني في المستقبل عندما يظهر الفساد، كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. [الروم: ٤١]

● المسلم الغريب يغترب عن دنيا الظلم والجور والكذب والزيف والنفاق، لكنه لا يغترب عن نفسه ولا عن الله ﷻ، فهو لا يعطي ذاته لأحد غير بارئه، ولا يجود بها لأحد إلا لخالقه العظيم منطلقاً في أداء رسالته على أكمل وجه، منمياً معاني الحياة، مجملاً ما في الوجود، مكتشفاً في هذا الكون الكبير كل مجهول.

● من دراسة أحاديث الغربة نجد أن النبي ﷺ يشير إلى أن الإسلام بدأ غريباً و سوف يأتي زمان على المسلمين يعود الإسلام إلى غربته.

● والغرباء كما بين النبي ﷺ هم المؤمنون الحقيقيون القلّة بين الناس، لهم صفات و عادات و أخلاق مختلفة يختلفون بها عمن حولهم، فلذلك كانوا غرباء عنهم.

● فقد كان الإسلام في أول ظهوره غريباً، وكان من أسلم، واستجاب لله ورسوله غريباً بين أهله وقبيلته وعشيرته، وكان المستجيبون لدعوة الإسلام نزاعين من القبائل، وهم الذي تركوا أهلهم وبلادهم وتغربوا ودخلوا في

الإسلام والتحقوا بالنبي العدنان ﷺ يتعلمون دينهم فكانوا هم الغرباء حقاً، وقد تحملوا في غربتهم هذه المشقة والتعب والهجران والنصب والحرمان والضرب والقتل وسرقت أموالهم فما زحزحهم ذلك ولا أثر فيهم وثبتوا على الحق حتى ظهر الإسلام وانتشرت دعوته، ودخل الناس فيه أفواجاً وعلت راية الإسلام خفاقة فزالت تلك الغربة عنهم و ما زال الإسلام ينتشر بين الناس في مختلف البلاد إلى أن تكالبت عليه الأعداء من كل صوب فأخذ في الاغتراب والضعف حتى عاد غريباً كما بدأ.

– بل إن الإسلام في هذه الأيام هو في غربة أشد مما كان عليها حين بدأ النبي ﷺ وأصحابه بالدعوة إليه.

● الإسلام الحقيقي غريب جداً، و أهله غرباء بين الناس سابقاً وحاضراً.

● تشير أحاديث غربة الإسلام إلى عدة أمور أذكر منها ما يلي:

أولاً: بدأ الدين الإسلامي غريباً بين الناس وسيعود غريباً في آخر الزمان كما كانت بدايته أي بدأت تعاليم الدين غريبة على عقول الناس وسيعود غريباً مرة ثانية بين الناس بغربة أشد وربما كانت غربة المسلم بين أهله و مع أفراد أسره.

ثانياً: عند استفسار الصحابة النبي ﷺ عن صفات هؤلاء الغرباء بقولهم: من الغرباء يا رسول الله؟ أجا ـم: (ناس صالحون قليل من ناس كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم) كما أجا ـم بقوله أيضاً: الذين يصلحون إذا فسد الناس ثم بين أ ـم أناس يصطفيهم الله ويختارهم من أهليهم وقبائلهم حيث قال التراع من القبائل.

● إذاً الغرباء قلّة صالحون في كثير من العصاة يتمسكون بإيما ـم

وصلاحهم ولو فسد الناس من حولهم يتعارفون ويحب بعضهم بعضاً ويتعاونون لا تجمعهم صلة قرابة و لا صلة نسب و إنما تجمعهم الغربة التي توحد قلو م على حب الله و رسوله و التمسك بالقرآن و السنة في زمان يبتعد فيه الناس عن الدين و تنتشر المفاسد و المعاصي و يسهل على الناس ارتكاب المعاصي وامتلاك المال بالحرام.

ثالثاً: أشارت الأحاديث إلى مكانتهم وثوا م يقول النبي ﷺ فطوبى للغرباء أي هنيئاً لهم ما هم عليه فهم في سعادة لا يبلغها غيرهم، و هم أهل الله وخاصته وأحبابه وأولياؤه وهم أهل التوفيق في الدنيا والآخرة، أهل الرضى والرضوان، وأهل المغفرة و الجنان -وطوبى الغرباء مكان في الجنة- مكان لا يبلغه أحد غيرهم فيه مالا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

● هؤلاء الغرباء هم بلا شك الذين تمسكوا بالدين و الأخلاق عند فساد الزمان وكثرة المعاصي.

● هم الذين اعتصموا بالهدى عند شيوع الضلال وحافظوا على عقيد م و عقيدة أبنائهم ومن يعولون من الزيغ و الشك والانحراف في زمن كثرت فيه الضلالة والشرك والبعد عن دين الله.

● إ م أولئك الذين أمروا بالمعروف، و وا عن المنكر، ودعوا إلى الله ودينه القويم.

● إ م أولئك الذين لديهم قدر كاف من الوعي والإيمان الحقيقي الذي يحول بينهم وبين مقارفة الحرام، وفعل الآثام، والسير خلف سراب الحياة الزائفة.

- هؤلاء هم الذين عناهم النبي ﷺ في قوله: «لاَ تزالُ طَائِفَةٌ مِن أُمتِي

ظَاهِرِين علَى الْحق لاَ يضرهم من خذَلَهم حتى يأْتِي أَمر اللَّهِ وهم كَذَلِك».
[أخرجه مسلم عن ثوبان ﷺ]

● فهم بالحق قائمون، وبشرع الله متمسكون، وإلى الإسلام داعون، لا يتأثرون بمن حولهم بل استقاموا على الحق، وإليه يدعون، وإن خالفهم الناس الذين أنسوا بالباطل ورغبوا في الدنيا، ورفضوا الحق، واتبعوا الهوى.

● لا يلقون السمع إلى من يقول لهم قد فشا الفساد وعم فاعملوا كما يعمل الآخرون، ولا تكونوا من المتشددين بل عنهم يعرضون، ولأقوالهم التي تنم عن فسقهم ونفاقهم يزدرون، لأ م بتوجيهات النبي ﷺ متمسكون، فقد روى حذيفة، وابن مسعود ﷺ قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يكُن أحدكُم إِمعة، يقول: أنا مع الناس، إِن أحسن الناس أحسنت. وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسِنوا، وإن أساؤوا أن لا تظلِموا».
[جامع الأصول]

● هؤلاء الغرباء أمرهم جلل، وصبرهم جلد يتحملون الكثير بثبا م على الحق واستقامتهم على الشرع والدعوة إلى دين الله والصبر على أذى الآخرين و فيهم سأل التابعون الصحابة عن آية فسرها النبي ﷺ تفسيراً وضح فيه أحوال هؤلاء الغرباء قد بين النبي ﷺ حالهم عندما سئل عن زمان هؤلاء الغرباء:

– فقد أخبر أبو أمية الشعباني، قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني، فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] فقال: أما والله سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه،

فعليك نفسك ودع أمر العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون بمثل عمله» قال: وأخبرني غيره، قالوا: يا رسول الله، أجر خمسين منهم، قال: «أجر خمسين منكم». [أخرجه البيهقي في شعبه]

- ومفهوم الحديث أن أجر أحدهم كأجر خمسين من الصحابة ﷺ، وليس معنى ذلك أن المسلم الغريب يفضل الصحابة ﷺ، إنما يضاعف له الأجر، وتبقى المكانة العالية للصحابة ﷺ، وهذا الأجر إنما لغربته بين الناس وتمسكه بالسنة والناس في ظلمات أهوائهم.

● نعم المؤمن الحق في هذا الزمان أصبح غريباً بل في أشد غربة غريباً في أسرته غريباً بين أهله غريباً في حيه غريباً في مكان عمله غريباً في وظيفته غريباً في مجتمعه.

● نعم تغير الزمان وأحواله وتغير معه الناس في أخلاقهم وعادا م وسلوكهم، أصبح الناس كلهم ينظرون إلى المؤمن الصادق على أنه غريب فيستهزئون به ويضحكون منه ويستغربون من تصرفاته.

- إن تمسكت بدينك فأنت غريب!
- وإن صليت فأنت غريب!
- وإن غضضت بصرك فأنت غريب!
- وإن ابتعدت عن الحرام فأنت غريب!
- وإن امتنعت عن الرشوة فأنت غريب!
- وإن لم تتعامل بالربا فأنت غريب!
- والمرأة إن تمسكت بدينها فهي غريبة!

- وإن ارتدت حجا ا الشرعي فهي غريبة!

- وإن امتنعت عن الاختلاط بالرجال فهي غريبة!

●نعم ولكن المؤمن الحق يعتز بغربته هذه ويتمسك ا ولا يتأثر بالآخرين أبداً ويصبر على أذاهم وسخريتهم وما يقولون.

- المسلم الحق دائماً يردد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

[الجاثية: ١٨-١٩]

- اللهم اجعلنا من هؤلاء الغرباء من هؤلاء المتقين الذين تتولاهم الذي قلت فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

●مهما بلغ الحال من البعد عن الله فإن المؤمن الصادق الغريب متمسك بدينه معتز بربه مفتخر بنبيه ﷺ لا يهمه ما يقوله الناس عنه، همه رضاء ربه صابر على أمره حتى يلقى ربه.

- وفي ذلك يقول الحسن: (الْمؤمِن فِي الدنيا كَالْغرِيبِ لا ينافس فِي عِزها، ولا يجزع مِن ذُلِّها، لِلناسِ حالٌ ولَه حالٌ، وجهوا هذِهِ الْفُضولَ حيثُ وجهها اللَّه ﷻ). [الزهد: ابن أبي الدنيا]

- سأَلَ محمود أَبا سلَيمانَ: ما أَقْرب ما يتقَرب بهِ إِلَى اللَّه ﷻ فَبكَى أَبو سلَيمانَ ثُم قَالَ: مثلي يسأل عن هذا! أقرب ما يتقَرب بهِ إِلَيهِ أَنْ يطَّلع علَى قَلْبِك وأَنت لا ترِيد مِن الدنيا والآخرِةِ إلا هو. [التبصرة: ابن الجوزي]

- وقَالَ ابن مسعود لأَصحابه: (كُونوا ينابِيع الْعلْمِ مصابِيح اللَّيلِ أَحلاس الْبيوتِ، جدد الْقُلُوبِ خلْقَانَ الثِّيابِ، تعرفُونَ فِي أَهلِ السماءِ وتخفُونَ علَى أَهلِ الأَرضِ). [التبصرة: ابن الجوزي]

خلق الله ﷻ الخلق ليمتحنهم في هذه الدنيا، وترك لهم حرية الاختيار، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

● ليكون اختيارهم محدداً لمصيرهم في الآخرة في نعيم الجنة أو في عذاب النار ومع هذا الاختيار فإن الله يحب لعباده أن يختاروا طريق الإيمان قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

ومع ذلك فإن الله ﷻ يسهل لعباده طريق الاختيار ويمهد لهم طريق الهداية عن طريق إرسال الأنبياء والمرسلين ومن بعدهم يقوم بمهمتهم العلماء ورثة الأنبياء والدعاة والمربون ليبينوا للناس الطريق المستقيم الذي يؤدي للفلاح في الدنيا والآخرة، ويؤكد لهم سبحانه أنه من اتبع هداه فإنه لن يضل ولن يشقى ولن يخاف من المستقبل ولن يحزن لما أصابه في حياته، قال سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

- وقال ﷻ: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[البقرة: ٣٨]

المؤمن يدعو ربه في كل ركعة من صلوات الفرائض أو النوافل وهو يقرأ سورة الفاتحة أن يهديه إلى هذا الصراط المستقيم الذي هو صراط الذين أنعم الله عليهم فيقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

[الفاتحة: ٦-٧]

- ومن هم الذين أنعم الله عليهم؟ لقد ذكرهم ﷻ في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

- إنه دعاء متكرر في كل ركعة من صلاة الفريضة والنافلة:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ هي طلب العبد المؤمن من الله ﷻ أن يهديه إلى صراط الله المستقيم وهو التمسك بتعاليم القرآن الكريم والاقتداء بسنة النبي ﷺ والتمسك بشريعة الله ﷻ في العبادات والمعاملات والآداب والأخلاق والالتزام ا والاستقامة عليها، ومن جملة معاني التمسك والالتزام والاستقامة الابتعاد عن عادات وتقاليد غير المسلمين المخالفة لهذا الطريق المستقيم والشريعة الغراء بين ذلك ﷻ بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

- ويقول ﷻ لنبيه ﷺ ولكل مؤمن: ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾.

[الزخرف: ٤٣-٤٤]

- ويأمرنا سبحانه بمثل ما أمر نبيه ﷺ فيقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

- فهذه العادات والتقاليد التي جارى فيها المسلمون غير المسلمين فيها بعد عن تعاليم الإسلام فيها خلل وفساد ولا نفع فيها، بين ذلك ﷻ في قوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

- وقال ﷻ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾. [إبراهيم: ١٨]

● ومع أن الله ﷻ حذر المؤمنين من اتباع سبل الكفرة الذين يتبعون سبل الشياطين في آيات كثيرة: كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

● فقضاؤه نافذ بما أخبر به رسوله ﷺ بما سبق في علمه تعالى حيث قال ﷺ: «لَتتبعن سنن الَّذين من قَبلكُم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ حتى لَو دخلُوا في جحرِ ضب لاَتبعتموهم». قُلْنا يا رسولَ اللَّه آلْيهود والنصارى. قَالَ: «فَمن». [أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه]

● أليس من العجب أن ننبهر ونفتتن بما عند الآخرين من تقاليد وعادات ومفاسد تخالف تعاليم ديننا وقيمه، ونسعى إلى تقليدهم فيها بحجة التقدم والازدهار والحضارة، وبحجة تغير الزمان والمكان، وبحجة أن ما صلح لأجدادنا لا يصلح لنا.

● حجج شيطانية يروج لها أعداء الإسلام ويتبناها ضعاف الإيمان والمنافقون والجهلة، والله ﷻ يقول: ﴿ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ﴾ [البقرة: ٦١].

- وقد قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بِقَومٍ فَهو منهم».

[أخرجه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما]

●ومن هذه التقاليد التي يتبعها هؤلاء اتباع الشيطان ما نراه اليوم من ملابس للشبان والنساء التي تنافي الحشمة والحياء والأخلاق وتظهر المفاتن وتثير الغرائز والشهوات، واتباع الهوى والمضلات، هؤلاء الذين لعنوا على لسان النبي ﷺ.

فعنِ ابنِ عباسٍ: أنّ النبِي ﷺ لَعن الْمتشبهاتِ مِن النساءِ بِالرجالِ والْمتشبهِين مِن الرجالِ بِالنساءِ. [أخرجه أبو داود]

- قال رسول الله ﷺ: «صِنفَانِ مِن أَهلِ النارِ لَم أَرهما قَوم معهم سِياطٌ كَأَذْنابِ الْبقَرِ يضرِبونَ بِها الناس ونِساءٌ كَاسِيات عارِيات مميلاَت مائلاَت رؤوسهن كَأَسنِمةِ الْبختِ الْمائلَةِ لاَ يدخلْن الْجنةَ ولاَ يجِدنَ رِيحها وإِنَّ رِيحها لَيوجد مِن مسِيرةِ كَذَا وكَذَا». [أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

- وفي أمثال هؤلاء يقول الله عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢].

- وهل يدري هؤلاء ما معنى اللعن من الله، أي أ م مطرودون من رحمة الله في الدنيا والآخرة فلن يتولاهم الله بتأييده وتوفيقه ورحمته، ولن يستجيب دعاءهم ولن يحفظهم من مصائب الدنيا وأهوالها.

●ومن هذه التقاليد أن يتزين الشبان بالذهب وأن يتحلوا بالسلاسل، وأن يطيل النساء أظافرهن، وأن يخرجن بكامل زينتهن مع ما يفوح منهم من العطور الفاتنة.

- قال رسول الله ﷺ: «أَيما امرأَةٍ استعطَرت فَمرت علَى قَومٍ لِيجِدوا مِن رِيحِها فَهِي زانِيةٌ». [أخرجه النسائي عن غُنيمِ بنِ قَيسٍ عنِ الأَشعرِي]

●هذا وإن النبي ﷺ لم يسمح للمرأة المسلمة أن تتعطر وإن كانت ذاهبة للمسجد ودروس العلم: «أَيما امرأَةٍ خرجت مِن بيتِها متطَيبةً ترِيد الْمسجِد لَم يقْبلِ اللَّه ﷻ لَها صلاَةً حتى ترجِع فَتغتسِلَ مِنه غُسلَها مِن الْجنابةِ».
[أخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه]

●ومن المستغرب أن نرتدي الملابس المستوردة أو الملابس المصنوعة في بلادنا التي هي في طرازها تقليد للأجانب ولا ننتبه للكتابات المكتوبة عليها بلغات أجنبية، ولا نلقي بالاً لمعاني هذه الكلمات، فهي غالباً كلمات بذيئة أو شريرة أو بعيدة عن الدين والأخلاق والسلوك الحسن.

●ومن المظاهر الملاحظة في التقليد ما يجري على لساننا من كلمات أجنبية نتداولها وننسى الكلمات الإسلامية التي هي أعظم تعبيراً وأرفع معنى وألصق بإيماننا وحضارتنا.

- نقول عندما يأتينا هاتف (ألو)، أليس من الأفضل أن نقول السلام عليكم.

- ونقول لأطفالنا عند وداعهم (بي باي) أليس من الأفضل أن نقول: مع السلامة، وهي تحمل دعاء وسلاماً وأمناً.... إلى غير ذلك من الكلمات التي نتداولها متخلين عن تعاليم ديننا وآدابه.

●ديننا لا يحرم علينا أن نستورد من غير المسلمين أحدث ما وصلوا إليه من مخترعات وآلات وتكنولوجيا حديثة في مجالات الحياة المتعددة، وديننا لا يحرم علينا التعامل معهم في مجالات التجارة بالاستيراد والتصدير، ولا يحرم

علينا تبادل المنافع المفيدة، إنما يحرم ديننا التشبه ـم بما هو من خصائصهم وعادا ـم وتقاليدهم من زنى وشرب للخمور ومفاسد للأخلاق التي مؤداها البعد عن الدين وارتكاب المحرمات والوقوع في المعاصي والشهوات ومن ثمَّ العقوبة في الدنيا والآخرة والشقاء فيهما.

– فعن حذَيفَةَ قَالَ، قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «لاَ تكُونوا إِمعةً تقُولُونَ إِنْ أَحسن الناس أَحسنا وإِنْ ظَلَموا ظَلَمنا ولَكِن وطِّنوا أَنفُسكُم إِنْ أَحسن الناس أَنْ تحسِنوا وإِنْ أَساؤوا فَلاَ تظْلِموا». [أخرجه الترمذي]

●ومع ما في تقليد غير المسلمين من مفاسد فإن هناك مؤمنين صادقين في كل زمان ومكان يصرون على التمسك بدينهم وتعاليم نبيهم المصطفى ﷺ لا يتأثرون بأي مؤثر يبعدهم عن دينهم مهما ظهر وفشا ومهما عم وانتشر، تحدث النبي ﷺ عنهم فقال: «لاَ يزالُ طَائِفَةٌ مِن أُمتِي ظَاهِرِين حتى يأْتِيهم أَمر اللَّهِ وهم ظَاهِرونَ». [أخرجه البخاري عن المغيرة بن شعبة]

– وهنا لابد أن نذكر مقولة أمير المؤمنين عمر ﷺ: (إنا كُنا أذلّ قوم فأعزنا الله بِالإِسلامِ فمهما نطلب الْعِز بِغير ما أعزنا الله بِهِ أذلنا الله).

[أخرجه الحاكم في المستدرك]

اللهم فأعزنا بدينك والتمسك به واجعلنا من الأمة الظاهرة إلى يوم القيامة.

● من تعاليم ديننا الحنيف الذي اختاره الله تعالى لعباده كي يسعدهم في الدنيا والآخرة، فرسم لهم الطريق المستقيم، وبين لهم السلوك القويم.

– من تعاليم هذا الدين التمسك بالبر، والابتعاد عن الإثم.

● **فما معنى البر؟ وما معنى الإثم؟**

البر: فضيلة جامعة لأنواع الخير، والتوسع فيه، فهو كما يقول حذّاق العلماء:

(البر فعل الواجبات، والبعد عن المحرمات، والبشاشة للناس، والعطف عليهم، والإحسان إليهم، وتحمل الأذى منهم).

● والبر في تعبير القرآن الكريم يعني الإيمان، وما يتبعه من أعمال، فهو يشمل صحة الاعتقاد، وسلامة التطبيق.

● والبر ليست كلمة تقال مجردة عن الأعمال، ولا لباساً جميلاً ينطوي داخله سوء وشر، لقد أجمل الله تعالى هذا المعنى في قوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

أما الإثم: فهو عكس البر وضده في كل مفرداته ومعانيه.

● والإثم اسم جامع لكل الذنوب والآثام والخطايا، ومنها الاعتداء على الآخرين وظلمهم، وأكل أموالهم، وسلبهم لحقوقهم.

● هناك صحابي جليل ألهمه الله ﷻ أن يسأل النبي ﷺ في هذا الموضوع فكان في سؤاله خيراً له وللأمة، فقد ورد في حديث جامع لامع أنّ وابصةَ بن معبد قَالَ أَتيت رسولَ اللَّه ﷺ وأَنا أُرِيد أَنْ لاَ أَدع شيئاً من الْبر والإِثْمِ إِلاَّ سأَلْته عنه وإِذَا عنده جمع فَذَهبت أَتخطَّى الناس فَقَالُوا إِلَيك يا وابصةُ عن رسولِ اللَّه ﷺ إِلَيك يا وابصةُ. فَقُلْت أَنا وابصةُ دعونِي أَدنو منه فَإِنه من أَحب الناسِ إِلَي أَنْ أَدنو منه. فَقَالَ لِي: «ادنُ يا وابصةُ ادنُ يا وابصةُ». فَدنوت منه حتى مست ركْبتي ركْبته فَقَالَ: «يا وابصةُ أُخبرك ما جئْت تسأَلُني عنه أَو تسأَلُني». فَقُلْت يا رسولَ اللَّه فَأَخبرنِي. قَالَ: «جئْت تسأَلُني عنِ الْبر والإِثْمِ». قُلْت نعم فَجمع أَصابعه الثَلاَثَ فَجعلَ ينكُت بها فِي صدرِي ويقُولُ: «يا وابصةُ استفْت نفْسك الْبر ما اطْمأَنَّ إِلَيه الْقَلْب واطْمأَنت إِلَيه النفْس والإِثْم ما حاك فِي الْقَلْبِ وتردد فِي الصدرِ وإِنْ أَفْتاك الناس». قَالَ سفْيانُ: «وأَفْتوك». [أخرجه أحمد]

● في هذا الحديث لخص النبي ﷺ لنا معنى البر والإثم بكل أنواعه وصوره وهو ما اطمأن إليه قلب المؤمن، واطمأنت به نفسه، فالمسلم الحق لديه شعور رباني، وإلهام إلهي، ودافع وجداني في معرفة البر وما هو خير، والسعي إليه والعمل به.

● كذلك يبين النبي ﷺ معنى الإثم، وهو ما حاك في القلب، وتردد في الصدر، فلم تقبله النفس المسلمة الصادقة وتكره أن يظهر للعيان، وما دفعت

صاحبها أن يبحث عن فتوى لتسهل له ارتكاب الحرام، وتغريه به.

الإثم: فكرة تدور في الرأس، أو شهوة ترغب فيها النفس، أو شعور داخلي يتلجلج في الصدر فتدفع نحو المحرمات والمعاصي، والشهوات والهوى والرغبات، وهذا يحدث لكل إنسان، وهي من جملة امتحان الله لعبده، أيلتزم حدود الله ﷻ أم يتعداها، ولقد كان هذا المسلم في فجر الدعوة في عهد النبي ﷺ يحاسب نفسه على ما يجول فيها، قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

- قال العلماء: «نزلت هذه الآية إعلاماً من الله تبارك وتعالى عباده أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وحدثتهم به أنفسهم مما لم يعملوه».

- عن أَبِي هريرةَ قَالَ لَما نزلَت علَى رسولِ اللَّه ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قَالَ: فَاشتد ذَلك علَى أَصحابِ رسولِ اللَّه ﷺ فَأَتوا رسولَ اللَّه ﷺ ثُم برَكُوا علَى الركَبِ فَقَالُوا أَي رسولَ اللَّه كُلِّفْنا من الأَعمالِ ما نطيق الصلاَةُ والصيام والْجهاد والصدقَةُ وقَد أُنزلَت علَيك هذه الآيةُ ولاَ نطيقُها. قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «أَتريدونَ أَنْ تقُولُوا كَما قَالَ أَهلُ الْكتابينِ من قَبلكُم سمعنا وعصينا بلْ قُولُوا سمعنا وأَطَعنا غُفْرانك ربنا وإِلَيك الْمصير». قَالُوا سمعنا وأَطَعنا غُفْرانك ربنا وإِلَيك الْمصير. فَلَما اقْترأَها الْقَوم ذَلَّت بِها أَلْسنتهم فَأَنزلَ اللَّه فِي إِثْرِها:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فَلَما فَعلُوا ذَلك نسخها اللَّه تعالَى فَأَنزلَ اللَّه ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: نعم ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: نعم.

[أخرجه مسلم]

● في هذا الحديث إشارة هامة أن المسلم الصادق الإيمان إن التبس عليه أمر عليه أن يرجع إلى العلماء الصادقين الحقيقيين لا إلى أنصاف العلماء أو الجاهلين، إذا كان يريد الحق المبين ولا يريد أكل حقوق الآخرين، وعليه أن يقبل حكم هؤلاء العلماء، ولا يبحث عمن يفتيه حسب رغباته، بل إن المؤمن الحق عندما تأتيه الفتوى فإن قلبه لا يميل إلا لما فيه حق واضح دلّ عليه الشرع المبين.

● ومن هذا القبيل ما ذكره النبي ﷺ في معرفة الحديث الصدوق الذي يعمل به من الحديث الكذوب الذي يبتعد عنه (وهو الحديث الموضوع) فقال ﷺ: «إِذَا سمعتم الْحديثَ عني تعرِفُه قُلُوبكُم وتلين لَه أَشعاركُم وأَبشاركُم وترونَ أَنه منكُم قَرِيب فَأَنا أَولاَكُم به وإِذَا سمعتم الْحديثَ عني تنكره قُلُوبكُم وتنفِر منه أَشعاركُم وأَبشاركُم وترونَ أَنه منكُم بعِيد فَأَنا أَبعدكُم منه».

[أخرجه أحمد عن أَبِي حميدٍ وأَبِي أُسيدٍ]

● وفي هذا الموضوع ينبهنا العلماء الصادقون بقولهم:

(إن هذا الأمر دينكم فانظروا عمن تأخذون عنه دينكم).

[الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي]

● وقد وصف النبي ﷺ الذين يجب أن نأخذ عنهم العلم بحديث مرسل فقال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين». [أخرجه البيهقي في المدخل]

اللهم دلنا على البر وارزقنا العمل به، ودلنا على أهله وأتباعه، وباعد بيننا وبين الإثم وأتباعه.

● هذا وإن الله يأمرنا أن نتعاون جميعاً على البر والتقوى وأن نبتعد عن الإثم وأهله، وأن لا نتعاون عليه.

- قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

● إننا اليوم بأشد الحاجة إلى هذه الوصية الربانية ونحن في هذا الامتحان الصعب، علينا جميعاً أن نتعاون على البر، وإن من أهم البر في هذا الوقت أن نوطد أنفسنا على تحمل هذه المصائب الشديدة والصبر عليها والرضا بقضاء الله ﷻ، وأن نواجه هذه الفتنة برأي حكيم، وحكمة بالغة، وتحمل شديد وأن نصبر من حولنا، ونتلطف م ونساعدهم في اجتياز هذه المحنة، كما علينا أن نتفقد أرحامنا وأصدقاءنا وجيراننا وكل من حولنا، ونقدم لهم كل ما نستطيع من جهد ومال ومساعدات مختلفة، اليوم هو يوم ذوي العقول الكبيرة، والنفوس العظيمة الذين يصبرون ولا يشكون، ويخفون عن غيرهم

هموم هذه المحنة، ويحسنون التصرف والمساعدة بكل ما يستطيعون.

● كما أن من الواجب علينا جميعاً أن نبتعد عن كل إثم، وعمن يروج له بكلام أو فعل أو عمل، نبتعد عن العدوان، وعن الظلم، وعن الغيبة والنميمة، وعن إفشاء أسرار الآخرين أو الوشاية بهم، مما يزهق الأرواح ويخرب البيوت.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا مفاتيح خير مغاليق شر، ولا تجعلنا فتنة للآخرين.

- قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

●لقد خلق الله الكون وما فيه ووضع سننه وقوانينه فمن سار على قوانين الله وسننه نجا وأفلح، ومن خالف هذه القوانين والسنن خاب وخسر.

●وقد بينت هذه الآية أن ما يظهر من فساد في البر والبحر إنما هو بما كسبت أيدي الناس بما ارتكبوا من مخالفات وعصوا من أوامر الله، وما يذيقهم الله من عذابٍ فهو قليلٌ ولو أنزل ـم عذابه الأليم وبطشه الشديد لهلكوا، وإنما يفعل الله ذلك لعلهم يتعظون ويعودون إلى صراط الله المستقيم بإصلاح أنفسهم والسير على المنهج القويم.

- قال بعض السلف: (من عصى اللَّه فِي الأَرضِ، أَو أَمر بِمعصِيةٍ، فَقَد أَفْسد فِي الأَرضِ، لأَنَّ صلاح الأَرضِ والسماءِ بِالطَّاعةِ). [تفسير أبي حاتم]

- عن قَتادةَ: (إِنَّ دواب الأَرضِ تدعو علَى خطَّائِي بنِي آدم إِذَا احتبس الْقَطْر فِي السماءِ يقُولُونَ: هذَا عملُ عصاةِ بنِي آدم، لَعن اللَّه عصاةَ بنِي آدم).

[العقوبات: ابن أبي الدنيا]

- وجاء في الحديث: «ما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء». [أخرجه الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن بريده]

- فالمعاصي تسبب انحباس الأمطار، وخراب الديار، وغور الآبار.

- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

●ويجب على كل مسلم أن يسأل نفسه: لماذا أغرق الله قوم نوح بالطوفان؟ وأغرق فرعون وجنوده في البحر؟ وما سبب تسليط الريح العقيم على قوم عاد؟ وما سبب إرسال الصيحة على ثمود؟ ولماذا أرسل الحاصبة (رياح شديدة) وأمطر الحجارة على قوم لوط وقلب عليهم البلاد؟ ولماذا خسف الأرض بقارون؟ وأمطر النار المحرقة وأرسل الصيحة على قوم شعيب؟

- أليست بسبب الذنوب والمعاصي؟ أما في ذلك عبرة لنا حتى لا نقع بالمعاصي؟

- قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

- إن الذنوب التي أهلكت الأمم الماضية هي التي لمك الأمم اللاحقة.

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٦-١٩].

●ولهذا السبب ولشدة حرص النبي ﷺ على أمته وخوفه عليهم أن يصيبهم ما أصاب الآخرين، وتعليماً لهم في كل وقت وحين كان يأمرهم إذا ما مروا بديار الأقوام الذين سخط الله عليهم بذنو م ألا يمكثوا فيها، كما بين ذلك فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لَما نزلَ الْحجر فِي غَزوةِ تبوك أَمرهم أَنْ لاَ يشربوا مِن بِئْرِها، ولاَ يستقُوا مِنها فَقَالُوا قَد

عجنا مِنها، واستقَينا فَأَمرهم أَنْ يطْرحوا ذَلِك الْعجِين ويهرِيقُوا ذَلِك الْماءَ».
[أخرجه البخاري]

●هذا ما ذكره الله تعالى من عقوبات الأمم الماضية وما نشاهده اليوم وما نسمع به من العقوبات النازلة بالأمم اليوم أكبر زاجر، وأشد رادع، وأعظم عبرة لنا.

– ومن هذه العقوبات الحالّة بالأمم اليوم كثرة الزلازل والبراكين التي تدمر البلدان و لمك عشرات الألوف من بني الإنسان، وتترك الكثير بلا مأوى.

– ومن هذه العقوبات الحالّة بالأمم اليوم الثلوج المهلكة والسيول المدمرة والأعاصير المميتة.

– ومن هذه العقوبات الحالّة بالأمم اليوم كثرة الحروب، وتمزق الشعوب، وتفرق الأحباب.

– ومن هذه العقوبات انحباس الأمطار حتى إذا أجدبت الأرض، وتعطلت الزراعة، وهلكت المواشي، وشاعت ا لمعة، وهلك خلق كثير، ارتحل من بقي حياً من بلاده إلى بلد آخر لطلب لقمة العيش، إما من الصدقات وإما من الأجرة التي يحصلون عليها من العمالة لدى الدول الغنية.

– ومن العقوبات الحالّة بالأمم اليوم انتشار الأمراض المستعصية التي يعجز الطب عن معالجتها كمرض السرطان والايدز والهربس وغيرها من الأمراض الحديثة التي نسمع عنها لأول مرة في حياتنا و لم تعرف سابقاً، وكثرة موت الفجأة المتسبب عن حوادث المراكب الجوية والبرية والبحرية في الطائرات والسيارات والقطارات والبواخر التي يهلك فيها جماعات من الناس في لحظة واحدة.

- ومن عقوبات المعاصي قلة الرزق وتراجع التجارات والأعمال وذهاب بركة الأعمال، وأكبر العقوبات التي ما عاد المسلم يشعر بها عقوبات المعاصي التي تؤثر في القلوب مرضاً وظلمةً ووحشةً كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الْعبد إِذَا أَخطَأَ خطِيئَةً نكِتت فِي قَلْبِهِ نكْتةٌ سوداءُ فَإِذَا هو نزع واستغفَر وتاب سقِلَ قَلْبه وإِنْ عاد زِيد فِيها حتى تعلُو قَلْبه وهو الرانُ الَّذي ذَكَر اللَّه ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾». [قَالَ الترمذي حديث حسن صحيح]

- وقال الحسن البصري: (هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب ويموت).

- روي عن جبير بن نفير عن أبيه قال: (لما فتحت مدائن قبرص وقع الناس يقتسمون السبي ويفرقون بينهم ويبكي بعضهم على بعض فتنحى أبو الدرداء ثم احتبى بحمائل سيفه فجعل يبكي فأتاه جبير بن نفير فقال: ما يبكيك يا أبا الدرداء؟ أتبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ وأذل فيه الكفر وأهله فضرب على منكبيه ثم قال: ثكلتك أمك يا جبير بن نفير ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة على الناس لهم الملك حتى تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى وإنه إذا سلط السباءَ (السبي) على قوم فقد خرجوا من عين الله ليس لله بهم حاجة). [سنن سعيد بن منصور]

- وزاد الطين بلة في انتشار المعاصي هذه المخترعات وما يعرض في المحطات الفضائية من أفلام ومسلسلات تهدم الدين والعرض والشرف باسم التقدمية والحضارة والانفتاح ومعالجة الواقع وتبيان الحقائق.

– وكلها ادعاءات باطلة الهدف منها إبعاد الناس عن ر ـم ودينهم ونبيهم.

– ولقد تساهل الكثير من الناس عن أداء الواجبات كالصلاة والزكاة وفشا الربا، وتعاطي الشباب المسكرات والمخدرات، وتعرضوا للأعراض والحرمات وكثر الغش في المعاملات، وتسلط الناس بعضهم على بعض حتى الإخوة والأقارب فمنعوا الحقوق وأكلوها ونسوا أوامر الله وشرعه.

– وكثر الفجور في الخصومات والزور في الشهادات وتساهل كثير من النساء فلبسن اللباس الهاتك غير الساتر، وتبرجن بزينة الثياب الفاحش حتى أصبحن كاسيات عاريات مائلات مميلات مثيرات للغرائز والشهوات.

– فالخوف الخوف أن يحل علينا العذاب ويعم البلاء بفعل هؤلاء السفهاء.

– قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

● **فكيف نقي أنفسنا وأهلينا هذه الفتن ما ظهر منها وما بطن؟**

● الوقاية بالرجوع إلى الله تعالى وشرعه والبعد عن المعاصي والآثام، ونصح الآخرين وتوعيتهم والدعوة إلى الإيمان الحقيقي والعمل بكتاب الله وسنة نبيه.

● كما أن للمعاصي عقوبات، فإن لها علاجاً تعالج به ويتقى به شرها عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء».

[أخرجه النسائي]

● ومن أعظم ما تعالج به المعاصي الاستغفار والتوبة قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقد أمر الله بالاستغفار والتوبة في آيات كثيرة من كتابه العزيز ووعد بالمغفرة. قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾.

[طه: ٨٢]

- وفي الحديث القدسي أن الله تعالى يقول: «يا عِبادي إنكُم تخطِئُونَ بِاللَّيلِ والنهارِ وأَنا أَغْفِر الذُّنوب جمِيعاً فَاستغفِرونِي أَغْفِر لَكُم».

[أخرجه مسلم عن أبي ذر ﷺ]

●والاستغفار هو طلب المغفرة مع ترك الذنوب والندم على فعلها وعدم العودة إليها وليس مقصوراً على التلفظ به باللسان مع البقاء على الذنوب والمعاصي.

●فهلا تبنا إلى الله ﷻ واستغفرناه حق الاستغفار علّ ذلك يبعد عنا العذاب والأسقام والأوجاع والأمراض والهموم والغموم وقلة الأرزاق وعدم البركة فيها.

● كذلك يجب علينا العودة إلى التمسك بديننا وشرعنا وقرآننا وسنة نبينا. قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «تركْت فيكُم أَمرينِ لن تضِلُّوا ما تمسكْتم بما: كتاب الله، وسنة رسولِهِ». [أخرجه مالك في الموطأ عن أنس ﷺ]

●ومما تعالج به المعاصي نصيحة العصاة ووعظهم وتذكيرهم، قال تعالى: ﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

●ومما تعالج به المعاصي أيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: «من رأَى مِنكُم منكَراً فَلْيغيره بِيدِهِ فَإِنْ لَم يستطِع فَبِلِسانِهِ فَإِنْ لَم يستطِع فَبِقَلْبِهِ وذَلِك أَضعف الإِيمان».

[أخرجه مسلم]

● فإذا أهمل جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك العصاة بدون إنكار عمت العقوبة الجميع كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

إن أهم ما تعالج به المعاصي اهتمام الوالدين بأولادهم يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

– فوقاية النفس والأهل من النار واجبة وذلك بالتزام طاعة الله والابتعاد عن معصيته.

– لذلك يجب على الوالدين أن يكونا حريصين على تربية أولادهم التربية الإسلامية الصحيحة والعناية وعدم الانشغال عنهم لأي سبب كان ولئن صعب على المسلم أن يوجه أفراد مجتمعه إلى الخير فبإمكانه أن يفعل ذلك في أسرته.

– جاء في تفسير الرازي في فضائل الفاتحة عن طريقة حذيفة بن اليمان قال، قال رسول الله ﷺ: «إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيا ـم في المكتب ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بسببه العذاب أربعين سنة».

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا برحمتك يا أرحم الراحمين وبما يحفظه الصغار في المساجد من القرآن الكريم.

٢٣ الحكـــم العـــدل

● من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، اسمان لكل منهما معنى خاص به، ولكنهما كثيراً ما يذكران معاً، الاسمان هما **الحكم العدل**.

● أما معنى اسم الله الحكم منفرداً، فهو صاحب الفصل بين الحق والباطل، النافذ حكمه ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

● وأما معنى اسم الله العدل منفرداً: فهو سبحانه وتعالى الذي لا يميل به هوى فيجور في الحكم وهو أعدل العادلين، والعدل هو الإنصاف والمساواة، وعدم الميل عن الحق.

● وأما معنى الاسمين متلازمين معاً **الحكم العدل**: أي أن الله ﷻ من أسمائه وصفاته أنه الحكم العدل يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويعدل بينهم.

- الله **الحكم العدل**: هو حكم عادل في الدنيا، وحكم عادل في الآخرة.

- الله **الحكم العدل**: يحكم بين الناس في الدنيا فيما اختلفوا فيه، وحكمه العادل هذا بين الناس من خلال تمسكهم بدين الله وشرعه فيما بينهم أو مخالفتهم لدين الله وشرعه.

ونتيجة حكمه العادل يرجع الحقوق إلى أصحا ا، ويعاقب المسيء بإساءته.

- والله **الحكم العدل** يحكم بين الناس في الدنيا فيما ظلم به بعضهم بعضاً.

● وقد حرم الله ﷻ الظلم على نفسه، وحرمه على الناس، فقال ﷻ فيما رواه النبي ﷺ في الحديث القدسي: «يا عِبادِي إِني حرمت الظُّلْم علَى نفْسِي وجعلْته بينكُم محرماً فَلاَ تظَالَموا». [أخرجه مسلم عن أبي ذر]

● ومن قوانين الله ﷻ **الحكم العدل** وسننه في الأرض أن يعاقب الظالم على ظلمه فإن أمهله فإنه لا يهمله، فإن أخذه، أخذه أخذاً شديداً، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّه تبارك وتعالَى يملِي وربما قَالَ يمهِلُ لِلظَّالِمِ حتى إِذَا أَخذَه لَم يفْلته». ثُم قَرأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] [أخرجه الترمذي عن أبي موسى ﷺ]

● لو تتبعنا آيات القرآن بتدبر، لتبين لنا ما فعله الله ﷻ بالظالمين أفراداً وجماعات، وأن إمهالهم كان إلى وقت معلوم، فإنه لا يهملهم أبداً، ومن تكبر وتجبر وظلم من أقوام الأنبياء والمرسلين ولم يستجيبوا لنصائح الناصحين، فإن الله ﷻ أملى لهم، ثم أخذهم بعقابه، وحل بهم عذابه، قال تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ فكان حكمه ريحاً صرصراً عاتية أو قلب عاليها سافلها أو صيحة أو رجفة أو غرقاً أو جنوداً من جنود الله ﷻ أهلكت الظالم ونجا منها المظلوم.

● ومن قرأ التاريخ وتتبع أحداثه يرى عظمة **الحكم العدل**:

- رجل كانت له أخت عانس تسكن معه في حصتها من الإرث، فكانت زوجة هذا الأخ تتفنن في إهانتها، وفي يوم من الأيام كان هذا الأخ مع زوجته يجلسان وإلى جانبه أخته، فأراد أن يشرب الماء، فركل أخته برجله، وقال لها: احضري لي كأساً من الماء، فبكت هذه الأخت من شدة إهانته لها بحضرة زوجته وكانت هذه من عادته.

في اليوم الثاني سافر الأخ إلى مدينة حلب من أجل تجارته، وفي الطريق وقع له حادث سير أصيب برجله التي ركل بها أخته ليهينها بحضور زوجته، وأصيبت بمرض الغرغرينة فقطعت من أعلى الفخذ، هذا حكم **الحكم العدل**

إن أعجله:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

- قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

● ومن الظلم الذي يحاسب عليه **الحكم العدل** ظلم الناسِ بعضهم بعضاً من سرقة الأموال، أو بها، أو الاعتداء على الحرمات، وتعذيب الضعفاء وسلب أموالهم، والتعرض لأعراض الناس والاعتداء عليها، وقتل الأبرياء، وأكل أموال الناس بالباطل، خاصة مال اليتيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

- قال قتادة: نزلت في رجل من غطفان ولي مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله. [تفسير البغوي]

- في سوقِ الطويل (سوق مدحت باشا) بينما كانَ أحد التجارِ جالساً، في متجرِه، سمع صوت ضوضاءٍ من جراء شجارٍ بين اثنين من أهلِ البادية فأخرج رأسه من دكانه ليرى ما يحدثُ، فإذا بطلقةٍ ناريةٍ من أَحدهما، تستقر في رقْبةِ هذا التاجِر، في النخاعِ الشوكي، فَشلَّت أطرافُه مباشرةً.

يقولُ راوي هذهِ القصةِ، وهو جار لهذا التاجرِ فَعدت إلى بيتي وأنا في أشد الحَزنِ، وكان لدي مجلس إقراءٍ، في القاعةِ، عند فضيلةِ الشيخ حسينِ الخطابِ رحمه الله تعالى، فوجدني الشيخ على غيرِ عادتي، مضطَرِباً حزيناً، فسألني عن السببِ، فحدثته بالقصة.

فبكى الشيخ وبكَيت لبكائه، ولما سأَلْته عن سببِ بكائه، قال يا بني: بالأمسِ حضر هذا التاجِر مع أولادِ أخيهِ المتوفى، وكان قد وضع نفسه وصياً عليهم عندما توفي والدهم، وكانوا صغاراً، فَلما بلغوا الرشد، وأرادوا الحصولَ على أموالِهم أَنكَر حقهم ومنعهم منه.

وقد حضروا إليَّ لأقضي بينهم فلما امتنع عن أداءِ حقوقِهم، وادعى أنه قد أنفقَها عليهم، قلت لهم: لا تقَدموا دعواكم إلى المحكَمة، ولكن قدموها إلى رب العالمين، المطلعِ على الغيبِ، والعليمِ بكل شيء، وهو **الحَكَم العدلُ**.

فرفعوا أيديهم إلى السماءِ، ودعوا الله أن يتولى أمرهم.

هذا ما حدثَ يا بني في الأمسِ، واليوم جاءَ الحُكْم من **الحَكَمِ العدلِ**.

● ومن الظلم الذي يحاسب عليه **الحكم العدل** في الدنيا قبل الآخرة التطاول على أعراض الناس، والنيل من أشخاصهم بالجرح والقذف والبهتان والغيبة والنميمة.

● ومن الظلم الذي يحاسب عليه **الحكم العدل** في الدنيا العجب والخيلاء والبغي والكبرياء والتعالي على الناس وإيذاؤهم، واستغلال نفوذه عليهم، وقهرهم وتعذيبهم.

● ومن الظلم الذي يحاسب عليه **الحكم العدل** في الدنيا ظلم ذاك الذي لا عمل له إلا أن ينهش أعراض الناس، ويسعى بينهم بالفساد، ويبغيهم الفتنة، ويتربص بهم الدوائر، وأعظم منه من يتتبع عورات المسلمين، وينشر مقالة السوء في المجتمع، ويحب أن تشيع الفاحشة، وتعم الرذيلة، فلا يبقى خلق ولا دين.

● ومن الظلم اليوم من يستغل احتياجات الناس الشديدة فيسعى لمساعدهم بأن يتعدى على كرامتهم وأعراضهم مستغلاً سوء حالهم، وشدة احتياجهم.

● ومن الظالمين من يماطل في أداء حقوق الآخرين، ولا يقوم بواجبه نحوهم، وهو غني قادر على أدائها، فقد قال رسول الله ﷺ: «مطْلُ الْغنِى ظُلْم». [متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

● إن كان بمقدور العباد أن يظلم بعضهم بعضاً، ويستسهلوا هذا الظلم مستغلين مكانتهم وسطو ـم وقو ـم وجبرو ـم، فإن ذلك يدل على ضعف الإيمان، والبعد عن تعاليم القرآن، والغفلة عن توجيه النبي العدنان ﷺ.

● فكيف يظلم المسلم أخاه المسلم، والنبي ﷺ يقول: «الْمسلِم أَخو الْمسلِمِ، لاَ يظْلِمه ولاَ يسلِمه، ومن كَانَ فِي حاجة أَخِيهِ كَانَ اللَّه فِي حاجتِهِ، ومن فَرج عن مسلِمٍ كُربةً فَرج اللَّه عنه كُربةً مِن كُرباتِ يومِ الْقِيامةِ، ومن ستر مسلِماً ستره اللَّه يوم الْقِيامةِ». [أخرجه البخاري عن ابن عمر]

● قد يستطيع الظالم بتكبره وجبروته وقوته وأنانيته وكفره بالله أن يظلم الآخرين، أن يظلم الضعفاء، وأن يستقوي عليهم، ويسلب خيرا ـم، لكن الله ﷻ **الحكم العدل** لن يترك الظالم يفعل ما يشاء، ومتى يشاء، فقانون الله العادل أن يأخذ الحق من الظالم ويرده للمظلوم بعد محاسبة الظالم حساباً عسيراً، ولو بعد حين، فالله يمهل ولا يهمل.

- قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

- وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

● وأمر الله **الحكم العدل** نافذ لا محالة، وفي الدنيا قبل الآخرة، وإذا أتى أمر الله فلا راد له وعقابه لهؤلاء الظالمين مؤلم شديد، قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١].

● والمؤمن الحق عندما يظلم فإنه يرفع برقيته إلى الله ﷻ ولا يبتغي حكماً بينه وبين الآخرين إلا الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

● إلهي وأنت **الحكم العدل** يرفع المظلومون إليك أكف الضراعة، متوسلين بالنبي ﷺ صاحب الشفاعة أن تأخذ بحقهم ممن ظلموهم في الدنيا قبل الآخرة بما يستحقون منك من عذاب أليم، واغفر لنا إن كنا قد ظلمنا أنفسنا فإنك أنت الغفور الرحيم.

● ومن قرأ التاريخ يرى قصصاً كثيرة:

أولاً– عن أَبِي قِلابةَ، قَالَ: كُنت فِي رفْقَة بالشامِ، فَسمعت رجلاً يقُولُ: يا ويلَه مِن النارِ فَقُمت إِلَيه فَإِذَا رجلٌ مقْطُوع الْيدينِ مِن الْمنكبينِ والرجلَينِ مِن الْحقْوِ أَعمى منكَب لِوجهِه، فَقُلْت: يا عبد اللَّه ما لَك؟ قَالَ: كُنت فِيمن دخلَ علَى عثْمانَ يوم الدارِ، فَلَما دنوت منه خرجت امرأَته فَأَقْبلْت علَيها فَلَطَمتها، فَنظَر إِلَي عثْمانُ فَقَالَ: سلَب اللَّه يديك ورِجلَيك وأَعمى بصرك وأَدخلَك نار جهنم، فَأَخذَتني رِعدةٌ شدِيدةٌ فَخرجت هارِباً مِن دعوتِه، فَلَما صِرت بِموضِعِي هذَا لَيلاً أَتانِي آتٍ فَصنع بِي ما ترى، فَقَد استجاب اللَّه فَما بقِي مِن دعائِه إِلا النار. [كرامات الأولياء للالكائي]

ثانياً– قال حدثَنا محمد بن جعفرِ بنِ يحيى بنِ خالدِ بن برمكٍ قال: قال أبي لأبيه يحيى بنِ خالدِ بن برمكٍ وهم في القيودِ ولُبسِ الصوفِ والحبسِ يا أَبتِ بعد الأمرِ والنهيِ والأموالِ العظيمةِ أصارنا الدهر إلى القيودِ ولُبسِ الصوفِ والحَبسِ فقالَ له أبوه يا بني دعوةُ مظلومٍ سرت بليلٍ غَفَلْنا عنها و لم يغفُلِ اللهُ عنها ثم أَنشأَ يقولُ:

رب قومٍ قد غَدوا في نعمةٍ زمناً والدهر ريانٌ غَدق
سكَت الدهر زماناً عنهم ثم أَبكاهم دماً حين نطَق

ثالثاً– قصة حقيقية عن أحد ا رمين من قطاع الطريق كان يسير في البراري والأودية ليفتك بكل من يسير في هذه الطرقات البعيدة، وفي يوم من الأيام عثر على رجل مسكين وحيد يسير قاصداً أحد المدن ليبتغي الرزق فانقض عليه وجرده من كل ما يملك وهم بقتله، فقال له الرجل: أخذت كل ما معي من مال ومتاع فدعني وشأني لأعود لأولادي وعيالي، فلم يقبل ذلك ا رم ثم رجاه الرجل عدة مرات فلم يقبل إلا بقتله خشية أن يشتكي عليه فيقبض عليه، فلم ييأس الرجل منه قال له دعني أصلي لله ركعتين أودع بما حياتي، فقبل ا رم وتركه حتى أ ى صلاته ثم التفت الرجل فرأى حمامة قريبة منه فقال لها: اشهدي يا حمامة أن هذا الظالم قتلني ظلماً وعدواناً فضحك ا رم من كلامه وقتله، وتمر الأيام وا رم يزداد مالاً ومتاعاً، ثم يصبح من وجهاء المدينة لغناه ومن المقربين للسلطان يحضر مجالسه مع ندمائه، وفي مساء ذات يوم وقد بسطت المائدة السلطانية الفاخرة لضيوف السلطان وقد حوت ما لذ وطاب من المأكولات، وكان من بين الحضور هذا ا رم، فنظر إلى المائدة ورأى طبقاً عليه حمامة مشوية، فتذكر قصته فما تمالك نفسه من الضحك، فأصر السلطان عليه أن يذكر سبب ضحكه، فما كان منه إلا أن ذكر قصته في حالة غفلة منه بإرادة ربانية، ذكر قصته ساخراً من الرجل ومقولته، فما كان من السلطان إلا أن أمر برفع المائدة وأمر بالنطع والجلاد والتفت إلى ا رم قائلاً له نحن نقبل شهادة الحمامة على لسانك باعترافك ونفذ به حكم الإعدام وقطع رأسه.

رابعاً– قصة واقعية حدثت قبل عدة سنوات يذكرها من شاهدها بأم عينيه يقول هذا الشاهد: كان لي صديق كنت معه في سيارته على طريق المطار في أيام الشتاء القارس، وفي منتصف الطريق وعلى جانبه جلس كلب صغير أسود وقد مد طرفيه يرجف من شدة البرد أراد صديقي المتهور أن يظهر براعته في القيادة أمامي، فاستطاع بدقة بالغة أن يدوس على يدي الكلب فيقطعهما دون أن يقتله، وأطلق صديقي ضحكة هستيرية، بينما كان الكلب يصيح ألماً، وكأنه يرفع شكواه إلى الله ﷻ.

يذكر هذا الشاهد أن **الحكم العدل** أنزل قضاءه بعد أسبوع فبينما كان يمر هذا الظالم في طريق المطار وفي المكان نفسه تعطلت مركبته إذ أصيبت إحدى العجلات، فترل لإصلاحها، ورفع المركبة بالأداة الرافعة وأزال البراغي من العجلة، وبينما هو يسحب العجلة اختل توازن المركبة فوقع طوق العجلة فوق رسغيه فهرستا وإلى حين وصوله إلى المشفى كان قد وصل الموت إلى أطراف يديه، فأمر الطبيب بقطع كفيه من رسغيه، يقول شاهد القصة رأيت صاحبي بعد أسبوع بلا يدين.

أليس هذا جزاء وفاقاً من **الحكم العدل**.

● تحدثت عن بعض جزاء الله في الدنيا للظالمين، وأزيد الآن فأقول إن المؤمن الصادق هو الذي لا يظلم أحداً من الناس، فهو لا يظلم نفسه، ولا يظلم زوجته، ولا يظلم والديه، ولا يظلم أرحامه، ولا يظلم أحداً من الناس، بل هو لا يظلم الحيوانات أيضاً، ولا يحب الظلم أبداً، ولأن يكون مظلوماً أحب إليه من أن يكون ظالماً، لأنه على علم يقيني بأن ظلمه لأي مخلوق من مخلوقات الله ﷻ سيحاسب عليه في الدنيا قبل الآخرة.

● هذا المؤمن يعطي الحقوق للآخرين ولا يضطرهم أن يشكوه إلى الله ﷻ أو إلى المحاكم الدنيوية، ولو كان في مقدوره أن يصل إلى ظلم الآخرين، وأكل حقهم عن طريق الخداع والمماطلة والكذب والرشوة وشهداء الزور، حتى ولو حكم لصالحه وهو يعرف أن الحق ليس معه فإنه يرده، ولا ينسى حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «إنكُم تختصِمونَ إِلَي، ولَعلَّ بعضكُم أَلْحن بِحجتِه مِن بعضٍ، فَمن قَضيت لَه بِحق أَخِيهِ شيئاً بِقَولِه، فَإِنما أَقْطَع لَه قِطْعةً مِن النارِ فَلاَ يأْخذْها». [أخرجه البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها]

● فالمؤمن الحق هو الذي يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، فلا يظلم أحداً وإن ظلم فإنه لا يرضى حكماً إلا الله ﷻ: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾. [الأنعام: ١١٤]

– ويا ليت الظالم يستمع إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. [هود: ١٨]

– ويذكر قولَ اللهِ في الحديثِ القدسي: «اشتد غضبي على من ظَلَم من لا يجِد ناصراً غيرِي». [أخرجه الطبراني والبيهقي]

– ويا ليته يستمع إلى وصيةِ لقمانَ الحكيم: ((إذا دعتك قُدرتك على ظُلْمِ الناسِ فتذكر قدرةَ الله عليك، واحذر عِقاب الله الذي سوف يحلُّ بالظالمين إن عاجلاً أو آجلاً وعقابه دائم لا ينقطع)).

– ويا ليته يستمع لقولِ الشاعر:

لا تظْلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم يرجِع عقباه إلى الندمِ
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين اللهِ لم تنمِ

● الله **الحكم العدل** لن يكتفي بعذاب الظالم في الدنيا بل له عذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

● فهناك حساب عام لكل الناس يظهر أعمالهم السيئة وخاصة أعمال أولئك الظلمة، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾.
[الأنبياء: ٤٧]

● ولأن الله ﷻ هو **الحكم العدل** يحق الحق، فيأخذ الحق من القوي الظالم، ويرده إلى الضعيف المظلوم، والله ﷻ سيحكم يوم القيامة ليس بين الناس فحسب، بل أيضاً بين الحيوانات، بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «لَتؤدنَّ الْحقُوق إِلَى أَهلِها يوم الْقِيامةِ حتى يقَاد لِلشاةِ الْجلْحاءِ مِن الشاةِ الْقَرناءِ».
[أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

● وإذا كان **الحكم العدل** يحاسب على الظلم في الآخرة فيقتص من الظالم وإن كان حيواناً، فإن عذاب هذه الحيوانات سينتهي بعد الحساب، أما ظلم البشر بعضهم بعضاً فلا يكتفي به الحساب، بل إن جزاءه وعقابه سيكون شديداً في جهنم وبئس المصير.

● ومن الناس الذين سيحاسبهم الله ﷻ **الحكم العدل** يوم القيامة أناس أساؤوا فهم دينهم، واتباعهم لنبيهم المصطفى ﷺ، فظلموا من حولهم بأنواع متعددة من الظلم، فكيف يكون حسا م هناك، تعالوا لنستمع إلى توضيح

الجواب من النبي ﷺ حيث يقول وهو يتوجه إلى الصحابة الكرام: «هلْ تدرونَ منِ الْمفْلس». قَالُوا الْمفْلس فينا يا رسولَ اللَّه من لاَ درهم لَه ولاَ متاع. قَالَ: «إنَّ الْمفْلس من أُمتي من يأْتي يوم الْقيامة بصيامٍ وصلاَةٍ وزكَاةٍ ويأْتي قَد شتم عرض هذَا وقَذَف هذَا وأَكَلَ مالَ هذَا فَيقْعد فَيقْتص هذَا من حسناته وهذَا من حسناته فَإنْ فَنيت حسناته قَبلَ أَنْ يقْضى ما علَيه من الْخطَايا أُخذَ من خطَاياهم فَطُرحت علَيه ثُم طُرح في النارِ».

[أخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه]

● فهل من متعظ يخشى محكمة **الحكم العدل** يوم القيامة فيبتعد عن الظلم للآخرين مهما كان صغيراً، ويؤدي إليهم حقوقهم.

● نحن في حالة غفلة عن الله عز وجل فلنخش الله عز وجل أن يأتينا حكمه في الدنيا قبل الآخرة، فتذهب حسناتنا، وتتضاعف سيئاتنا ونكون من أهل النار.

- تعالوا نردد قول الله عز وجل: ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٣].

- وتعالوا ندعو بدعاء النبي ﷺ: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم». [أخرجه البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه]

٢٤ نحن قسمنا بينهم معيشتهم

● كثير من الناس من ينظر إلى من حوله وما أقامهم الله فيه من أعمال متنوعة، عملها أرفع من عمله، ومردودها المادي أكثر من مردود عمله فيحزن وينظر إليهم نظرة حسد متمنياً لو أنه كان مثلهم، يقول في نفسه مثلاً:

- يا ليتني كنت طبيباً مشهوراً كفلان الذي كنت وإياه في صف واحد!
- يا ليتني كنت مهندساً مرموقاً كفلان الذي هو في نفس سني!
- يا ليتني كنت تاجراً واسعاً كفلان الذي كان يجاورني في سكني!
- يا ليتني ويا ليتني ويا ليتني لم أكن على الحال التي أنا فيها!
- ما أنا إلا عامل أو موظف في الحلقة الوظيفية الدنيا أو صانع أو تاجر صغير، أكدح ليل نار حتى أؤمن ما لا يكفيني من المال، وأظل مديوناً أو محتاجاً غير ميسور، ولست كالآخرين في معايشهم ونعيمهم وذها م وإيا م وتأمينهم كل ما ترغب فيه أنفسهم على أحسن وجه.
- آه ثم آه، ويا ليتني ويا ليتني!؟

● أيها الأخ المسلم: اعلم أنك إن كنت قد قصرت في حياتك في تحصيل أمر يمكن تحصيله، أو أهملت شأنك وأضعت حياتك فيما لا فائدة فيه، ثم أصبحت على ما أنت عليه فلا تلومن إلا نفسك، واعلم أنك قد قصرت في شؤون حياتك، فكانت النتيجة الحتمية ما أنت عليه، فأنت وحدك المسؤول عن كل ذلك، فهل بالإمكان أن تقتنع بضرورة التغيير لواقعك، فتغير إلى الأفضل، وتسعى إلى الأكمل، فهذا شأنك، فقم بواجبك لتغير حياتك ومعيشتك، واغتنم ما بقي من حياتك في إصلاح شأنك.

● أما إن كنت قد قدمت كل ما في وسعك، ولم تتح لك الأمور وكأن الأمر الذي أنت عليه بعد ذلك كل ما تستطيع لتكون حياتك على الوجه الذي ترضاه وترغب فيه، ولكن لم يحصل مطلوبك، ولم تتحقق آمالك، فاعلم أن ذلك أمر الله ﷻ هو الذي يقسم بين العباد معيشتهم، فعليك بالقناعة والرضا والصبر، مع السعي إلى أفضل ما أمكنك السعي إليه من أجل أن تصل إلى أمنياتك ورغباتك.

- وما أجمل أن تردد وأنت في هذه الحال قول النبي ﷺ: «نفَثَ روح الْقُدسِ فِي روعِي أَنَّ نفْساً لَن تخرج مِن الدنيا حتى تستكْمِلَ أَجلَها، وتستوعِب رِزقَها، فَأَجمِلُوا فِي الطَّلَبِ، ولا يحمِلَنكُم استِبطَاءُ الرزقِ أَنْ تطْلُبوه بِمعصِيةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لا ينالُ ما عِنده إِلا بِطَاعتِه».

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه]

ونحن نتحدث في هذا الموضوع لابد أن نمعن ونستوعب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

- وقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

● المسلم حين يقرأ هاتين الآيتين بتدبر يتيقن أن إرادة الله ﷻ ومشيئته في عباده نافذة، وأن سنة الله ﷻ في خلقه لا تبديل لها، وأنه ﷻ هو الرزاق يقسم الرزق بين عباده كيفما يشاء، وجعل هذا الاختلاف بين عباده فيما

رزقهم، ورفع بعضهم فوق بعض، لحكمتين يريدهما الله ﷻ:

الحكمة الأولى: الامتحان والبلاء، اللذان هما من خصوصية الحياة الدنيا:

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

● فالغنى والعز والرفعة والمكانة العالية والصحة والعافية والقوة، كلها بلاء وامتحان للعبد أيشكر الله أم يظلم ويتكبر ويتعجرف ويسيء إلى الآخرين، وكذلك الفقر والقلة والحاجة والضعف والمرض هي أيضاً بلاء واختبار من الله للعبد.

- فهل يرضى ويصبر على هذا البلاء والامتحان ويحتسب أو يسخط ويعترض.

الحكمة الثانية: إن حاجات الإنسان في مجتمعه كثيرة متعددة ولا تنتظم الحياة وتكتمل إلا بتحقيق تلك الحاجات، والإنسان الفرد يعجز عن القيام بها وحده، لذلك اقتضت الحكمة الربانية أن يقسم بين الناس معايشهم، ويرفع درجات بعضهم على بعض امتحاناً لهم، ليقوم كل منهم بأداء عمل من تلك الأعمال على تفاوت حسب تلك القسمة، وبذلك ينتظم عقد الحياة، ويكتمل، فالمجتمع يحتاج إلى الطبيب والمهندس وإلى التاجر وإلى الموظف وإلى الصانع وإلى العامل.

فكان لابد من هذا التنوع، فلو كان الجميع أطباء أو مهندسين أو تجاراً، فمن أين نحصل على الخبز والفواكه والخضار والأبواب والأخشاب والحديد

وأعمال التنظيف والخدمات العامة وغير ذلك، فلتتكامل الحياة، كان لابد من هذا التنوع، لذلك قسم الله ﷻ أرزاق عباده، وجذ م إلى أعمال متنوعة ومتفرقة، وسخر بعضهم لبعض، ورفع بعضهم فوق بعض رفعة أعمال لا رفعة مكانة عنده، بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «كَم مِن أَشعثَ أَغْبر ذِي طِمرينِ لا يؤبه لَه لَو أَقْسم علَى اللَّهِ لأبره». [أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ]

●أيها الأخ المسلم: اعلم أن القسمة التي قسمها الله ﷻ لك إن رضيت ا، وقنعت ا وشكر ا، مع سعيك للأفضل والأكمل فهو خير لك، لا تعلم خيريته إلا بعد مدة من الزمن، فيتبين لك أن الخير فيما اختاره الله ﷻ لك،

– تعالوا نتلو قول الله ﷻ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

– ونستمع إلى قوله ﷺ: «وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه ولو أعطيته إياه لدخله العجب وأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح له إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، إني أدبر عبادي بعلمي بقلو م إني عليم خبير».

[أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الأسماء عن أنس وهو حديث ضعيف]

– يقول ابن عطاء في الحكمة التاسعة عشرة: (لا تطلب منه –أي من الله– أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج).

●أي أنك أيها المؤمن إن كنت في حالة لا توافق رغباتك وآمالك وأغراضك وأهدافك، عليك أن تدعو الله ﷻ أن يختار لك ما فيه صلاحك في دينك ودنياك وآخرتك، واترك الأمر له، ولا تطلب منه أن يغير حالك الذي اختاره لك إلى حالة تريدها وتتمناها، فهذا يعارض حكم الله فيك، وما أظهره الله ﷻ فيك، وما اختاره الله لك هو قسمة الله لك، فارض بهذه القسمة التي لا خيرة لك فيها، وتأدب مع الله ﷻ، وآثر مراده فيك على اختيارك لنفسك، فالله أعلم بما يصلحك، وما عليك إلا أن تسأله البركة والتوفيق والسعادة والهناء والعافية فيما قسمه الله لك وأعطاك واختاره.

- يحكى عن بعضهم أنه يقول: (وددت لو أنني تركت كل الأسباب، وأعطيت كل يوم رغيفين -يريد أن يستريح من تعب الأسباب- قال: فسجنت، فكنت في السجن يؤتى إلي كل يوم برغيفين، فطال ذلك علي حتى ضجرت، ففكرت يوماً في أمري، فقيل لي: إنك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية، فأعطيناك ما طلبت، فاستغفرت من ذلك، ورجعت إلى الله تعالى، فإذا بباب السجن يقرع، فتخلصت وخرجت).

اللهم قنعنا بما قسمته لنا وبارك لنا فيه، وألهمنا الرضا والصبر مع الشكر، ولا تجعلنا من الحاقدين الحاسدين ولا من المتشائمين الجاهلين، ووسع لنا في أرزاقنا، وبارك لنا في أولادنا وما أعطيتنا.

- **قصة من واقع الحياة:** فقير محتاج تزوج فاشتدت فاقته وحاجته وتوقف عمله، فبحث عن عمل هنا وهناك فلم يجد إلى أن دل على وظيفة بسيطة بأجر زهيد عامل تنظيفات، ولما تقدم إلى هذه الوظيفة كان من جملة الأوراق المطلوبة الشهادة الابتدائية، ولم يكن يحملها فخاب أمله في الدنيا وسدت في وجهه حتى هذه الوظيفة.

هيأ الله له بعد ذلك عملاً عند تاجر مشهور فظهر إخلاصه، فشاركه بعد سنوات إلى أن اشتهر بالتجارة ونجح فيها، وجاءته حوالة مالية كبيرة فلما ذهب ليستلمها طلب منه الموظف أن يوقع على استلامها، فقال: أنا لا أقرأ ولا أكتب، فقال الموظف: لا تقرأ ولا تكتب ولك كل هذه الأموال الكثيرة، فكيف لو كنت تقرأ وتكتب، فأجاب هذا التاجر:

لو كنت أقرأ وأكتب لكنت الآن عامل تنظيفات.

نعم أيها الإخوة لنرض بما قسمه الله لنا، ولنسع إلى الأفضل، فإن الله لا يضيع أجر العاملين.

٢٥ موت بعد أسبوع

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨].

- وقال رسول الله ﷺ: «كُن فِي الدنيا كَأَنك غَرِيب أَو عابِر سبِيلٍ».

[أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما]

● في الآية الكريمة السابقة أمر للمؤمن أن ينظر دائماً ولا يغيب عن باله ما قدم وما أعد لغده أي لليوم للآخر، وفيها إشارة وتنبيه بليغ إلى أن الموت قريب جداً، كقرب يوم الغد.

● كذلك وفي حديث النبي ﷺ إشارة لكل مسلم ألا يغيب عن فكرة أنه في هذه الدنيا الفانية غير باقٍ، فيجب عليه أن يعيش كأنه غريب عن هذه الدنيا الفانية فهو مسافر عنها إلى آخرة دائمة باقية لا فناء فيها، فينبغي عليه أن يكون متهيئاً دائماً لتلك النقلة بأعمال تكون نتيجتها نعيم الجنة إن أحسن العمل أو عذاب جهنم إن أساء العمل.

● وأهل الإيمان والتوفيق حريصون دائماً على فعل ما ينجيهم يوم القيامة ولا يغيب عنهم التهيؤ للموت الذي سيفاجئهم بغتة، فهم دائماً مستعدون له في كل وقت وحين.

● أما أصحاب النفاق والشقاق، والفجور والعصيان، أصحاب الاعتراض على الله والإعراض عنه وعن منهجه فإ ـم في ساعات الاحتضار يندمون ويحاولون أن يستدركوا ما غفلوا عنه طيلة حيا ـم في محاولة يائسة،

فيصبح أحدهم راجياً ربه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

- فإذا بالجواب من الملك القهار يأتي: ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وهذا آخر يعاين الموت وقد فرط في حياته في عمل الصالحات فيتمنى أن يعطى الفرصة مرة ثانية، فيقال له ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون: ١٠].

- ولو أنك قرأت الآية لأدركت الجواب بعدها: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ١١].

● ثم حدث المكتوب واجتاز هؤلاء المعرضون سكرات الموت وحياة البرزخ، وإذا هم بعد الحساب يساقون إلى جهنم، وإذا هم يجددون الرجاء والطلب: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧].

● فيأتي هنا الرد أقسى لأن الحساب قد تم والصحف نشرت فيأتيهم الجواب: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

● وعندما يرى هؤلاء المعرضون أن الأمل في النجاة قد تلاشى يتجهون إلى الملائكة حرس جهنم ويقولون لهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٩].

● فيأتيهم الرد: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [غافر: ٥٠].

● إ ا مشاهد موجعة ونحن وإياكم لا نريد أن نكون أصحا ا -إن شاء الله- ولكن لا يكفي في تجنبها عدم الرغبة فيها لكن لابد من العمل من أجل ذلك.

● الملكة إليزابيت الأولى ملكة بريطانيا التي لا تعد أملاكها ولا تحصى قالت وهي على فراش الموت: (أنا مستعدة لتقديم كل ممتلكاتي مقابل لحظات من الوقت أعيش فيها).

- أحد الصالحين قال: أذكر أنني عندما أصبت باحتشاء في العضلة القلبية و لم يكن عمري تجاوز الخامسة والثلاثين مررت بلحظات مساومة كما فعلت الملكة، ولكنني أدركت أنني بعد أن جاوزت المحنة أن الفرصة سنحت لي مرة أخرى كي أقوم بما كنت مستعداً لشرائه بكل ما أملك، ومنذ ذلك التاريخ تعلمت المبادرة في إصلاح أعمالي وأقوالي مستفيداً من كل نفس يستطيع حتى الآن دخول صدري والخروج منه.

● المؤمن الحق والمسلم الموفق هو الذي يميز بين الفاني والباقي ويسعى جاهداً ألا يسيطر عليه الفاني فيفوته الباقي، وكي نفهم الفاني والباقي علينا أن نفهم حديث النبي ﷺ.

- فقد روت عائشةُ، أَنهم ذَبحوا شاةً، فَقَالَ النبي ﷺ: «ما بقِي منها»؟ قَالَت: ما بقِي منها إلا كَتِفُها قَالَ: «بقِي كُلُّها غَير كَتِفها». [أخرجه الترمذي]

- فالفاني ما تذْهب لذته في الدنيا، والباقي هو المدخر أجره في الآخرة.

● والمسلم الحق يسعى جاهداً في تحويل الفاني إلى باقٍ.

● اللقمة التي تضعها في فم زوجتك أو أولادك فانية، ولكن إن قدمتها لهم بحب محتسباً أجرها عند الله أصبحت صدقة باقية.

● المال الذي تخرجه في زكاتك أو صدقاتك قد تراه فانياً، ولكنه في الحقيقة بما يحمله من تطبيق لفرض الله في الزكاة أو صدقة في سبيل الله وبما تشكله زكاة المال من تطهير وتنمية لمالك فإنه سيبل لزيادة أرقام رصيدك سواء في حسابات الدنيا أم في حسابات الآخرة.

● فلنكثر من الباقي لأننا أحوج ما نكون إليه في ساعات الحساب والوقوف بين يدي الرحمن.

● وكذلك أكل مال الورثة أو اليتامى والأرامل أو أكل مال الربا أو الرشوة أو أي مال حرام هو فان ولكنه باق في ذمة آكله إلى يوم القيامة، والمال يفنى وصاحبه يغنى في الدنيا، ولكن يبقى وزره وعذابه في الآخرة، ويكون سبباً في دخول صاحبه النار.

● تعالوا لنفترض افتراضاً أقول هو مجرد افتراضٍ للفائدة فقط:

أنه بلغك أنك ستموت بعد أسبوع فماذا أنت فاعل في هذا الأسبوع؟

● بالطبع لن تفكر أبداً في لذة أو شهوة أو أكلة أو شربة إن كنت موفقاً فستسرع إلى القيام بأعمال تحضيرية ضرورية دون أن تنام ساعة من ليل أو نار، ومنها:

أولاً– ستسرع إلى كتابة وصيتك التي قصرت فلم تكتبها قبلاً وتعمل بمقتضاها، وقد تغافلت عن أمر النبي ﷺ ا: «ما حق امرِئٍ مسلِمٍ، لَه شيءٌ يرِيد أَنْ يوصِي فِيهِ، يبِيت لَيلَتينِ، إِلا ووصِيته مكْتوبةٌ عِنده».

[أخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه]

تكتب في هذه الوصية بعد أن توصي لهم بخير، وتبين لهم أن الحياة فانية وأن عليهم أن يعملوا للآخرة، تكتب لهم ما هو لك وما هو عليك ليسددوه، وما ترغب في أن يفعله الورثة بعدك من أعمال خير يعود نفعها عليك وتذكر لهم مكان دفنك وتعزيتك إلى غير ذلك.

ثانياً– إن كنت موفقاً تكتب ورقة نعوتك وتذكر كل ما يجب ذكره فيها وخاصة ترتيب الأقارب، حتى لا يحدث خلاف بعدك من أجل ذلك.

ثالثاً– تسرع إلى قضاء ديونك للآخرين لأن الدين يحول دون قبول أعمال حساناتك، ويمنع عنك مغفرة الله لك.

– قال رسول الله ﷺ: «يغفَر لِلشهِيدِ كُلُّ ذَنبٍ إلا الدين».

[أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه]

رابعاً– تسرع في قضاء وتسديد ما أكلته بالحرام من الآخرين وما وصلك من وراء الغش أو الخداع أو السلب أو النهب أو الكذب أو الظلم، مع الاعتذار الشديد منهم وطلب العفو والمسامحة.

خامساً– تسرع إلى والديك وأنت المقصر في برهما أو المنشغل عنهما بأعمالك أو أهلك لتقدم لهم الاعتذار الشديد وأنت تبكي وتطلب منهم المسامحة والعفو والدعاء، وتسعى جاهداً إلى برهما بعد هذا العقوق.

سادساً– تسرع إلى رحمك التي قطعتها أو ظلمتها وتقدم لهم الصلات بكل أنواعها مع الاعتذار منهم وطلب المسامحة.

سابعاً– تسرع إلى من كسرت خاطره قريباً كان أو بعيداً بسب أو شتم أو هجر أو ظلم أو حقد أو حسد أو غيبة أو نميمة لتطلب منهم المسامحة.

ثامناً– تسرع إلى أناس كان لهم فضل عليك سواء أكان بدعمك بمساعدة مادية أم معنوية أو بالأخذ بيديك إلى طريق الإيمان والدلالة على الله ﷻ، فكان لهم أثر طيب عميق في نجاحك وما وصلت إليه، فنسيتهم وأهملتهم و لم تتفقد أحوالهم، حتى إنه لم تذكرهم و لم يخطروا ببالك ولو لمرة واحدة، تسرع إليهم باعتذارك، وطلب المسامحة منهم وتقديم ما يسرهم، وتحاول رد شيء من الجميل إليهم.

تاسعاً– تراجع تصرفاتك مع زوجتك وأولادك وإهمالك لهم وعدم إعطائك حقهم بسبب انشغالك عنهم بأعمالك أو سهراتك أو لهوك، وتطلب منهم المسامحة وتعتذر منهم وتحاول إدخال السرور عليهم.

عاشراً– بعد كل هذه الأعمال تجلس إلى نفسك مع الله ﷻ باكياً خائفاً مستجدياً مستعطفاً راغباً منقطعاً خاشعاً مستغفراً استغفاراً شديداً مما أمضيت به عمرك في تقصير أو غفلة أو لهو أو معصية، طالباً من الله الستر والصفح والمسامحة والعفو والغفران، مكثراً من قراءة القرآن والذكر والدعاء والمناجاة مكثراً من الدعاء وقيام الليل والتهجد إلى أن ينتهي الأجل ويأتي الموت على هذا الحال.

● إذا كان الأمر كذلك فإن المؤمن الموفق لا يحتاج إلى هذا الوقت وإلى هذا التنبيه فهو في شعور دائم لذه الحالة، ويعمل لأجلها ويجتهد لها في كل وقت من أوقاته عملاً بقول النبي ﷺ: «الكَيس من دانَ نفْسه وعمِلَ لِما بعد المَوتِ، والعاجِز من أَتبع نفْسه هواها وتمنى علَى اللَّه».

[أخرجه الترمذي عن شداد بن أوس رضي الله عنه]

اللهم اجعلنا من الكيسين العقلاء ولا تجعلنا من العاجزين الجهلاء.

- وروي أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال من أنت؟ فقال من لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا، قال: فإذا أنت ملك الموت قال: نعم.

قال: أتيتني ولم أستعد بعد؟ قال يا دواد أين فلان قريبك؟ أين فلان جارك؟ قال: مات، قال أما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد.

[التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي]

- وقد ورد في بعض الكتب السالفة: إن لله مناديا ينادي كل يوم: أبناء الخمسين زرع دنا حصاده أبناء الستين هلموا إلى الحساب أبناء السبعين ماذا قدمتم وماذا أخرتم أبناء الثمانين لا عذر لكم ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وتجالسوا بينهم فتذاكروا ما عملوا ألا أتتكم الساعة فخذوا حذركم. [لطائف المعارف: ابن رجب]

- وعن عبد الله بن سهل قال: سمعت حاتماً الأصم يقول: اختلفت إلى شقيق ثلاثين سنة، فقال لي يوماً: أي شيء تعلمت؟ فقلت: رأيت رزقي من عند ربي فلم أشتغل إلا بربي، ورأيت أن الله تعالى وكل بي ملكين يكتبان علي كل ما تكلمت به فلم أنطق إلا بالحق، ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري والرب تعالى ينظر إلى باطني، فرأيت مراقبته أولى وأوجب، فسقطت عني رؤية الخلق، ورأيت أن الله مستحثاً يدعو الخلق إليه فاستعددت له متى جاءني لا أحتاج إلى من يقيلُني -يعني ملك الموت- فقال لي: يا حاتم ما خاب سعيك. [صفة الصفوة: ابن الجوزي]

الخاتمـــة

- اللهم لا تنسنا ذكرك ولا شكرك ولا حسن عبادتك، واجعلنا من الذين لا يغفلون عن الموت لحظة، ويعملون جادين لما بعد الموت، يعملون في الدنيا الفانية المؤقتة ليوم الآخرة الباقية الأبدية.

واجعلنا هادين مهديين ولا تجعلنا ضالين ولا مضلين، وانفعنا بما تضمنه هذا الكتاب من جواهر الكلام، وألهمنا تطبيق ما فيه على أحسن حال، وأكمل وجه.

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

المؤلف المربي

د. محمد خير فاطمة

الفهرس

- الإهداء ٥
- التمهيد للبحث ٧
١- واجب المسلم تجاه بلايا الأمراض ٧
٢- العين الحاسدة ١٧
٣- مرض الوسوسة وعلاجه ٢١
٤- موقف الإسلام من السحر والسحرة ٢٨
٥- علاج السحر والوقاية منه ٣٤
- المقدمة ٤٤
١- ففروا إلى الله ٤٦
٢- خير الأعمال وأزكاها ٦٤
٣- الباقيات الصالحات ٧٢
٤- تعال نؤمن ساعة ٧٩
٥- من نجالس ٨٧
٦- التفاؤل والتشاؤم ٩٣
٧- الاستدراج ١٠١
٨- آفة الاعتراض ١٠٨
٩- الاجتباء ١١٧
١٠- التوفيق الإلهي ١٢٣
١١- وعد الله ١٢٩

١٢- الاستجابة لله ١٣٤
١٣- الاستعانة بالله ١٤٤
١٤- احفظ الله يحفظك..... ١٥١
١٥- واجبك في محنتك ١٦١
١٦- المسؤولية العامة في الإسلام ١٦٨
١٧- من قرأ التاريخ ليس كمن يعايشه ١٧٩
١٨- الصبر على شدة البلاء ١٨٧
١٩- غربة الدين ١٩٣
٢٠- الالتزام بالإسلام ٢٠٣
٢١- البر والإثم ٢٠٩
٢٢- آثام المعاصي ٢١٥
٢٣- الحكم العدل ٢٢٢
٢٤- نحن قسمنا بينهم معيشتهم ٢٣٣
٢٥- موت بعد أسبوع ٢٣٩
- الخاتمة ٢٤٦